مكتبة
مؤمن قريش

الفقية محمد جواد مغنية

مقاومة الإنسان للعدوان

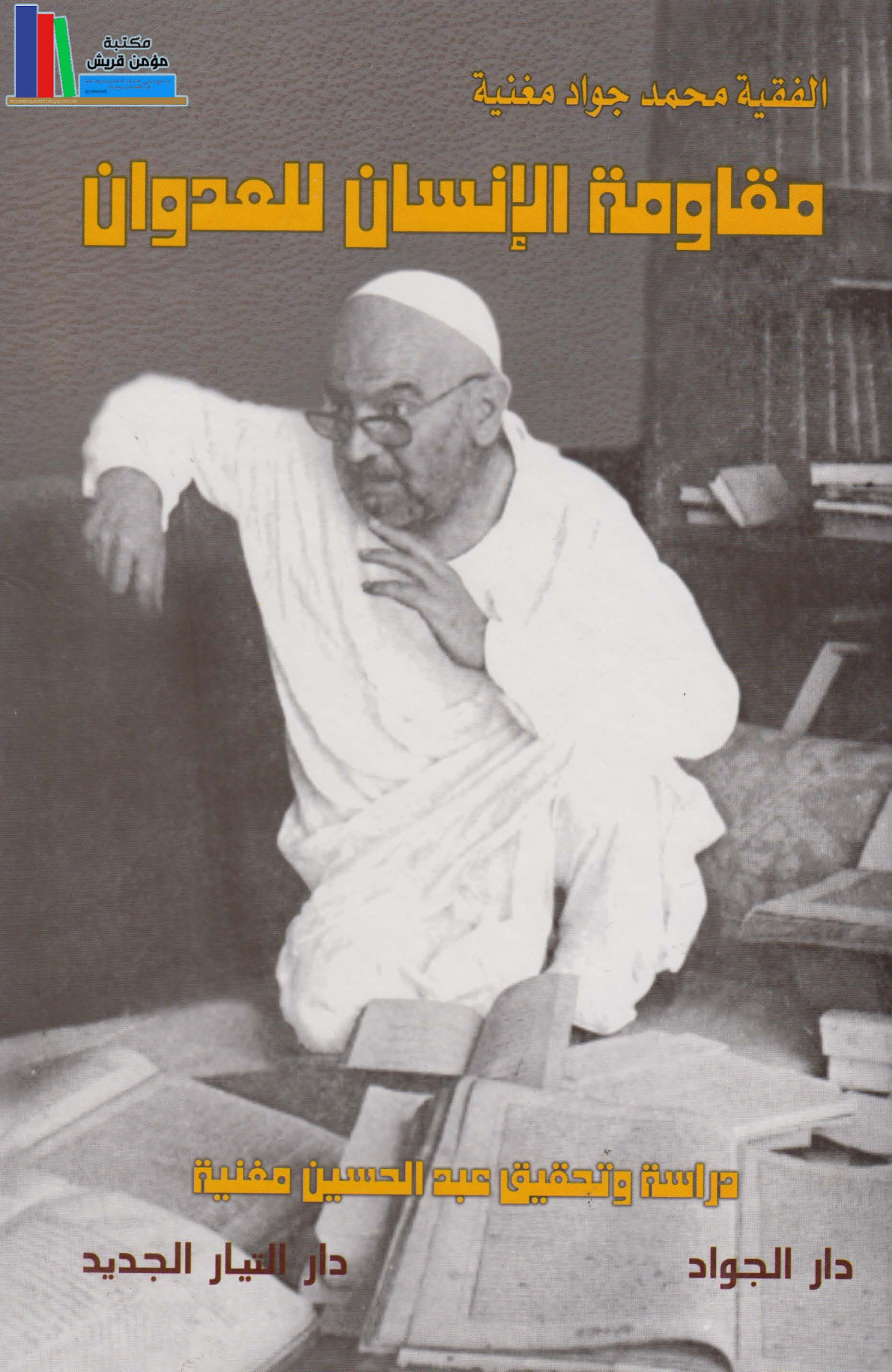

دراسة وتحقيق عبد الحسين مغنية

دار الجواد
دار التيار الجديد

مقاومة الإنسان
للعدوان

الفقيه محمد جواد مغنية

مقاومة الإنسان للعدوان

دراسة وتحقيق عبد الحسين مغنية

دار الجواد دار التيار الجديد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م

دار الجواد ـ دار التيار الجديد

ص.ب: ٥٨١٣ ـ ١٤

بيروت: ٠٥٢٠٧٠ ١١

لبنان ـ شارع معوّض ـ الشياح

تلفون: ٠١/٥٤٤٠٩٠ ـ ٠٣/٥٧٨٨٥٠

فاكس: ٠١/٥٤١٩٣٠

E.MAIL: DAR ALJAWAD@HOTMAIL.COM

لا للإرهاب.. لا لقتل الأبرياء..

* ولا تزِرُ وازِرَةٌ وزر أخرى، الأعراف ١٦٤ *، جاء في «التفسير الكاشف» للفقيه مغنيه وبإيجاز: «من نسب فعل الإنسان إلى غيره، فهو تماماً كمن نسب الولد إلى غير أمه. وهذه الآية أصل ديني وعقلي لا يمكن نسخه أو تعديله. وقد فرّع عليه العلماء والفقهاء كثير من الأحكام. والآلهية تومىء أن الإنسان مسؤول عن نفسه وكفى. إذن، أين وجوب الجهاد؟ والجواب: أن موضوع الآية خاص بالمؤاخذة فقط. وأن الإنسان لا يؤخذ بجريرة غيره، ولا صلة لذلك بالجهاد، لأن العقل والشرع يأبى أن يؤخذ البريء بجرم المذنب وأن يشاركه في العقاب». وأيضاً ذكر القرآن أن من قتل نفس بغير ذنب فكأنما قتل الناس جميعاً».

المحقق: إن الإسلام الذي أنزله الله يحرّم قتل الأبرياء، وهو ليس من الجهاد بشيء. ويتحمل القاتل العقاب لوحده، وليس كما تعاقب أميركا ومن يدور من فلكها، الإسلام والمسلمين بتهمة الإرهاب ظلماً وعدواناً. صحيح، أن أميركا وإسرائيل ومن لفّ لفهما تقتل الأبرياء في العراق وفلسطين وأفغانستان. لكن يجب الرد على هاتين الدولتين المعتديتين بالذات، مهما كلفت التضحيات وليس الرد على الناس العزل الأبرياء. فهذا لا يقرّه الإسلام.

كان الرئيس بوش متعثراً في البداية، فجعلت كارثة ١١ أيلول ٢٠٠١ منه ومن نظامه وحشاً ضارياً افترس العراق ومنه سيفترس الوطن العربي

بأكمله، ويريد تغير الإسلام إلى دين أميركي، في خدمة مصالح أميركا. وأما اتهام الإسلام بالإرهاب، والدعوة إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان، سوى كذب بكذب، وأكبر عملية نفاق، لأن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في حال تطبيقها ستُجهز على هيمنة واستعمار أميركا. . . فهل هذا ما تسعى إليه الولايات المتحدة حقاً؟ لا يصدق هذه الأكاذيب إلا المغفّل أو العميل المأجور. أما قتل العزل في إسبانيا فإنه سيضرّ بالإسلام والمسلمين إذا تبين أنها من عمل من يقتلون الأبرياء باسم الإسلام.

يقوم كل المسلمين بالجهاد لردع الإعتداء، ولا يقوم به جماعة أو أفراد، هذا المنهج والأسلوب يبقى معزولاً مخطئاً إذا لم يؤيده ويتبناه المسلمون. وإلاّ، فإن النتائج ستؤدي إلى عكس المطلوب بل أدت ذلك، وسينُعتُ الإسلام بالإرهاب. وهذا النعت حجة للأعداء ليقوموا هم بالإرهاب، وهذا ما يحصل الآن. وبكلمة، أن الشعوب هي التي تغير وتصنع التاريخ وليس مجموعات أو أفراد، ولكن على هذه الشعوب أن تتحرر من القمع والديكتاتورية حتى تستطيع أن تنال العدل والحرية.

المقاومة اللبنانية الفلسطينية الإسلامية الوطنية ليست إرهاب، كما تنعتها أمريكا وإسرائيل. لأن الشعب كله يقاوم وبالأسلوب الذي فرضته عليه الشارونية وعشاقها الأميركيين «المسيحيين التوراتيين»، الذين يقدسون الشارونية الإرهابية التي تلغي الآخرين بالقتل والقهر والغلبة، والتي يتمثل بها الحكام الأميركيين. ومن أراد من هؤلاء الشارونيين في واشنطنّ وتل أبيب، أن يعتدي على سوريا ولبنان وإيران، فإن شعوبنا في هذه الأوطان سوف تقاومهم وتنزل بهم ما لا يخطر على بالهم.

ما من قوة تغلب الإنسان

كتب المفكر الفرنسي ألبير كامو في مؤلفه «الثائر» فقال: «تبدأ الثورة حينما يقول المُستبعد: لا.

انتصرت الهند الفقيرة، شبه الأُمية، لأن شعبها اتحد خلف قائدها

العظيم غاندي. وانهزمت بريطانيا الأمبراطورية العظمى المتعلمة المتفوقة، لأنها على باطل. وعندما حزم الشعب الهندي أمره ووحد صفوفه واستمات من أجل حريته، ووجد الأسلوب المجدي لمجابهة الإنكليز، سقط علم وتكنولوجيا وتفوق انكلترا، وانتصرت الهند. هذا، لا يعني أن الجهل انتصر على العلم. بل يعني أن أعظم العلوم على الإطلاق هو التمسك بالحق ورفض الظلم. لكن هذا التمسك والرفض لا يكفي إذا اقترن بمقاومة العدوان وبالأسلوب الذي تمليه الظروف العسكرية السياسية الإقتصادية لكل شعب. والنصر آت للمظلومين لا محال. بعد الهند، كانت ثورة الجزائر، ثورة الوطن والشعب المستضعف على جبروت فرنسا، التي تعلمت من هزيمتها وعادت إلى بلادها. لكن الجزائر لم تتعلم من انتصارها وفُرض على شعبها حكم العسكر تاريه. ها هو الشعب الفلسطيني يقاتل بالحجارة. صنع سلاحه من روحه وجسده ودمه، يصارع به أعدائه ويصرعه. وها هي إسرائيل المتفوقة، المحلّقة، حتى لا يجوز مقارنتها مع فلسطين وشعبها في مضمار العلم والقوة. وحشية إسرائيل قوى الشيطان وقوة الشعب الفلسطيني قوة الإنسان، ولا أحد يستطيع أن يلغي الإنسان إذا ثار وقاوم. والشعب الفلسطيني في محنة، والإسرائيليون كذلك، ولن تتوقف المأساة إلا بإنصاف الفلسطينيين والاعتراف بحقوقهم المشروعة.

أميركا أعتى دولة في العالم فرّت ذليلة مهزومة من فيتنام. انتصر عليها أفقر شعب في شرق جنوب آسيا، لأنه على حق وأميركا على باطل. لا بد للحق من مناصر، فروسيا والصين دعمتا فيتنام.

المقاومة الإسلامية انتصرت بالإسلام في جنوب لبنان ودحرت الطغيان بقوة الإيمان. ولولا تأييد لبنان، وسوريا وإيران، وتبني الشعب للمقاومة لما تحقق الانتصار.

الثقافة تدخل حلبة الصراع، المعنويات والإرادة والشجاعة والحماس في صلب القتال. ولا شيء ينفع الناس كالوعي والعلم، وإذا كان الفكر حراً فهو الأساس، وتكبيل العقل والقمع هو المسبب للخذلان والإذعان. ولا

منال للحرية بدون ديمقراطية وكرامة مُصانة للإنسان

ضروري التنويه أنه: تجري عمليات رهيبة لتدمير الإنسان بالشذوذ الجنسي والفكري والفني والعلمي في العالم، حتى تستطيع أميركا الإسرائيلية من السيطرة على العرب بالخصوص، حتى تنهيهم وتهيمن عليهم.

كلمة المحقق

مما لا شك فيه، أن الحق ينتصر على الباطل بالفكر والمنطق، أي بالتنظير والكلام. لكن الباطل ينتصر على الحق فعلاً وعملاً على ارض الواقع. والقوة هي التي تردع القوة.. إنه قانون الله في كتابه «واعدوا لهم ما استطعتم من قوه». إنه قانون الانسان، والتاريخ حافل بالادلة. إنه قانون الطبيعة، القوي يصرع الضعيف. وما انتصرت الشعوب المستضعفة وتحررت من الظلم والاستبداد إلا بعد ان صنعت القوة من ارواحها واجسادها ودمائها ما تقاتل به اعدائها.

ما احوجنا نحن العرب والمسلمين اليوم إلى جمع صفوفنا ووحدة موقفنا لمجابهة الحرب الاميركية الاسرائيليه للقضاء على كياننا وحريتنا ومعتقداتنا، وجعلنا خاضعين لهيمنة اميركا وإسرائيل.

ليعلم جميع الفرقاء وكل الجهات واصحاب التوجهات المختلفة المتعددة، ان اتحادهم واجتماعهم ـ على ما بينهم من تناقضات ـ هو الطريق الوحيد للتصدي للعدويّن الشريكين في واشنطن وتل ابيب. وإلاّ لن تقوم ابداً للعرب والمسلمين قائمة، ما داموا اشتاتاً متفريقين، تمزقهم الفتن، مستسلمين منقادين لأوامر اعدائهم.

من مظاهر الانقسام الخطير بين عامة المسلمين الجهلة من السنة والشيعة ان تعصبهم المذهبي اعمى عقولهم وقلوبهم وسبب لهم كوارث فظيعة. فجوهر الدين الإسلامي واصوله واحدة ثابتة، لا يرفضها أو ينكرها

مسلم أي كان مذهبه. اما المذاهب الإسلامية هي محض اجتهادات في فروع الإسلام لا في صلبه. وهذه ظاهرة صحية ديمقراطيه، فقد قيل «خلاف الائمة رحمة اللامة» فكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وآمن باليوم الآخر ـ ولو بالظاهر ـ هو مسلم ولو فسق، له ماللمسلمين وعليه ما عليهم. اما الباطن فعلمه عند الله، له وحده الحساب. والمسلمين الذين يكفرون بعضهم بعضاً هم الكفار في شرع الله. وعلى سبيل المعرفة واليقين، إن المسلمين الشيعة في مذهبهم، لا يكفّرون حتى الذين يكفّرونهم من المسلمين، لأن ذلك مخالفة لدين الله وكذلك السنة، لا يكفرون الشيعة ما عدا المتعصبين الجهلة.

ومن العوامل السلبية التي تمنع الوحدة الإنسانية، ان افراداً وجماعات وحكومات تعاني من مرض خطير اسمه الخوف من الإسلام «ISLAMOFOBIA» فينعكس هذا الخوف على مواقفهم وتصرفاتهم البغيضة. مع ان حقوق الانسان في التحليل النهائي، هو الدين المشترك لكل الناس. والإسلام في التحليل النهائي أيضاً، يأمر بحقوق الانسان. فمن اسماء الله الحسنى «الحق» و «العدل». وفي القرآن «لقد كرمنا بني آدم» و «إذ حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل». فحقوق الانسان من صميم الإسلام ما عدا الدين اليهودي الذي يأمر باستخدام واستعباد غير اليهودي (الغويم). لذلك، لا يشارك ولا يساهم رجال الدين اليهود في اجتماعات ومؤتمرات حقوق الانسان. بينما يشترك في اجتماعاتها مشايخ ورهبان. وكل الانبياء دون استثناء، دعوا لنصرة المظلومين والمستضعفين وانتصفوا لهم من الطفاة. وبني إسرائيل وحدهم الذين حاربوا انبيائهم وهم على دينهم.

لقد اصبح العداء للدين الإسلامي موضه هذا العصر، ولو كانت هذه الموضة تجنّي وافتراء.

من هو محمد جواد مغنيه..

. . . إنه تلميذ نجيب متفوق في مدرسة أهل البيت، إتخذ من الرسول والإمام علي عليه السلام والصحابة الكرام قدوة. يلقى الحجة على معارضيه، يلتزم بالحق، لا يأبه للخصم أي كان دولة أو فرد. يتخذ موقفاً ولو كلفه ذلك حياته، كان حسينياً مقاتلاً من أجل الحرية.

أول صرخة اطلقها كانت عن الوضع المأساوي لجبل عامل سنة ١٩٤٧، كانت كتاب «الوضع الحاضر في جبل علمل». واخر صرخة اطلقها اودت بحياته كانت من اجل جبل عامل الذي عاث فيه فساداً أولئك الذين كانوا يتلطون بالقضية الفلسطينيه. فتوقف قلبه عن الحفقان من شدة القهر والحزن على جنوب لبنان، بعد ساعات من تصريحه الحاد، وهو نائما في الفراش ليل ٨/ ١٢/ ١٩٧٩م، توفاه الله فمات شهيد الحق. وكانت اخر ثلاثة كلمات كتبها قبل الوفاة بحوالي الساعة هي : المسيح ومحمد وعلي. ودفن في (صحن) مقام الإمام علي بالنجف الأشرف كما قررت الحوزه العلمية.

لم يكن محمد جواد مغنيه من تلك المدرسة التي تلّف وتدور عبثاً دون نتيجة، فهده لعبة الأقوياء المفضّلة وهي مضيعة للوقت ومضعية للحق، واثبت الزمن صحة هذا الرأي. وكان مغنيه يوّبخ المسؤولين مهما علا شأنهم، من رئيس الجمهورية إلى الوزير إلى النائب في البرلمان ـ وكان يجزم بأن حقوق المستضعفين هي في الأرض المعطاء، في المصنع، في تحصيل العلم وتحقيق التنمية، وفي رفع مستوى عيش الانسان، لا في المجالس والوظائف والزعامات الدينية والمدنية.

ولنقرأ ما كتب عنه ـ باختصار شديد ـ بعض الباحثين، ونقطتف منها ما قيل عن شخصية مغنيه. ففي كتابه الشهير «ايران من الداخل»[1] كتب الباحث الإسلامي المعروف فهمي هويدى في صفحة ١٠٥ يصف مغنيه: بالفقيه البارز، ويقول: وأهمية مغنية تكمن في أن الشبهة الشخصية في موقفه غير واردة. ولذا فقد نستطيع أن نقرر بضمير مطمئن أن منطلقات موقفه موضعية بحتة».

وألفت الدكتور هادي فضل الله كتاباً عن الفقيه مغنيه أسماه «محمد جواد مغنيه فكر وإصلاح»[2]. وقال في الصفحة ٧، ٨ ، ٩: توسمنا في مغنيه ملامح الوساطة الموفِقة بين روح العصر وعراقة التراث، إذ أن مواقفه معادلة رائعة بين القديم والجديد». ويقول عن كتابه: «هو بحث من شأنه انصاف مغنيه ووضعه في مركز مرموق بين رواد الفكر العربي الحديث جمال الدين الافغاني، والشيخ محمد عبده ومحسن الامين».

أما الدكتور المتأمرك فؤاد عجمي الاستاذ في جامعه جورج توان في واشنطن، والمعلق في الاعلام الأميركي كتب في مؤلفه «الإمام المغيب موسى الصدر»[3] في صفحة ٢٧٦، ٢٧٧. يقول عن مغنيه إنه: أحد الفقهاء المسلمين الشيعة الأكثر شهره محمد جواد مغنيه برهن أن الإيمان هو اقوى من الصواريخ والدبابات (. . .) الإسلام كتب مغنيه لم يكن ابداً مبنياً على العرق أو الأرض أو الجنسية على أي حال. قال، ولا يوجد الكثير الذي يمكن للعرب أن يفتخروا به اليوم: اشارالى النزاعات، المجازر، والاذلال على ايدي اسرائيل والغرب». وحول مسألة «ولاية الفقيه المطلقة والمحدودة» بين مغنيه والخميني كتب فؤاد عجمى: كانت المناظرة مناقشة العلم الديني بين المجتهدين». والجدير بالملاحظة أن الفقيه مغنية لم يوافق على ولاية الفقيه المطلقة.

---

(١) مركز الاهرام للترجمة الطبعة الاول ١٩٨٧

(٢) دار الهادي الطبعة الاولى ١٩٩٣

(٣) دار الاندلس الطبعة الاولى ١٩٨٧.

وفي مقالة «كمال جنبلاط ومحمد جواد مغنيه استاذين جامعين» في صحيفة «السفير» عدد ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٣ كتب الاستاذ الجامعي الدكتور علي زيعور عن مغنيه: هذا الكتاب ـ أي «تجارب محمد جواد مغنيه» وهو سيرة ذاتية، بطلها مفكر مناضل ملتزم منذ ولادته حتى آخر ساعة من حياته».

لكن الدكتور الجامعي المعروف خليل احمد خليل كتب عن مغنيه مقالاً في صحيفة «النهار» عدد ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٧م، بعنوان «محمد جواد مغنيه: معارك الكتب» نقتطف منه الآتي: القاضي ـ مغنيه ـ العارف بالله بالناس، قارىء القرآن، وتولستوى كان منفتحاً، كالفقر، على غنى الحياة. ولم يكن يدرك مدى ضيق كرسي السلطان أو السلطة امام رحابة حصيرة البسطاء، أو بساط الفقراء الذي كان يحمله على متنه كانه هو وحده بساط ريحه وروحه، وعليه نجح محمد جواد مغنيه القاضي في ارضاء ضميره ومعتقده القراني». وقال أيضاً عن مغنيه: كان شيخاً مصلحاً مجدداً في تفكيره متحرراً، معادياً للاستبداد المحلي، مقارعاً للاستعمار بوجهيه الصهيوني ـ الاميركي (. . .) ولأنه كان ذلك أُهمل، مثلما أُهمل زميله البيروتي الشيخ عبدالله العلايلي. لكنهما لم يرحلا عن هذه الفانية، مخلفين وراءهما املاكاً، أولاداً، وحسب، بل خلّفا كتباً تضعها في صميم «معارك الكتب» أي «معارك الافكار المعاصرة». وفي نهاية مقاله ذكر الدكتور خليل الحقيقه المرة فاصابها حين تسأل: فهل من سعيّ جدّي إلى إعطائه ـ أي مغنيه ـ حقه راحلاً، بعدما يُخِسَ مقيماً؟».

ولو تُطبع الأعمال الكاملة لمحمد جواد مغنية فهذا تكريماً له ولكلمته.

الواقع أن الشيخ مغنيه كان فريداً في زمنه يغردّ خارج سربه. تسلح بايمانه، يجلد بقلمه وصوته اميركا وبريطانيا وإسرائيل والحكام العرب، بينما علماء الدين الاخرين ـ في زمانه ـ غائبون في الصمت المريع، ولا سبب لذلك سوى الهلع.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩ التي احيت الإسلام، ونفضت غبار السنيين عن رجال الدين. صار بسببها المد الإسلامي بسلبه وإيجابه، وصار رجل الدين يصول ويجول بالمال والسلاح والاتباع، بينما لم نسمع له صوت حين كانت حركة التحرر الوطني في الخمسينات والستينات، وليس القصد السيد محسن الامين أو السيد عبد الحسين شرف الدين اللذين حاربا الاستعمار الفرنسي انما القصد الذي يُطلق اليوم شعارات وندأات ضد اميركا وإسرائيل والانظمة العربية، طالباً الاصلاح والتغير. بينما اطلقها مغنيه صواعق في زمن الاقطاع والجلاديين حين كان يتسلط الطغاة على الاجنة في الارحام. وما يُقال اليوم قاله حرفياً بالامس حتى خِلتُ إنهم يقرأون في كتاب مغنيه دون أن يذكروه بحرف أو الذين سبقوه من العلم والتحرر، وكانهم ينسبون الضياء والتجديد والسموّ لانفسهم وحسب. متجاهلين الكواكب المضيئة التي أنارت إسلام الحق على الدنيا كالمعلم الافغاني، ومحمد عيده، ورشيد رضا، والكواكبي، والطهطاوي، وشرف الدين، ومحسن الامين، ومغنيه وباقر الصدر... وغيرهم. واشكر كل الشكر لمن يتحدث بمواضيع السلف الصالح لأنه يوثّق كلامه، ولا يظهر نفسه وكانّ لا أحد قبله أو بعده.

واتهم محمد جواد مغنيه المكارثيون والفاشيون والعملاء اتهامات لا تمت إليه بصلة، اطلقوا عليه اشاعات ليقتلوه معنوياً لكنه انتصر عليهم. واقتحم الموت وهو يتحدى الظلم ويهاجم الذين كانوا ينكلون بتصرفاتهم الشاذة باللبنانين عامة وأهل الجنوب خاصة أولئك الذين ادّعو بالامس المقاومة الفلسطينية والتي لم تكن مقاومة. لكن الشيخ مغنيه «انطفأ» كما قال الدكتور خليل أحمد خليل في مقاله ولم يعش لتقرّ عيناه ويرى ويعتزّ ويفتخر بمقاومة الشعب الفسلطين البطل والمقاومة الإسلامية اللبنانيه البطلة تدّك اميركا وإسرائيل، والتي رفعت روؤس العرب والمسلمين والمستضعفين وكل احرار العالم.

لمحمد جواد مغنيه موقف من الولايات المتحدة الاميركية. في سنة ١٩٥٣ زاره القائم بالاعمال الأميركي ببيروت في منزله بعد التماس متكرر.

في المقابلة، دعى الدبلوماسي الاميركي الشيخ مغنيه إلى لقاء على ظهر حاملة الطائرات الاميركية «فورستال» الراسية في ميناء بيروت. رفض الشيخ اللقاء بسبب دعم اميركا لإسرائيل العدوانية، وقال بالحرف «ان دماءنا ما زالت تنزف في فلسطين» وطلب بلطف وهدوء من الزائر الاميركي إنهاء المقابلة. لكن الدبلوماسي الأميركي ظلّ جالساً في مقعده يدافع ـ بواسطة المترجم ـ عن اميركا وإسرائيل، عندها وقف الشيخ مغنيه محتداً وصاح بالاميركي بان يخرج من المنزل فوراً. كنت في الثالثة عشر من عمري مستمعاً مشاهداً لهذه المقابلة العاصفة بين والدي والاميركي والتي حفرت ذاكرتي ما حُيت.

نشرت في اليوم التالي ١٩٥٣/١١/١٦ صحيفة «المحرر» البيروتية الخبر بعنوان «هذا وطني عزيز» مع أن الشيخ مغنيه لم يخبر الصحافة بشيء. واعادت مجلة المقاومة الإسلامية اللبنانية «العهد» نشر الخبر في ١٢ رجب ١٤٩ هـ ، ١٩٨٩ م تحت عنوان «رجال ومواقف، عزّ واباء».

خلال كتابتي لهذه السطور سمعت عن الانفجارات التي قتلت حوالى ٣٠٠ وجرحت ٥٠٠ انسان كانوا يحيون ذكري عاشوراء في العراق كما سمعت عن مقتل ٤٨ شخصاً في باكستان كانوا أيضاً يحيون ذكرى عاشوراء. لترتوي ارض العراق من دم عشاق الحرية والكرامه، لترتوي من دم الذين يرفضون الظلم والاستبداد كما ارتوت تلك الارض من دم الحسين عليه السلام الذي استشهد وأهله مقاتلاً من أجل الحرية والعدالة. وفي السنة القادمة سيتضاعف عدد هؤلاء العشاق وسيضحون بانفسهم من أجل مبدأ الحق والهدى. نحن العرب والمسلمون كالتراب، كالهواء، كالماء، باقون لن نفنى ما دمنا نطالب بالحق.

أما في باكستان حيث يعشعش الجهل والتعصب والظلام فان النور والضياء قادم إلى هذا البلد مهما طال الزمان. ونحن نشك في عقل كل متعصب يخلق الفتن، يحاول أن يطفىء نور الشمس بظلام الجهل والتخلف.

كان الفقيه مغنيه من أشد الدعاة لوحدة المسلمين تحت راية القرآن ونبوة الرسول العظيم. كان من جماعة «التقريب بين المذاهب الإسلامية» في الزمالك بالقاهرة. وكان صديقاً حميماً للشيخ شلثوث رحمهما الله. واذيع سراً لم يأتي على ذكره الشيخ مغنيه لأنه يتنافى وطبعه. كان مغنيه متخفياً في القاهرة لا يريد ان يعرف احد يوجوده. لكن موفد المرحوم عبد الناصر اقتحم عليه غرفته في الفندق وطلب منه لقاء ناصر. اجابه الشيخ: «سلّم عالريّس، سوف ألقاه في القدس انشأ الله». والله شاهد على ايّة حال.

هذا الكتاب

يبين هذا الكتاب ان مقاومة العدوان ليست مجرد نظرية تجريد في تاريخ البشرية، وأن الإسلام لا يصارع أو يعارض ظاهرة المقاومة والعمل لتحرّر الانسان.

ان العقل والإرادة وحق الاختيار، وكيان الانسان كانسان وحقوقه المشروعه هي انتصار للإسلام ودعوة القرآن. ان أي عمل يخدم الانسان في أي جهة كانت هي في صلب الدين الإسلامي.

ان ما انزل به الله من تعاليم واحكام هي التصدي للظلم والاستبداد. كما ان الإسلام يقرّ بكل جديد مفيد فيه خير وصلاح للناس.

ومن نسب السوء إلى هذا الدين الذي يتعارض مع كرامة وحرمة الانسان فإنه يتعدى على حرمة الله بالذات، وإلا جدر به أن يُنسب السؤ إلى فاعله لا إلى الإسلام ذات. فهذا دس وتدليس على دين محمد والقرآن، وهو من وضع الوضاعين الجهله والمتعمدين. وما ذنب الإسلام إذا اذنب المسلمون.

تهمة الإرهاب

في هذا الكتاب فقرات من «التفسير الكشاف»[1]، لقد فسرّ الفقيه مغنيه فيها آيات الجهاد في القرآن التي تدعو إلى القتال ورد العدوان.

---

(١) دار العلم للملايين الطبعة الاولى ١٩٧٠

وشرح رأي القرآن والإسلام في هذا الموضع. وكتب كل ما يتعلق حول الجهاد أو ما يمت إليه بصلة.

نزلت آيات القتال والجهاد لإسباب خاصة واحكام خاصة في بدء الدعوه الإسلامية وما رافقها من ظروف وأحداث معينة. لكن رد العدوان موضع عام. وتنعت الادارة الأميركية /الإسرائيلية من خلال أبواقها الاعلامية وعملائها الإسلام بالإرهاب حتى اصبح الارهاب موضوع الساعة. وفي الولايات المتحدة ثلاثة دهاقنة: فرنكلين غراهم، جيري فالويل وبات روبر تسون، اثنجلين بروتستنت يدعون إلى ما يُعرف بالمسيحية اليهودية. وهم صهاينة من قمة رؤوسهم حتى اخمص اقدامهم. يشتمون الإسلام ونبيه باقذع البذاأت والقذارات وبتشيجع مبطن من حكام واشنطن.

تذكر آيات الجهاد ظلم البغاة للإنسان وكفاحه من أجل الحرية والسلام. فهذا هو المصدر القرآني المجرد، وهذي هي الينابيع الصافية قبل أن يعكّرها مسلمون.. ويربط الفقيه مغنيه تفسير هذه الآيات باحداث العصر، لأن الماضي هو الحاضر وهو المستقبل، ومقاومة العدوان تتغيّر بتغير الأحداث والمكان والزمان، لكنه نفس الانسان. ومن يقراء في التفسر «الكاشف عن الاحداث التي وقعت في الستينات من القرن العشرين والتعليق عليها، يظن وكانّ الشيخ مغنيه يتحدث عن الاوضاع الان في سنة ٢٠٠٤ م، وكانّ التاريخ يعيد نفسه ولكن بوقائع واحداث مختلفة. وكيف لا، والتاريخ يتمحور حول صراع الظلم والعدل منذ ان وُلِدَ الانسان.

عودة إلى الينابيع

هذا الكتاب يظهر حاجة المسلمين الماسة اليوم للعودة إلى ينابيع الإسلام الصافية الشفافة بعد أن أخرج الظلاميون الدين الإسلامي عن مساره العقلاني المستنير وشوّه تعاليمه الانسانية الجهلة والذين يتعمدون التضليل.

يقول النبي (ص): «اصل ديني العقل» وفتح الفقهاء باب «الاجتهاد»

ليكون الفكرحراً والحورا مفتوحاً للبحث والكشف عن الحقيقة المجردة ويكون طريقاً لتحرير لعقل من قيود التقليد والتعليب. والإسلام ليس دين القمع والارهاب كما يصوره الاعداء الغربيين والعرب والمسلمين المتغرّبين، مع ان الارهابين الذين يدّعون الإسلام موجودين في هذا العصر وكل عصر.

والجهاد في الإسلام ضرورة حتميه للدفاع عن النفس لان تنارع البقاء قانون طبيعي دهري قبل ظهور الاديان وسيستمر ابد الدهر طالما يقى العدوان وبغضّ النظر عن الاديان وغير الاديان.

تحت وطئة الطغط والفقر والمرض والظلم اصيبت فئة من المواطنين بحالة من اليأس الشديد وفقدان الامل من حدوث الاصلاح والتغير مما دفعهم في نهاية الامر إلى الانفجار. والصحيح، إنه لا علاقة للاصولية الإسلامية بالمجموعات الارهابية، والاصولية لا تعني العنف في الإسلام، وترجمت هذه الكلمة خطأ عن اللغة الإنكليزية: Foundalism وتعني المسيحية التوراتية. الاصولية في الإسلام تعني العودة إلى أصول الإسلام.

يستحيل فصل الاصلاح الاجتماعي عن الاصلاح الديني ـ والعكس بالعكس ـ في البلاد الإسلامية. والمفروض التحرر ممن أساء استعمال الإسلام حتى يتحرر المجتمع الإسلامي الفاسد المتخلف.

لا بد من الإشارة أن الفقيه مغنيه المغفور له، لم يضع عنوان: «مقاومة الإنسان للعدوان» لهذا الكتاب، إنما كتب عن مقاومة العدوان (الجهاد) في «التفسير الكاشف»، وتوليت شخصياً دراسة موضوع مقاومة العدوان في تفسير مغنيه القرآني، والتحقيق فيه وإعطائه عنوان «مقاومة الإنسان للعدوان» المستوحى من تفسير هذا الموضوع المذكور.

المسألة من المسائل الفقهية الخلافية، فبعض الفقهاء يرى اعتبار "حقوق النشر أو الطبع" والبعض الآخر لا يرى اعتبارها، ومنهم السيد الخميني والسيد الخوئي (رحمها الله تعالى). وليت ابن المؤلف المحترم ترك القارىء مع فكر أبيه الراحل (ره) وآثار هذه القضية - إن شاء - في محل آخر.

مكتبة مؤمن قريش

السطو على مؤلفات محمد جواد مغنيه في إيران

حق الإنسان اقرّه الله ويخالفه من يسطو على حقوق العباد في إيران. قال فيهم أي - اكلة الحقوق - تعالى: * لا تبخسو الناس اشياءهم، الأعراف ٨٥* وجاء تفسيرها في «الكاشف» لمغنيه «كما أمر الله بالصلاة والصوم، امر كذلك بالعدل وعدم البخس في جميع حقوق الإنسان المادية والمعنوية». وفي تفسيره للآية: * ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل البقرة، ١٨٨* كتب: «لا يجوز بحال أكل المال أو ممتلكات الآخرين دونما حق، كما ان الآية هي اشعار بوحدة الإنسانيه وتكافلها وتضامنها في تحمّل المسؤولية المشتركة. وتدل الآية واضحة على أن الإسلام يقرّ الملكية الفردية كانت كالمال والعقار، ام فكرية كالعلم والاختراع». وتكررت الآية: * يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراضى منكم.. ومن يفعل ذلك عدواناً وظلما فسوف نصليه ناراً...*. وكرر مغنيه التفسير: «لا يحل لاحد ان يتصّرف في ملكية غيره بطريق لا يقرّه الشرع، ولابد من رضى الطرفين في عقد أي اتفاق يتوخى الربح، ومن يأكل الحق بالباطل هو سارق وغاصب». وفي المجلد السابع في تفسيره «الكاشف» كتب: «أن الإسلام باصوله وفروعه يبتني على فكرة العدل وبذلك الاجر على الجهد والعمل الصالح، وهذا حق واجب أدائه في الشرع وفي منطق العقل والانسانية».

تملك (دار الجواد) حصراً الحقوق الشرعية والقانونيه لطبع ونشر وبيع مؤلفات الفقيه الراحل مغنيه، ولا يحق لاي جهة كانت نشر هذه المؤلفات وبيعها دون اذن مسبق.

يسطو الناشرون في إيران على جميع مؤلفات الفقيه مغنيه دون استثناء ويطبعونها دون اذن أو حق، ويبيعونها في معارض واسواق القارات الخمس حتى في عقر دارنا لبنان بالاتفاق مع ناشرين لبنانين على شاكلتهم، وباسعار زهيدة. مما سبب لنا الضرر البالغ والخسارة الفادحة ادت بنا إلى كارثه إفلاس دار الجواد دار محمد جواد مغنية. لقد اقفلوا في وجهنا السوق في إيران ولبنان، وفي الدول العربية والغربية، وقطعو عنا رزقنا. والإمام جعفر الصادق (ع) قال: «قطع الارزاق من قطع الاعناق». وهكذا... يرث لصوص الناشرين في ايران محمد جواد مغنيه ولا ترثه عائلته تحت سمع وبصر الدولة الإسلامية في إيران. وهؤلاء اللصوص المزوريين الايرانيين لا يجرأون على تزوير كتب المؤلفين من لهم حول وطول في إيران.

بحوزتي اتفاق مع «منظمة الاعلام الإسلامي» التي تغير اسمها فيما بعد إلى «رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية» تدفع بموجبه هذه المنظمة الرابطة حقوق التاليف لدار الجواد. وبعد مطالبةٍ ومطاردةٍ استمرت اكثر من عشر سنوات دفعت هذه المنظمة نصف حقنا لكتاب واحد. ثم امتنعت عن دفع الحقوق المتفق عليها، وانضمت إلى قراصنه الكتب وطبعث وما زالت تطبع مؤلفات والدي وباللغه العربية والإنكليزية والفرنسية وكان اخرها سبعة اجزاء باللغة الانكليزية عن العبادات كما جاءت في مؤلف مغنيه «الفقه على المذاهب الخمسه». والاغرب أن كل الذين يسطون على مؤلفات مغنيه يطبعون جملة «حقوق الطبع محفوظة»، يا للعار.

لقد ارسلت مطالباً بحقي إلى المرشد الاعلى آيه الله خامنئي دام ظله، وإلى منظمة الاعلام أو رابطة الثقافة، ولم يرد على طلبي أحد.. واعتقد ان الازلام والاتياع عند آية الله خامنئي لم تُوصل له الطلب بحقنا. ولقد

ارسلت من كندا إلى المسؤول عن منظمة الاعلام اذكّره بالاتفاق الذي تم بين دار الجود والمنظمة، وللمفأجاة، رجعت الرسالة وعلى غلافها كلمة «Refused» بالانكليزية أي مفروض، وعليها كلمة «NOTKNOWN» أي غير معروف. فهل يُعقل أن يكون هذا المسؤول مجهول وهو أحد الفاعليات المعروفة في إيران؟ إنها الذهنيه والمنهجية التي يعالج بها المسؤولين الإيرانيين مسألة (حقوق) الآخرين. وهذا منهج يخالف شرع الله.

أن العالم اجمع يحمي الملكية الفكرية إلاّ في إيران، فهل يجوز أن تظهر إيران الإسلام امام الرأي العام العالمي وكانها دولة يسرح فيها ويمرح دون حساب أو عقاب من ينهب حقوق الاخرين من فكر وعلم وفن واختراع؟ إلا يُسيء هذا التعدي السافر على حقوق الآخرين الشرعية، إلى ايران وسمعة الإسلام؟ لابد لحكام إيران وقف الاعتداء على حق المفكرين فهذا من حقوق الإنسان في شرعة البشر وشرعة الله.

إني املك كل الوثائق، والاثباتات التي تدين القراصنة الذين سطوا ويسطون على حقنا والذي بلغ مئات ألوف الدولارات. وفي الكتاب القادم سانشر الاسماء والأحداث بالتفاصيل والأرقام. وصدق علي (ع) حين قال: «ما ضاع حق ورائه مطالب».

ويتسأل المرء، لماذ لا اذهب ال إيران وارفع دعوى على هؤلاء المعتدين؟ وبخاصة، إنه لا يوجد فتوى بالتعدى على حقوق المؤلفين والمبدعين، مع أن المعتدين يروجون العكس، وإذا كانت الفتوى صحيحة فليظرها هؤلاء الكذابون. والجواب: ان تكاليف المقاضاة مكلفة لا طاقة لي بها. ولكني قد اضطرّ إلى رفع دعوى امام القضاء اخر الامر.

أطلب من حكام إيران أن يوقفوا مهزلة ـ مأساة السطو على حقوق المؤلفين والمبدعين في الجمهورية الإسلامية في إيران التي تدعم حق مقاومة الشعبين الفلسطيني واللبناني والتي تؤيد حقوق المضطهدين والمستضعفين في العالم.

وفي حال عدم منع عمليات القرصنة على حقوق المؤلفين والناشرين. فنحن ورثة محمد جواد مغنية نتمنى أن تمنع دولة إيران العتيدة مؤلفات الفقيه مغنيه من الطباعة والتداول في إيران، حتى نستطيع نحن الورثة أن نبيع مؤلفات الوالد محمد جواد مغنيه في بلدنا وطننا العربي. ونستطيع أن نمنع لصوص الحقوق من أكل حقنا.

اللاإسلاميين

قدمت افغانستان للعالم انموذج بشع عن الإسلام لأن الذين قاتلوا الاحتلال السوفياتي، تحولوا ـ بعد تحرير افغانستان ـ، إلى اقتتال عرقي وتصراع وحشي على السلطة، دمروا وطنهم، قتلوا وشردوا شعبهم، هذا هو الإسلام الذي يتذرع به بعض اللاإسلاميين.

الإسلام لا يقف ضد العلمانين والديمقراطين، وبالطبع ليس ضد القومية العربية العربيه المتحررة الغيرشوفانية وبالطبع يقف مع حركة التحرر الوطني، وليطّلع القارىء على هذه المواقف في المواضيع المذكورة في فصول الكتاب.

يعادي أكثر اللاإسلاميين من علمانيين وليبراليين ويساريين الإسلام، ويستدلوا على الدين الإسلامي من أعدائه، ومن ادعيائه الرجعيين والمتخلفين، والمتعاملين مع الاستعمار الذين تبراء منهم الإسلام وانكرهم المسلمون.

ولو أن اللاإسلاميين اكتفوا بالهجوم على اللاصقاء المنحرفين دون التهجم على الدين الإسلامي لكان لمواقفهم مبرراته المفهومة. لكن بعدائهم للإسلام المستنير وتجاهلهم لتراثه العظيم وتغيبهم لحضورة الهائل، إنما هذا تغيب لعقولهم، لأن الإسلام موجود وفعّال، ومن الافضل بكثير التعامل معه على الأسس والقضايا المشتركه التي يعمل لها الجميع كالتحرر الوطني والديمقراطية والعدالة الاجتماعيه. ومن المستغرب أن يصنف بعض اليسارين والعلمانيين انفسهم اعداء للإسلام كما يفعل الصهاينة

والاستعماريين، فهل يرضوا أن يكونوا في خندق مع امريكا وإسرائيل؟ أم أنهم نكايةً بالطهارة يتبولون في ألبستهم.

هناك حالة من العداء الفولوكلوري للإسلام مثوارث عبر الاجيال عند بعض الفئات بدافع التربية الطائفية والتغربية والحزبية، وقد تحول هذا العداء الفلوكلوري إلى (كره عصابي) للإسلام عند البعض مما يستدعي المعالجة الفردية لهذه العقدة النفسيه.

استراتيجية التحرير

كتب الفقيه مغنيه رحمه الله في مؤلف «من هنا وهناك» التالي: «هذا شعب فيتنام الضعيف اذل الولايات المتحدة اقوى دولة في العالم بسلاح المقاومة مع العلم أن الفيتناميين لا يقيمون للامام الحسين (ع) الذكريات والحفلات ومجالس عاشوراء. ولا يستشهدون في كفاحهم وجهادهم باقواله، ولكنهم في واقعهم على منهج المقاومة التي خرج من أجلها الحسين واستُشهد..

لا وسيلة لغسل العار والهزيمة إلاّ بالمقاومة المسلحة، من هنا افزع الشعب الفيتنامي اميركا واذلها، وطمع فينا شذاذ الآفاق وذؤبان الامم.. وكان ما كان يوم ٥ حزيران سنة ١٩٦٧.

اما انصاف الحلول، فهو خضوع الذليل واستسلام الحقير للعدوان، لقد قبلنا الحل السلمي، ورفضته إسرائيل، ولو كنا على مبدأ الحسين حقاً لا نعكست الآية...».

يقصد الفقيه مغنيه في عبارة «قبلنا الحل السلمي» ان العرب قبلوا بجميع قرارت هيئة الامم المتحدة الداعية إلى انصاف الحلول. ولو كانوا على مبداء الحسين (الجهاد) لفازوا وانتصروا، وكانت إسرائيل هي التي ستستنجد بالامم المتحدة وتستغيث كما تفعل اليوم انظمه العرب المستسلمة.

المقاومة هي البديل والاصيل والحل الوحيد للتحرير. وإسرائيل لا

تتنازل عن موقفها باي موقف أو أيّ أسلوب آخر غير القتال، لأن طبيعة نظامها ومعتقدها يقوم على إيمان ثابت مطلق وهو أكون أو لا أكون. أي اكون إسرائيل مكان فلسطين، واكون اليهود بدل الفلسطينين مسلمين ومسيحيين.

اما ان تعطي إسرائيل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فهدا مستحيل لأنه سيكون على حساب كيانها. وفاقد الشيء لا يعطيه. ولن يأخذ الفلسطينيون أي حق دون أن يقاتلوا من اجل الحصول عليه، هذا هو قرار إسرائيل التوراتيه..

الشارونية صريحة واضحة. وماذا سيفعل العرب المحرجين..؟ لقد خرج الاستعمار بالقوة من البلاد التي احتلها وإسرائيل اسواء منه بكثير، لأنها استيطان وليس استعمار، ولسان حالها يقول هذه أرضي انا..

اؤيد ما قاله الشيخ مغنيه وما يقوله الكثرين إنه لا حل مع إسرائيل إلاّ المقاومة. وتتعدد اسماء المقاومة، هي الجهاد، هي النضال، هي الكفاح، هي الصراع، ولكن تبقى المقاومة هي المقاومة. والمجد للبطل المقاوم أي كان: قومياً، يسارياً، يمينياً، علمانياً او إسلامياً. كلهم وطنيون، يرفضون الظلم، يحبون الوطن ويعشقون الحرية.

لقد علّمت إسرائيل العرب الخوف والانهزام، لكن المقاومة الإسلامية في لبنان حررت نفوس الشعب العربي من مرض«وهم» جبروت الاحتلال الاسرائيلي، وهذا هو الاهم، ومن ثم تُحرَرّ الارض بالقتال، بعد ان تحطم حاجز الخوف والهلع الذي بنته إسرائيل.

من قبل، وقفت النجف الاشرف وقمّ والازهر والمراجع الدينيه مع حركات التحرر الوطني العربي والعالمي، ولا تزال. ولا تقف اليوم شريحة من العلمانيين والتحزبيّن مع المقاومة الإسلامية اللبنانية الفلسطينيه في معركتها الوطنية ضد إسرائيل، متذرعين بأن المقاومة دينيّه. وكان الدين الإسلامي يدعو إلى الاذلال والعبودية. ونسأل هذه الشريحة.. هل تفضلون الاحتلال على التحرير؟

بالامس، حاربت شعوب الاتحاد السوفياتي، بكل فئاتها من ضمن «الجبهة الوطنيه العريضة» بقيادة الحزب الشيوعي، ودحرث «النازيين. وقاتل الشعب الفيتنامي باجمعه دون تمييز، مسيحيين، بوذيين، بورجوازيين وفلاحين، بزعامة هوشي منه الماركسي القومي، وانهزمت الاميريالية الاميركيه شر هزيمة. فلماذا تتحفظ هذه الشريحة من العلمانيين والمتخربين من ظاهره المقاومة الإسلامية والتي هي في التحليل النهائي مقاومة انسانية وطنية؟ ولماذا يخرق المتحفظون قواعد التاريخ.

لا تفرض المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين نمط تفكيرها وسلوكها على المواطنيين، وان فرضت نفسها بالاكراه فستسقطها الجماهير وتتخلى عنها. لانها الحرية والديمقراطية التي يصنع فيها الشعب النظام الذي يختاره لنفسه عن علم ودراية ومعرفة واختيار.

ايآت الحرية في القرآن بالعشرات وهي ديمقراطية الإسلام، وموضوع الكتاب القادم هو: «آيات الحرية: ديمقراطية الإسلام». الدين الإسلامي لا يفرض نفسه على الاكثرية وهو يدعو إلى حماية حقوق الاقلية ولا تَعارُض او تناقض في هذا مع تعاليم الإسلام ونصوص القرآن.

خاضت المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين الانتخابات، والشعب وحده يقدر سياسة النظام والمصير. وتمسك هذه المقاومة بجماهيرها من خلال مؤسساتها للرعاية الاجتماعية من تعليم واستشفاء وايواء. لقد انعم الله على هذه المقاومة بالجهاد والاستشهاد في ساحات القتال ضد الاحتلال وتعيش بالحرية والديمقراطية وتدعوا إليها. وبهذا، يكون الرد العملي على الجماعات الظلامية التي ترفض الديمقراطية وتعتيرها هرطقة، وتقتل كل من يخالف رأيها ولولا الحرية والديمقراطية لما وجدت المقاومة الإسلامية. فلا يجوز مقارنة المقاومة الإسلامية اللبنانية الفلسطينية بحركات الظلام. وكل التقدير والاعجاب كذلك، للحركة الوطنية الفلسطينية التي تقاتل ببسالة من اجل تحرير فلسطين.

لقد فسّر الفقيه مغنيه القرآن ابتدأً من سنة ١٩٦٧ بعد هزيمة ٥ حزيران

واسماه «التفسير الكاشف» ونشرته (دار العلم للملايين) سنة ١٩٧٠، وكانت حرب التحرير الفيتنامية على اشدها، وكنا جميعاً مبهوريين وما زلنا بالبطولات الفيتناميه الوطنيه وما تنزله من خسائر هائلة بالأميركيين حتى تحقق النصر لفيتنام. لذلك، يُكثر الشيخ مغنيه في التفسير من ذكر هذه التجربة الفيتناميه الفذة على اساس تحرير الوطن من براثن العدوان بالقتال، ودون الخوض في محاكمة الايديولجيات. المطلوب من العرب خوض حرب يشترك فيها كل الشعب من أجل تحرير فلسطين من اغتصاب إسرائيل. وهذا بالتمام ما يدعو إليه الإسلام وأي إنسان يرفض الاستعباد.

لذا، أرجو القاريء الكريم فهم الذهنيه الإسلامية المستنيرة التي آمن بها الفقيه مغنيه. لانها تميّز بين مباديء الإسلام الإنسانية الداعية للعدل والحرية، وبين مبادىء الظلاميين ومبادىء التلمود والتوراة التي تدعو إلى ابادة من يمنعها من تحقيق الاهداف اليهودية. بدليل ما تفعله إسرائيل بالشعب الفلسطيني بمباركة وتأييد أميركي مطلق.

فلسطين كربلاء المسلمين

تقتل إسرائيل الفلسطينيين من أجل إرهابهم وإلقاء الرعب في قلوبهم، حتى تتمكن من الهيمنة التامة عليهم وتصفية قضية فلسطين. لكن أحلامهم هذه مستحيلة التحقيق. فلا تستطيع أي جهة أو دولة أن تلغي وجود شعب آخر، طالما يقاوم من أجل حقه في الحياة.

الارهاب يوّلد الارهاب، كالفعل وردة الفعل. وسياسة شارون هي المسبب الحقيقي والمسؤولة عن سفك دماء الفلسطينيين وسفك دماء الإسرائيليين المضاد. وباستطاعة الشعب الإسرائيلي أن يوقف المجازر وأن يسقط شارون بالإنتخابات، ويأتي بغيره ممن يعطي الفلسطينيين حقهم المشروع. لكن هذا الشعب بأكثريته الانتخابية يؤيد شارون ويوافق على سحق كيان الشعب الفلسطيني الأمني والسياسي. فليتحمل إذن، الإسرائيليون مسؤولية مقتل العرب واليهود معاً، وليتحملوا تبعات موقفهم الداعم لارهاب الدولة. لعل شارون في تخيلاتهم سوف يحقق الأحلام التي تدغدغهم بانهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بالنصر المؤزر. وغداً سيكتشفون أنها أضغاث أحلام.

نصبّت أميركا نفسها عدوة للعرب والإسلام والمسلمين، وتعلن جهراً وعلانية من خلال أجهزة الأعلام في الولايات المتحدة أن أميركا وإسرائيل في الفراش معاً: «U.S.A. and Israel are together in bed» وصرّح بوش المتأله أن شارون رجل سلام. هذا هو الانحياز الأميركي المطلق للظلم الذي تمارسه إسرائيل على عرب فلسطين، ولا تقيم له المقاومة

الفلسطينية أي اعتبار، وتشتبك مع العدو الإسرائيلي في صراع دموي رهيب، وتفتدي فلسطين بالمهج والأرواح.

وللأهمية، نقرأ ما كتبه نتياهو حين كان رئيساً لوزراء إسرائيل، في جريدة نيويورك تايمز، عدد ١٢ تشرين الأول من عام ١٩٩٨، ونفهم من الذي فعلا يزلزل كيان إسرائيل، فقال: «يجب على الفلسطينيين التوقف عن تعليم أولادهم بين سن ٤ وسن ١٥ سنة أن يكونوا انتحاريين استشهاديين (Suicide Martyrs) لأن ذلك يشكل خطراً على إسرائيل. ونتياهو يعرف ذلك، كما يعرف أن الجيوش العربية لم تُنزل بإسرائيل أية خسارة تُذكر، بينما المقاومة في فلسطين ولبنان تفعل ذلك.

لا بد من التنويه أن الثورات التي تحدث التغير في التاريخ لها فلسفتها ومنطقها وقانونها الخاص. وهي لا تأخذ بالقوانين الوضعية مرعية الاجراء في دور القضاء في عهود السلام والاستقرار. فلا يصح مثلاً أن نطبق قانون العقوبات اللبناني على ما يجري من ساحات فلسطين من مقاومة الشعب الفلسطيني الدموية للاستيطان والاغتصاب الذي أغرق أهل فلسطين بدمائهم. إنه قانون الدم الذي يمليه العدوان الإسرائيلي. والمفارقة المهزلة أن قانون الاعدام لا يُعمل به في إسرائيل التي تتولى تصفية واعدام فلسطين والفلسطينيين ليل نهار.

كانت الشعوب وما زالت وقود للحروب والنزاعات. ففي القرن العشرين لوحده قتل أكثر من ٤٠ مليون من سكان العالم في الحروب العالمية والإقليمية والأهلية. وكانت غالبيتهم الساحقة من المدنيين العزل الأبرياء. أن رفض العنف والقتل موقف مثالي أدى إلى نتائج ايجابية لكنه ـ أي الموقف المثالي ـ نادراً ما يحدث في مسيرة الزمان. ومشاعر النبل والإنسانية لها الاحترام والتقدير، لكنها لا توقف المجازر ونزف الدماء الذي يصنع التاريخ. فالعالم ليس عقلانياً طوباوياً كما يصوره البعض، ولا مناص من مقاومة العدوان حسب ما تقتضيه ظروف الصراع، سلماً أو عنفاً. وفي كل صراع دموي عبر التاريخ، كان الناس الضحية والقربان.

هذه حركة التاريخ، شئنا أم أبينا. ولا يجوز لأحد أن يقفز فوق التاريخ ويستغرق في الاحلام، وإلاّ افتقد التحليل العلمي والموضوعية.

تصدى الحسين (ع) منذ ألف وأربعمئة سنة للظلم والاستبداد. وتخلى عنه الذين استدعوه لقتال السلطة الجائرة، وبايعوه ليحكم بينهم بالعدل، ثم تركوه وحيداً في ساحة القتال.

فهم الحسين الوضع العسكري السياسي على حقيقته، لكنه مضى وعائلته والعشرات من انصاره ليسجّل موقفاً تاريخياً انسانياً في كفاح وجهاد القوة الغاشمة التي تذل وتقمع الانسان.

كانت المذبحة في كربلاء، هجم جيش يزيد بعدته وعدده على أهل الحسين وصحبه الذين قاتلوا حتى آخر نقطة من دمهم، استشهدوا... ولم ينسى القتلة إقامة الصلاة، وتلاوة الصلوات على محمد وآله الذين مزقوهم في أرض المعركة.

كان اول المستشهدين مع الحسين قائد الفرقة العسكرية التي ارسلت لتصفية حفيد النبي، واعنى به البطل الحر الرياحي الذي الذي يقول عنه بعض المؤرخين إنه مسيحى. كما استشهد جوان المسيحي أيضاً دفاعاً عن ابنا الرسول في ساحة المعركة.

وطبيعي أن يقاتل المسحيين مع المسلمين في كربلا، ضد الظلم والطغيان.

أخطأ يزيد حين ظنَّ أن الحسين ابن علي حفيد النبي قد خسر المعركة. لقد ربح الحسين معركة الانسان في وجه الطغيان. انتصر نهج الحسين في كل نضال شعوب العالم على البغي والعدوان. لأنه صراع من أجل الحرية والعدالة وحقوق الإنسان، بغض النظر عن المعتقدات والأديان.

دحرت المقاومة الإسلامية العدو الإسرائيلي في جنوب لبنان لأن المقاومين جاءوا من كربلاء، وفي طريقهم إلى جبل عامل أرض المعركة،

استبدلوا السيوف والرماح بالقنابل والرشاشات. وقاتلوا وانتصروا «ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. . . .».

واليوم، تعود كربلاء إلى فلسطين، وما أشبه الفلسطينيين بأهل الحسين وصحبه. تخلت عنهم أنظمة العرب ومنعت شعوبها من المشاركة في حرب التحرير، والعالم يتفرج عليهم دون حراك، والمقاومة الفلسطينية تقاتل إسرائيل التي اغتصبت الأرض والانسان. فيُقتل المقاومون ويقتلون، إنهم على موعد مع الانتصار مهما طال الانتظار، ومهما عظُمت التضحيات.

والحق كل الحق، ان الانسان اعظم المخلوقات وكل الأديان والمعتقدات اتت لخدمته والعمل من اجله وما من قوة تغلب الإنسان. والشعوب تفعل المعجزات، وتنحت التاريخ كما ينحت الماء الجبال والوديان. على شرط أن تكون الشعوب حرة طليقة العقل والفكر والتعبير. وعلى الشعوب العربية أن تتحرر قبل ان تحرر فلسطين، وأن تتخلص من انظمة القمع والظلم والفساد.

كلما حاولت ان انهي هذا الكتاب اشاهد على شاشة التلفيزيون مجزرة جديدة ترتكبها إسرائيل بالشعب الفلسطيني. وآخرها مجزرة ٧ آذار، ٢٠٠٤ في مخيمين: البريج والنصيرات بغزه، حيث قتلت ١٤ عربياً وجرحت أكثر من ٨٠ مواطناً فلسطينياً.

لست يا إسرائيل اعظم من الولايات المتحدة التي قتلت ـ وباعترافها ـ مليونين من الشعب الفيتنامي ثم اندحرت وهربت من سطح سفارتها في سايغون.

لست يا إسرائيل اعظم من بريطانيا التي قتلت مئآت الالوف في الهند ثم انهزمت، وانتصر الشعب الهندي وزعيمها غاندي الذي قال: تعلمت الاستشهاد من الحسين وانتصرت».

لست يا إسرائيل اعظم من فرنسا التي قتلت مليون ونصف جزائري ثم استسلمت وسلّمت الجزائر لاصحابها. . . وبعد هزيمة العرب سنة ١٩٦٧

قال ديغول جنرال فرنسا الكبير: مساكين هولاء اليهود سوف تبتلعهم الصحراء العربيه يوما ما» .

ما يزال تراب جبل عامل عطِشاً لم يرتوي الكفاية من دمك يا اسرائيل، والحسينيين ما زالوا بانتظارك. . .

مصيرك يا إسرائيل مصير المستوطنيين الاوروبيين في جنوب افريقيا. . . والزمن طويل طويل، والسنة في عمر الامة كاليوم من عمر الانسان. الصبر الصبر والجهاد/ الكفاح سينتصر مهما حاولت إسرائيل السير والتقدم عكس مسيرة التاريخ والزمان.

ولتصمد المقاومة، أن الحرية والشعوب المستضعفة بحاجة إليها.

الكذب يحكم هذا العالم

كان الالماني غوبلز وزير الاعلام النازي في دولة هتلر اثناء الحرب العالمية الثانية يقول: «اكذب ثم اكذب ثم اكذب فلا بد أن تجد في النهاية من يصدقك». والكذب ظاهرة متفشية وسائدة في هذا العالم. والكذب على انواع: سياسي، مالي، تجاري، اجتماعي، ثقافي، كل أنواع الكذب متداولة والعياذ بالله. واخطرها، الكذب السياسي، لأن مصدر السياسة هو فعل «ساسَ» أي وجّة أو حَكَم أو ادارَ، فإذا حُكمَ الشعب بالكذب فعلى الامة والمواطن السلام. يلبس الباطل ثوب الحق فيظهر وكانّه حق، وتنطلي الحيلة على أكثر الناس، خصوصاً في بلاد التخلف، وينتصر الباطل. واسهل حلّ لأي مشكلة، يجري علاجها بالكذب والغش والخداع أكثر الاحيان في الوطن الخَرْب فتكبر المشكلة ويستعصي الحل لقد دُمرت شعوب وهُزمت بسبب الكذب. وعندما تُعرَف هذه الشعوب الحقيقه تكون الكارثة قد وقعت وفات الأوان. وعندما تصدّق الشعوب الأكاذيب والأوهام تسقط في الهزيمه، كما حصل للشعوب العربية التي لا تعالج الانظمة مشاكلها بصدق وموضوعية.

والكذب صناعة أن لا تقول الحقيقه حتى لا تُعرف، لكي يبقى الخراب والهباب ولكي تبقى الامتيازات والمصالح الشخصية. والصدق هو الديمقراطية والحريه والعدالة، وهو ـ اي الصدق ـ اساس الأساس للاصلاح والتقدم والرخاء وازالة الفساد والاوباء. لنتصور أن الطبيب يعالج المرضى بالاكاذيب، سوف يقتلهم بالطبع. وعلى فكرة، يستطيع الطبيب

النفسي أن يؤثر بالاختلاق والاوهام على مريض بريء ويدفعه لإرتكاب جريمة قتل. لهذه الدرجة تبلغ خطورة الغش والخداع الذي يدل على أن الكذب صناعة وعلم قائم بحد ذاته.

الكذب في الإسلام من الكبائر ، والكذب على الإسلام، يجري ـ كالعادة ـ على قدم وساق. ويقع الكثرين ضحية هذا الكذب والافتراء. أما الذين يعرفون إسلام الحق والعدل، ويقدموه نقيض حقيقته، فهم ابالسة محترفين، ولقد خبرت هذين الصنفين الجاهل والكاذب بشكل مستديم. وما أكثرهم!

وقفت منذ مدة اتأمل شلالات نياغرا بين أمريكا وكندا فاخذتني الرهبة. وبعد أن هدأث نفسي من شدة الانبهار. تذكرت أن شلالات أكاذيب السلطة الأميركية وصوتها المدوّي أعلى من صوت هذه الشلالات الربانيه. لقد اغرقت أمريكا الشرق الأوسط باكاذيبها عن العراق وفلسطين ولبنان وسوريا وايران، وهي تريد أن تترجم هذه الاكاذيب إلى وقائع وافعال تتجسد بابتلاع المنطقة باكملها. وافظع اكاذيبها شعارات الحرية والديمقراطية. إذا نالت الشعوب العربية حريتها وديمقرطيتها ستكون الولايات الخاسر الأكبر لأنها ستفقد هلمنتها على هذه المنطقة، ويضمحل الاستعمار الأميركي المتخفّي في ثوب النظام العالمي الجديد.

يرمي المفتري العفيفة بالعهر فتقتلها الاشاعة، فتقضي هذه البريئة كل أوقاتها ملتاعة تدافع عن نفسها وشرفها، وهكذا الصادق النزيه ينشعل كليةً بتبرئة نفسه. وهذا ما يريده المبطل الكذاب أن يشلّ الانسان الشريف عن التقدم والانتاج. وهذا ما تفعله أميركا فهي تنعث ظلماً وعدواناً المقاومة المشروعة في فلسطين ولبنان بتهمة الارهاب، والمقاومة من هذه التهمة براء. وليس عبثاً أن الوطنيه والإنسانية والعقيدة الإسلامية ترفض هذا الهراء القذر، وتستمر في مسيرة الجهاد والنضال حتى تتحرر من البغي والطغيان.

المكر والخداع، مُبرر في حرب الاعداء البغاة، لقد شرعته الارض والسماء، وهو ضروري للانتصار على العدوان. كما أن الكذبة «البيضاء»

في سبيل الخير والصلاح مبررة أيضاً. ومثال على ذلك، في اثناء الحرب الأهلية في قبرص، كان اعضاء من الامم المتحدة يقولون لقرية قبرصية تركية أن القرية المجاورة القبرصية اليونانية اعلمتهم بأنها تريد السلام، ثم يقول رجال الامم المتحدة نفس الكلام للقريه القبرصية اليونانيه عن القرية التركية. فتصدق القريتين ويتم السلام.

كثير من الاشخاص وبسبب العقد الدونية، يكذبون باستمرار على الآخرين، لكيّ يوثروا عليهم حتى يصدقونهم بانهم اشخاص مهمين خطرين. هذا النوع من البشر متفشي كثيراً من بلدنا، وليس هذا الموضوع للبحث والدراسة الآن.

وأخيراً، يجب التمعن بروية وموضوعية لفهم ظاهرة الكذب التاريخيه عند الفرد والجماعة، والدول، وفي الأعلام السياسي، والاجتماعي والاستهلاكي. كما يجب التوقف والتفكير بالمثل الفرنسي الذي يصف الكذاب بأنه «يكذب كما يتنفس» حتى نصل إلى فهم أفضل لهذه الظاهرة المرضية.

الدسّ والتدليس

الإسلام دين واحد لا يتجرأ، هو دين الله (جلّ) الذي انزله على رسوله (ص). ولكن يوجد عدة أديان إسلامية أخرى أتى بها من عندياتهم أفراد وجماعات تتعارض مع دين الله. وللتوضيح، أن المسلمين أصناف عديدة، منهم من أدرك بعلمه سمو الدين الإسلامي فدعا إليه. ومنهم، من اساء بجلهه أو نفاقه إلى الإسلام فشّوه تعاليمه واخترع دين جديد غير الذي انزله الله. والنبي محمد (ص) قال «العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله». لذا، يوجد (مسلمون) فسّروا الإسلام على غير حقيقته، حسب فهمهم الخاص أو حسب مصالحهم الخاصة فنصبّوا أنفسهم آلهة على الأرض يحاسبون الناس ويقتلوهم لمجرد أنهم يختلفون معهم في الرأي. فاساء هؤلاء إلى جوهر الدين الإسلامي، واظهروه كدين القتل والقمع والخرافة والظلام، والإسلام ليس كذلك.

التصرفات الخاطئه لجماعات من المسلمين شيء... وسمو تعاليم الإسلام شيء آخر. واسواء الذين ينتقدون الدين الإسلامي من يخلط بين العقيدة الإسلامية وبين اسأة استعمالها كتصرفات بعض المسلمين. أي إنه يمزج الإسلام الدخيل بالإسلام الاصيل، عن قصد أو غير قصد. فيختار المنتقدون بخبث الإسلام الظلامي الذي لا علاقة له بالإسلام، ويعلنوه ظلماً وعدواناً على إنه الممثل الشرعي الوحيد للدين الإسلامي. وبناً عليه، اخذوا يطلقون ارآئهم التي تتجنى على الإسلام فحقّ فيهم قوله تعالى: * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون، البقرة: ٤٢ *.

يعرف الجميع إسلام الحق، إسلام الحرية والعدل والأمن والرخاء. لقد كتب عنه: المعلم الأفغاني، الشيخ محمد عبده، الكواكبي، السيد محسن الأمين، السيد عبد الحسين شرف الدين، الشيخ شلتوت، الشيخ عبد المجيد سليم، محمد جواد مغنيه، محمد باقر الصدر، عبد الله العلايلي، وغيرهم... وغيرهم. ويقول المنتقدون المفترون أن هؤلاء العلماء المذكوريين «حالة إسلامية خاصة». وكانهم اتوا بدين جديد، مع إنهم «حالة إسلامية عامة» يمثلون الإسلام الاصيل الصحيح ويتحدثون عن الإسلام كما هو. والآخرين هم الذين هم الذين اساؤا إلى الإسلام المنزّل بالبدع والاضاليل.

اما تحميل الدين الإسلامي مساوي بعض المسلمين، واظهار الإسلام وكانه هو السيء وهو السبب في تصرفات المخطئين، فهذه عملية كذب وبهتان عظيم. في الغرب المسيحي مثلاً، رهبان يعتدون جنسياً على الاطفال ـ وقد احدث شذوذهم ضجة كبيرة ـ فلا يجوز القول اطلاقاً أن المسيحية تأمر بالاعتداء على الأطفال.. أو القول أن المسيحية تأمر الدول الاستعمارية التي يتبع سكانها الدين المسيحي، بالاعتدا على الشعوب المستضعفة ... معاذا الله. وهكذا يحصل للإسلام فإن التهم الكاذبة تُلصق به كل الاباطيل: كالظلامية، والتخلف والقمع والخرافة.

لا يميّز المنتقدون بين الإسلام الدخيل والاصيل ويدخلوهما ببعض حتى لا يعترف المفترون بإسلام الحق والهدى والضياء الذي لا تغيب معرفته إلاّ على المتعصبين والمدلّسين والجاهلين. لو يكتفوا بمهاجمة ظلامية وقمعية ممن يّدعي الإسلام وامثالهم الموجدين في كل الطوائف والأديان، لكانوا على الحق والصواب. ولكنهم يقصدون النيل من الإسلام ذاته، فيتعاملون معه بالطعن والتضليل والدس والتدليس كاي عدو للدين الإسلامي في الغرب الأميركي الأوروبي وإسرائيل.

والأغرب أن الذين يتهجمون على الإسلام في لبنان معظمهم غير مسلمين، ولا يتعرضون لليهودية بسؤ، وهي التي تأمر بالاعتداء وقتل

الابرياء والنساء والاطفال. ولا يتجرأون على مسّ المسيحية بكلمة حتى ولا على الذين يستغلون تعسفاً هذا الدين، إلا فيما ندر. لذلك يبدو أن الإسلام وحده يتعرض للرفض والاعتراض تبعاً للمرامي والاغراض، بينما تخرس الاقلام امام غيره من الاديان، وكانه الدين الديمقراطي الوحيد، مما لفت نظر المطران خضر إلى هذا الموضوع بالذات وصرّح في زوايته بجريدة «النهار»: بأن الإسلام دون بقية الأديان يحضى بالمناقشة والحوار».

لكن، لا يجوز التهجم على مقدسات وعبادات الآخرين.

غنيٌ عن القول. ان الإسلام دين سماوي ودنيوي. بمعنى إنه دين سياسة وسلطة ايضاً وضروري مناقشة ما يتعلق بحال الدنيا، ولكن بدون التجريح والإهانة. والمسلمين كتلة بشرية هائلة ـ ثلث العالم ارضاً وسكاناً ـ تتعلق بدينها ولا ترضى عنه بديلاً، مما يفقد في هذه الحالة الاحزاب اللادينيه الالتفاف الجماهيري الكبير أو صفة الحزب بـ (الجماهيري)، فاعتبروا أن الإسلام ينافسهم على السلطة والحكم، فاثار ذلك حنقهم وافقدهم موضوعيتهم واتزانهم. مع أن ابسط قواعد الديمقراطية أن لا يلغي أحد الآخر ويمنعه عن ممارسة حقه في تقرير مصيره. وفي النهاية سيكون النصر للعدل والحرية والديمقراطية. هذا ما تطلبه الشعوب من الإسلامين أو غيرهم. فالحقيقة، أن العدالة والحرية والامن والرخاء مطلب الإنسان، ومن يحكم بها، سيقف الشعب معه ويدعمه اياً كانت هويته الحزبية، علمانية أم إسلامية. الشعب مع حقوقه المشروعة وحسب. فإذا كان الإسلاميون قمعيون ظلاميون، فالشعب ضدهم، ولن يتخلى عن إسلامه العظيم. وإذ كان العلمانيون على صفات الإسلاميين الظلاميين، الشعب ضدهم أيضاً، وهو مع العلمانية التي تدعو إلى حرية الانسان والأديان.

فليحتكم الجميع إلى الحرية والديمقراطيه. ولتقرر الانتخابات النزيهة من يستحق أن يحكم بالعدل ويحقق اماني الناس.

لقد خبرت الكثيرين من الاشخاص الوطنيين الإنسانيين الشرفاء، اصحاب الأخلاق الحميدة. وهم لا يؤمنون بالفكر الديني لكنهم

ديمقراطيون حقيقيون، وهم خيرٌ من الذي يصلي ويصوم وهو اشرّ خلق الله. وقد اختلف معهم من مسائل كثيرة في الأسلوب لا في الأهداف الوطنية والإنسانية، لكن خلاف الرأي لا يفسد في الود قضية. والفقية مغنيه كتب عن هذا الموضوع في العديد من مؤلفاته، وفي هذا الكتاب أيضاً.

وإلى القرّاء الكرام هذا الفيض من غيض الافترأات على الإسلام عامة وعلى المذهب الشيعي خاصة. لقد نشرت إحدى الصحف البيروتيه في ٩٨/٧/١٨ مقالا لاحد المفترين، تحت عنوان «في انتهاك المقدس للمقدس» حيث استشهد باقوال غيره مختبئاً ورأها ليدلي برأيه وتجنيه، فكتب عن مجالس عاشورا بأنها: «أحدى الرغبات المكونة للبنية الاودبية: رغبة قتل الاب». وينقل بأن وظيفة كربلاء تكشف «جهود ما زوخية محبطة من حيث الاشباع الجنسي». وأيضاً «ويقوى افتراض عاشوراء اشباعاً بديلاً من حاجات جنسية مكبوتة». هكذا.. يطغى هذا الحاقد بواسطة النقل لا العقل ليوشوّه ويروّج الكذب والبطلان لإعظم موقعة جهادية تصدت للظلم في تاريخ الإسلام، حيث خرج الحسين (ع) للجهاد والاستشهاد رافعاً شعار «هيهات منا الذلة». فيحوّل هذا المتجنّي مناسبة عاشوراء التي ثارت على الظلم والاستبداد إلى عُقد فرويديه جنسيه.

نعلم ان «الهمج الرعاع» الذين ذكرهم الإمام علي (ص) في احدى خطبة موجودين في كل الطوائف الإسلامية وفي كل الأديان ولا يخلو منهم مجتمع بشري، فالاكثرية الإسلامية مثلاً، لا تقبل ولا تفعل ما يفعله السوقة والعوام من اراقة الدماء والتطبير وضرب الرؤوس وايذاء الاجساد في عاشوراء والخلاف بين المتنورين الشيعة والسوقة والعوام هو حول أسلوب الاحتفال بعاشوراء، وليس الخلاف حول مناسبة عاشوراء. استنكر فقهاء المسلمين هذه العادة المشينه وعلى رأسهم السيد محسن الامين ومحمد جواد مغنيه. كما حرّم فقهاء السنة الكبار حفلات الزار والترقيص والهذيان.

من الضروري أحياء ذكرى عاشوراء لاجل شحذ الطاقات وتعبئة

الامكانيات والدعوة لنصرة الحق وردع المعتدين. وما دموع كربلاء سوى يقظة الضمير والوجدان. أما البكاء والندب الحزين عادة طبيعية بشرية قبل وبعد الأديان. وكما قال علمائنا الافاضل، لمن أراد أن يبذل دمائه في عاشوراء لاجل الحسين، فليهرع إلى بذلها في قتال العدو الإسرائيلي، لأن المقاومة الحسينية في جنوب لبنان تجسيد فعلي لملحمة عاشوراء.

أما تشبيه عاشوراء من قبل هذا الموتور بالمازوخية والاودوبيه فهو تشبيه يشيعه ويروج له اعداء الإسلام والمسلمين وهو هراء بهراء. وبعد كربلاء، يعود هذا الحاقد إلى مرجعياته المعادية للإسلام ويتبين لنا إنهم ـ اي المرجعيات ـ متخصصين جداً في الطهارة والنجاسة والعبادات الخاصة بالمسلمين ، ويتبين أن الهاجس الوحيد لهؤلاء العدائين للإسلام، وشغلهم الشاغل هو: نجاسة البطن والميت والتكفّن والغُسل وطهارة العضو الذكوري والانثوي والقفا. أما إسلام الحرية والجهاد والعدل والامن والرخاء، والاجتهاد والعلم والفلسفة وأما التاريخ الذي غير مجراه الإسلام وأما ما يجرى الآن من مواجهة مصيرية بين العقيدة الإسلاميه والجبروت الأميركي الإسرائيلي. هذا كله.. ليس من اهتماماتهم بشيء. لأنهم يعزلون المباديء الإسلامية عن تطور وتقدم الحياة. ويركزون على غسل القضيب والدبر الذين استحوذا على عقولهم. وهم يريدون أن يبقى الإسلام والمسلمين في الحمام ويتركون الدنيا لهم لأنها خُلقت لاجلهم وحدهم وبالمناسبة هذه الصحيفة التي تنشر هذا النوع من المقالات، تدعو إلى اللواط وتطبع عليه صفة الشرعية. وهم ـ أي المنتقدين ـ متجاهلين بذلك الديمقراطية الحقيقيه التي يتحتم على الشعوب أن تمارسها وتختار نظام العيش الذي تشاء. هؤلاء المعاديين للإسلام يتذرعون بمسائل فقهية وعبادية تخصّ اتباع الإسلام ولا تضرّ بغير المسلمين. والحرب التي اعلنوها على الإسلام، تخالف حقوق الانسان في ممارسه عقيدته الدينية والعبادية، وهذا نقيض الشعارات التي ينادون بها.

وهذه الطرفه لها معزى ومعنى.. كانت الولايات ولا زالت تترنح من هول الصفعة الصاعقة التي انزلتها بها الثورة الإسلامية في إيران سنة

١٩٧٩. فجنّ جنون الإدارة الاميركية واطلقت صدام حسين لمهاجمة ايران، وسلّطت اجهزة الاعلام لتهشيم هذه الثورة العتيدة. فكتب المعلق الرئيسي لصحيفة «ديترويت نيوز» انذاك ساخراً من الإسلام والمسلمين، بأن الخميني رحمه الله كتب في رسالته الدينية عن تنظيف وغسل القفا كشرط ضروري لإقامة الصلاة. فارسل إليه أحد الدعاة الإسلاميين رداً نشرته الصحيفة، قال: صحيح أن المسلمين ينظفون القفا والجسد والثياب لتصبح طاهرة، فالنظافة من الإيمان الإسلامي فكراً وجسداً. ثم يسأل المعلّق: هل من اعتراض على نظافة الإنسان ونظافه إيمانه؟ ويسأله ايضاً: إلا تعتقد أن الساسة الأميركيين بحاجة إلى تنظيف عقولهم من الأفكار القذرة التي تتحالف مع الشيطان من أجل مصالح اميركا الذاتية. لم يجب المعلّق على اسئله الداعية، لكنه نشر الرد التزاماً بالديمقراطية الصحفية.

في صحيفة لبنانيه بتاريخ ٩٨/٦/٦، تهجم أحدهم على الزواج المؤقت (المتعة) عند الشيعة ولم يذكر عمداً اسأة استعمال الزواج المؤقت عند بعض العامة من المسلمين الشيعة. لأن الهدف في نشر الكلمة النيل من الإسلام. في ٩٨/٥/١١ نفس الصحيفة وتحت عنوان «الجسد الإسلامي وزينته» يغوص فيها المستكتب في بطون الكتب الصفراء ينكش وينبش الخرافات لكي يشيعها ويذيعها حتى يلحق الضرر بالإسلام. يحدث هذا الحكواتي: «روى الموروث الإسلامي الشيعي أن الائمة دعوا إلى التختم (بالزمرد) فصاحبه مُثاب ولا يرى مكروهاً» والصحيح، أن المسلم يُثاب بايمانه بالله وحسن عبادته واعماله الصالحة. وفي القرآن «من يعمل مثقال ذرة خيريرة ومن يعمل مثقال ذرة، شرّ يره». ويضيف (المعلّك): «أن صلاة ركعتين بفصّ عقيق تعادل الف ركعة»، صدقوا أو لا تصدقوا، فإذا صلّى الإنسان اذن الفي ركعة بهذا الفصّ قد ضمن الجنّة..؟ ويتابع بوق الاباطيل: «أن حجر (عين الهر) يصلّي عن صاحبه ويستغفر له، وأن الشعيرات في باطن الحجر هي من شعرات الإمام علي بعدما حلق رأسه ورمى شعره في أرض النجف فتكون على هذه الصورة» وهكذا، يستخف هذا الثرثار بذكاء المسلمين وأهل الدين وهو يتمترس خلف هذه الاباطيل

ولا يستنكرها أو يقرّ بأنها تدجيل لا يمت إلى الإسلام بصلة. بل بالعكس، يظهرها وكانه الإسلام. هل رأيتم إلى أي مستوى منحطّ وصل إليه هؤلاء الحاقدين؟ هذا ما تنشره واحدة من أشهر صحف بيروت!!

أن الحديث في الإسلام يستند إلى القرآن والسنة النبوية واحاديث الرسول وما قاله أئمة أهل البيت وما اجتهد به الفقهاء الكبار. وتصنّف الاحاديث إلى مراتب ودرجات منها: الصحيح، والضعيف، والمرفوض، أي المختلق الذي لا يقبل به عقل إنسان. ومن شروط صحة ومصداقية الحديث أن يوافق عليه جميع المسلمين باختلاف طوائفهم ومذاهبهم، فيأخذون به ويعتمدون عليه. اما الاحاديث التي تنال من الإسلام والصحابة دون توثيق أو اثبات بل مجرد رواية فهو حديث مرفوض في قانون الإسلام لأنه يفتقد شرط الاجماع. وهذا النوع من الأحاديث يُدين الذي حدّث به كالذي يروى بأن الإسلام يقدس المعادن والاحجار. وان عاشوراء سببها جنسي.

صنف آخر من المعادين للإسلام، لا يجرأون على اعلان رفضهم العلني للدين الإسلامي. فيحاورون ويداورون ويتحجون بالشوائب والمساويء التي ليست من الإسلام، متذرعين بالعلمانية تارة وبالحرية والديمقراطية تارة اخرى، وهدفهم الحقيقي النيل من الدين الإسلامي وتدميره، وانتقادهم هو للهدم وليس للبناء خلاف آخرين ينتقدون بحق الاخطأ وبنيّة البناء. والمؤسف أن الظلامين يساعدون الهدامين بخرافتهم واضاليلهم. وهذا مثلاً تفسير للسلفيين للآية القرآنيه «الله على العرش استوى» جسدوا الاله بإنه يجلس على العرش كالإنسان. بينما فسرّ المستنيرين دعاة الحق بأن العرش يرمز إلى السلطة والحكم ولا يعنى الكرسي أو المنصّة والصولجان التي يتربع عليها فراعنة الشعوب.

والمستغرب أن بعض رجال الدين الذيين يتحدثون باستمرار عن الإسلام لا يردوا على الترهات التي تُنشر في الصحف لتسميم عقول الناس ولتبشيع الدين الإسلامي وكانّ الامر لا يعنيهم. ورحم الله الفقيه مغنيه الذي

كان يُلقم حجراً كل من يتهجم دون حق على الإسلام، وعلى حركة التحرر الوطني والعالمي.

أن الدس والتدليس على الإسلام يعيق تقدم الحركة الإسلامية المتحررة، ويمنع توظيف طاقاتها الإيجابية في حركة التغير لمصالح الجماهير، التي تتطلع إلى الانعتاق من التحكّم في مصيرها ونمو معيشتها المتمثل في هيمنة اميركا وإسرائيل والانظمة المتحالفة معها.

أن اوضاعنا الحرجة تتطلب من جميع الفرقاء الشرفاء روية واضحة مشتركة، واعادة التحليل والتقيم، واتباع خطة جديدة حتى تتخلص من سطحية التفكير ومن التعصب والتصنيف لكي نتمكن جميعاً من معالجة الازمة التي نتخبط فيها. البعض، خلق حالة حادة من العدواة والخصومة المفتعلة والغير مبررة مع الحركة الإسلامية التي تدعو للحرية والديمقراطية، أي ان الإنسان مخيّر غير مسيّر إلا في المسائل القدرية، بعكس السلفية التي تقول إنه مسيّر وكفى.

ليس الدفاع عن الإسلام تعصباً، إنما دفاع عن الإسلام المُفترى عليه. والمؤسف إن أقوال المعادين للدين الإسلامي، تتوافق مع أقوال أعداء العرب والمسلمين، فيستغلها العدو ابشع استغلال. وليس هذا ابتزازاً أو اعتراضاً على حرية الفكر، وايات الحرية وحق الاختيار في القرآن بالعشرات، لكن اتهام الإسلام غير صحيح، لأنه يركز على المناسك والعبادات. وهذه شعائر دينيه لا تأثير لها على حياة الإنسان الذي لا يهمه أمرها. لكنها مهمة لمن يمارسها وهي حق اساسي من حقوق الإنسان.

نقراء ونسمع المنتقدين، ويبدو وكانهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، أوانهم يعرفون ويؤدون مهمة الهدم ـ التي تسعى إليها اميركا واسرائيل ـ عن سابق إصرار وتصميم. فأهم صفة للإسلام عليهم فهمها، إنه عقلاني وعلماني ـ راجع سورة محمد من هذا الكتاب ـ قال الرسول: «اصل ديني العقل». الإسلام عقلاني ديمقراطي، لأنه يحمي الاديان والمعتقدات الأخرى إلاّ إذا سفكت دماً أو افسدت في الأرض. نزل في القرآن: ﴿

فمن شاء منكم فيلؤمن ومن شاء فليكفر، الكهف : ٢٩٩* و * لا اكراه في الدين، البقرة: ٢٥٦* والآية * ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بانفسهم، الرعد، ١١* أيّ ان الإنسان حر بما يعتقد. وحسابه عند ربه إذا آمن بالرب أو لم يؤمن. وهذا قليل من كثير مما في القرآن. لكن المتهجمين يتعامون عن هذا الموضوع القرآني.

ليست طالبان ولا المتطرفين الغلاة المنتشرين في العالم الإسلامي يمثلون الإسلام إنما يمثلون إسلامهم الخاص. وهذا لا يعنى الدفاع عن أمريكا وإسرائيل والأنظمة القمعية التي تدور في فلكهما. فالحرية والديمقراطيه. والعلم والتغير للتخلص من التخلف والفساد واحداث الاصلاح. لكن وحدة يجعل المسلمين بملايين ملايينهم ـ إذا اتحدتوا ـ يجعلهم قادرين أن يتصدوا للاعدا، أميركا وإسرائيل والاذناب، وهذا ما يدعو إليه الإسلام.

أن اغراق الأسواق بالآف المطبوعات واطنان الكلام في اجهزه الاعلام بالنقد السلبي التهجمي يدل على أن أصحاب هذه الاراء ضد الإسلام ولا يجرأون على قول ذلك، ولا يقبلون بالدين الإسلامي كوسيلة أو كحلّ أو كغاية، ولا يذكرون للدين الإسلامي حسنة واحدة، مع أن العقيدة الإسلامية غيرت مجرى التاريخ، والحضارة العربية الإسلامية كانت احدى الحضارات العظمى الخمس في تاريخ البشرية. وهم ـ أي المفترين ـ غير منطقيين، وخلقوا جواً محموماً من النقاش، لكنهم نجحوا من بلبلة النفوس وتسميم الأفكار، ويترافق تهجمهم مع الهجمة الاميركية الإسرائيلية المسعورة على الإسلام، مما يثير الشبهات حول هولاء الناس.

قال المعلم جمال الدين الافغاني: «ان العدل إله يعبد». وقال: «كان الإسلام في العقل والقلب فاصبح في الجبة والسطل. فلا بد للعقل الإسلامي أن يتحرر من القيود التي كبلته والشوائب التي شوهته». وامثال جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده كُثر. والمشكله ليست في إسلام الحق. المشكلة في الادعياء والحاقدين الذين يريدون تدمير هذا الدين.

وبكلمة، قال على (رض): «يكون المرء إما أخوك في الدين إما نظير لك في الخلق»، أي أخوك في الإنسانيه. وقال عمر (رض): «متى استعبدتم الناس ولقد ولدتهم امهم احرار؟» ان الإنسانية والحرية والعدالة هي المبتغى المطلق، ومن لا يعمل لهذا الهدف هو من شياطين الإنس، فليذهب إلى الجحيم غير مأسوف عليه.

هذه الكلمة التعليق، ليست في التاريخ الإسلامي، إنما في الإسلام ذاته.

المقاومة الإسلامية والاعلام المضاد

قبل الدخول في المقال لابد من التذكير بالكلمة المأثورة «يهم القول ولايهم القائل» خصوصاً، إذا كان القائل لا يستحق الذكر وهو مجرّد احدهم من الذين يدسون على الإسلام وجهاد المسلمين لمقاومة العداوان ويطعنون بهم وبدينهم.

تكلم الفقهاء كثيراً عن معنى الجهاد في الإسلام. إلاّ أن الشهيد الثاني العاملي لخّص في كتابه «المسالك» كل ما جاء في كتب الفقه بعبارة واحدة فقال: «إذا دهم المسلمين عدو يريد الاستيلاء على بلادهم فدفعه واجب».

ان حق الدفاع عن النفس مقدّس بما فيه استعمال القوة لردع العدوان. إنه «القانون الطبيعي» الذي يحكم البشرية منذ أن وُلد الإنسان. و «المقاومة الإسلامية» واجب ديني هو (الجهاد)، إلاّ أن مقاومة الاستبداد والاستعباد حق طبيعي وإنساني لكل الناس في نفس الوقت. فلماذا يتهجم بعضهم على «المقاومة الإسلامية» التي تمارس حقها الديني الإنساني الطبيعي كما يفعل كل البشر؟

نشر احدهم تعليق صحفي بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢٨، تحت عنون «حزب الله، الحريريّة.. والصداميّة ملحمة الحياة الخاوية» ناعتاً المقاومة الإسلامية (بالخواء)، وبنعته هذا يبدو إنه هو الخواء نفسه، فكان التعليق بمثابة حرباً اعلامية رخصية كاذبة. والمعلق يفتري ويرفض إسلامية المقاومة ولا يقبل

انجازاتها العمليّة وانتصاراتها الفعليّة، ولا يقبل أيضاً إنها أحد مظاهر الصراع العربي الإسرائيلي. ويقول أن ما تفعله المقاومة في قلوب جماهيرها فيه شبه وتماثل ظاهر بما انجزه صدام حسين في عراقه. وعن تكبير الصور لشهداء المقاومة وقادتها، وتجسيد الرموز الإسلامية، كتب: «إنما تحاول ـ المقاومة الإسلامية ـ خلب ابصار مشاهديها والبابهم، واخلاء قلوبهم الخاوية اصلاً ومخيلاتهم الفقيرة الناضبة».

لقد تعمدّ هذا الحاقد دمج المقاومة الإسلامية مع صدام فرعون العراق في محاولة غبيه لإلباس الحق ثوب الباطل حتى يضيع الحق في لجّة الاتهام والتبشيع والتشويه، فيتملكنا اليأس والاحباط ويُقضى على املنا في التحرير.

ثم تجاوز المعلق حدّه فكتب عن المقاومة إنها في معرضها بالصالة الزجاجية التابعة لوزارة السياحة: «استحدثت احدث أاشكال التسويق والتسليع الوثنية المتّبعة في العالم الرأسمالي الغربي... فعلى نحو ما تُعرض حاجيات النجوم العالميين في السينما والغناء والرقص، وثيابهم ومقتنياتهم في المزادت العلنيه» وتابع «أن (المقاومة الإسلامية) جلبت ثياب امينها العالم السابق (السيد عباس الموسوي)، وكذلك ثياب استشهادية لنجل امينها العام (هادي حسن نصر الله) الذي عُرضَ مريول طفولته المدرسي إلى جانب ثيابه الملطخة بالوحل والدماء».

وهكذا اذن... المقاومة وثنية، وثياب المجاهدين تُعرض كالثياب الداخلية للغواني والراقصات في العالم الغربي الرأسمالي.

هل قرأتم يا أهل الحق والانصاف اسفافاً وابتذالاً اكثر مما كتبه هذا المخلوق الذي يتناسى التعبئة النفسية والسياسية للجماهير من أجل حرب التحرير. ويُغيّب عن وعيه كل الامم التي تحفظ اعمال قادتها وحاجياتهم في متحف دائم للتكريم. اما الاتحاد السوفياتي السابق فقد حنّط جثتي قائديه لينين وستالين. ولماذا لم يذكر ناشر المقال العجيب، أن المقاومة تعرض إلى جاب صور الشهداء واغراضهم، خوذات الجنود الإسرائيلين

ومعداتهم العسكرية، فهل عزّت عليه خودات ومعدات الإسرائيليين هذه واحرقت قلبه؟؟

وفي نهاية المقال القذر جاء: «وإذا كان الهاتف الخليوي النقال أحد أكثر اللعب الفاتنة ابهاراً واشهاراً... فإن الشهادة وطلبها هما اشد الاحلام الهذيانية سطوعاً وابهارً في مخيلة المقاومة ومقاومة جمهورها».

ذكرني كلام هذا الموتور بالآية القرآنية * موتوا بغيضكم، آل عمران ١١٩*.

الواقع، أن العدائية الانفعاليه تجاه المقاومة الإسلامية هي من إحدى مظاهر العدائيّة لكل ما هو إسلامي حتى ولو كان على حق. وهذا دليل على تعصب هذا النوع من الافراد ومعتقداتهم الحزبية والسياسية حتى ولو كانت على باطل. كذلك يلعب الاحباط وفشل اصحاب هذه المعتقدات في انجاز أي مشروع وطني لان بعض اعضائها مشبوهين ككاتب هذا التعليق. إلى جانب ان هذه الايدولوجيات غير جماهيرة ولا يثق الشعب باصحابها بينما المقاومة الإسلامية تحضى بتأييد المواطنين لا نجازاتها الوطنية. وعندما حررت المقاومه جنوب لبنان من الاحتلال سنة ٢٠٠٠م، وحررت الاسرى المقاتلين من السجون الإسرائيلية، انكتم هؤلاء المدّلسين واسقط في يدهم.

لقد ارسلت رداً على هذا التعليق المشبوه بصيغة تحليلة مركزة لكن الصحيفة العتيدة التي نشرت التعليق لم تنشر الرد عليه عملاً بـ لا للديمقراطيه ولا للرأي الآخر، والذي ـ أي الرأي الاخر ـ سيُقرأ ويُسمع ويُشاهد على اية حال. والهدف من الرد أن يعرف القرأ نوعية التفكير الخطير اللاعقلاني عند بعض مدّعي الوطنيه والعقلانيه.

الهيمنة الأميركية تتحدث عن نفسها..

في ٣ حزيران ١٩٩٧ أعلن حكام أميركا الحاليين الذين كانوا خارج السلطة آنذاك عن «مشروع القرن الأميركي الجديد (١)» الذي يهدف إلى هيمنة أميركا على العالم. وصرحوا عن خطتهم المعلنة، بأن ميزان القوى الدولي انتهى عهده، وربحت أميركا الحرب الباردة، وأصبحت القوة الأعظم الأوحد التي تستطيع أن تسيطر بمفردها على الساحة الدولية دون أن يمنعها أحد. وأهم ما جاء في اعلان مشروعهم:

احتلال العراق للسيطرة على منابع النفط وتوفي إدارة الموارد المالية للمشروع التجاري البترولي برمته.

* جعل العراق محمية اميركية وقاعدة عسكرية دائمةً لقواتها.

* اطلاق نار تحذير فوق الصروح التي تضلل حكام الشرق الأوسط حتى لا يعترضوا على المشروع الأميركي.

* إسقاط عدة أنظمة عربية بما فيها مصر والسعودية المتحالفة مع الولايات المتحدة.

* الحدث المطلوب تحقيقه على المدى الطويل هو عصرنة واصلاح داخلي للإسلام.

قررت أنظمة القمع والهزيمة العربية التي غيّبت شعوبها عن الحرية والديمقراطية، وجعلتها بلا حول ولا قوة. قررت ، أن تذعن للشروط الأميركية والخطط المعلنة بشرط أن تبقى حاكمة لدولها، لأن هدفها

الحقيقي الحكم وليس التحرر والتنمية. هذه الحكومات العربية اضطرت لأن تلعب لعبة الديمقراطية التي تأمرهم بلعبها أميركا، لأن الحرية والديمقراطية الحقيقية يستحيل أن تقبل بالهيمنة والتبعية للحاكم الأميركي، الإسرائيلي، أو العربي. والديمقراطية التي تدعو إليها اميركا في الشكل لا في المضمون.

يعرف القاصي والداني، أن حكام أميركا اليوم جادون ولن يتراجعون عن تنفيذ مخططات الهيمنة المبيّة، والتي بدأوا بتنفيذها بالفعل، رغم الخداع وذر الرماد في العيون لتغطية مخططاتهم الاستعمارية. إنهم المحافظين الجدد المتغطرسين، ويمين اليمين المتصهينين المبهورين بفكر وأسلوب شارون في الحكم، مثلهم الأعلى والقودة التي تُحتذى. ولا عجب، فشبيه الشيء منجذب إليه.

«القوة شر» ـ Power is evil كلمة شائعة للمسيح (ع) في الإنجيل، يرددها المؤمنون دعاة السلام الأميركيون. وقول المسيح حق، فغريزة الهيمنة الأميركية تنبع من قوتها الرهيبية، ولا تنبع من رجاحة عقلها، وتعاليم المسيحية الحميدة، لأن العدل والقوة نادراً ما يجتمعان ومع أن أميركا دولة مسيحية إنجيلية، لكنها أقرب إلى توراة اليهود التي تقول في سفر التثنية: «وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب على وجه الأرض». والكلام موجّه لبني إسرائيل، لكنه ينطبق على طروحات وتصرفات الحكام الأميركيين والإسرائيليين المفتونين بالهيمنة التي استحوذت على عقولهم وقلوبهم. وزاد في تسلّط السياسة الأميركية، كارثة 11 أيلول 2001 بمدينة نيويورك التي نزلت على المسؤولين الأميركيين كتفويضاً إلهيا لممارسة رغباتهم التسلطّية وتبريراً لعدوانيتهم على العرب والمسلمين. والشعب العربي والإسلام من تهمة الارهاب براء.

استبدلت أميركا الحرب على الشيوعية بالحرب على الارهاب الإسلامي. وفي مولفه الشهير «صور المثقف» كتب المفكر العملاق الراحل

ادوار سعيد: «إننا (نحن) الأميركيين مهددون من جانبهم (هم) المسلمين، والنتيجة جهل وتعصب، بدل المعرفة والمشاركة». وفي صحيفة نيويورك تايمز عدد ٢١/١١/١١٩٣ نشر الدكتور سعيد مقالاً مبكراً يفضح فيه أكذوبة «الإسلام الارهابي» الذي تروّج له أبواق السلطة الإعلامية والثقافية في أميركا، وكان المقال تحت عنوان «التهديد الإسلامي الزائف». ونشرت صحيفة النهار عدد ٢٨ أيلول سنة ٩٦ مقالاً للدكتور سعيد بعنوان «نظرية شيطانية حول الإسلام» يرد فيها على افتراءات الكتاب التي تشوه الإسلام وتطعن فيه، متذرعين بالظلاميين الذين أخطأوا فهم الدين.

هذا هو ادوار سعيد المنصف الشاهد على الحق المنزّه عن الأهواء. ويا حبذا لو أخذ بنزاهته الكتاب الذي يتهجمون على الإسلام.

التعدي.. والتصدي...

رب قائل، ان أميركا تؤدي دورها التاريخي والطبيعي في هيمنتها العالمية، لأنها أقوى دولة على وجه الأرض في زمانها. وهي تقوم بما قامت به الامبراطوريات التي سبقتها في السيطرة على العالم القديم، كسيطرة الاستعمار البريطاني والفرنسي على العالم الحديث، فلا شيء جديد في التاريخ. صحيح هذا لاكلام، لأن القوة غاشمة معظم الأحيان في كل زمان ومكان. والصحيح كذلك، أن الشعوب تؤدي أيضاً دورها التاريخي والطبيعي في منع تسلّط الآخرين عليها والغاء حريتها وحقها في الاستقلال، وهي تناضل للتخلّص من التحكّم والعسّف كما ناضلت الشعوب من قبلها. فالعدوان ومقاومة العدوان صراع أبدي مستمر، لأنه ظاهرة التاريخ والإنسان. ومقاومة الشعب ـ مهما عظمت التضحيات ـ هي التي تصنع التاريخ، والشعب وحده يعرف طريقه، ويعرف كيف يفرز قادته، وكيف يتصدى لأعدائه، وكيف ينتصر في النهاية. ولنستحضر التاريخ لنتأكد كيف كان وسيكون مصير الطغيان في كل العصور.

ليكفّ المحللين والسياسيين ودعاة الاستسلام عن الحديث الممل ـ

البريء منه والمشبوه ـ عن ما يفيد ولا يفيد في طريقة التعامل مع اميركا وإسرائيل، فالمنتصر يملي شروطه على المنهزم والمستسلم. وحكام واشنطن وتل أبيب ليس لديهما للعرب سوى حل واحد ألا وهو الاذعان لأنهما في مركز القوة والغلبة واستراتيجيتهما واحدة وثابتة، استبقاقية ومقررة سلفاً. ولن تتنازل أميركا عن الهيمنة أو تتنازل إسرائيل عن الاستيطان، بسبب الخطابات الاعتراضية للدول العربية، وعندما يقاوم العرب بجدية وفعالية سوف يسقط حكماً المعتدين في أوطانهم وفي الوطن الذي يقاومهم، لأن خسارتهم للرجال والمال فوق الاحتمال. وعلى المقاومة أن تتحمل أيضاً الخسائر الجسام حتى يتحرر الوطن والانسان. لقد أيقن الشعب العربي أن أميركا ـ وباعترافها ـ لن تُجبر اطلاقاً إسرائيل على اتخاذ موقف لا تقبل به. والسبب سيطرة اللوبي الإسرائيلي على السياسة الأميركية الشرق الأسطية، أن الاصولية الاڤنجّلية البروتستنتية التوراتية المسيحية السائدة في الولايات المتحدة لها تأثير قوي على الحكم الأميركي للحفاظ على إسرائيل لأن المسيح (ع) بمعتقدها سيظهر في إسرائيل اليهودية لا في فلسطين العربية. . . والمطلوب طرد العرب أو ابادتهم. وتقتضي الموضوعية معرفة الحقيقة من كل جوانبها عند التحدث عن هذا الموضوع.

البرغماتية الأميركية

لم تعد تنطلي على أحد زيف شعارات الحرية وحقوق الانسان التي يدعو إليها حكام الولايات المتحدة بعد أن وقفت أميركا مع كل طواغيت العالم حفاظاً على استكبارها ومصالحها. دعمت الشاه وسوهارتو، بينوشيه وسوموزا وغيرهم. . . ما زالت تقف في وجه أية حركة تحرر وطني لا تلبّي رغباتها. وفي بدء غزوها للعراق أظهرت عدم اكتراثها بالرأي العالم العالمي، لأنه تهتم فقط بالرأي العام الأميركي الذي تغسل دماغه بمسائل ووقائع مفبركة ، حتى لا يعرف الشعب الأميركي الحقيقة فيُسقط المسؤولين بالانتخابات وترتاح أميركا والعالم في تطرفهم.

كشف المعلّق الرئيسي بيل شنايدر لمحطة التلفزيون CNN في 14/ 12/ 2003 عن وجه السياسة الأميركية في برنامجه السياسي فقال: «أن أميركا تقف دائماً مع أهون الشرين، وتتعامل مع عدو عدوها، كما فعلت مع صدام في حربه الضروس ضد الخميني والثورة الإسلامية في إيران». ولم يقل لنا شنايدر أن اميركا ساقت صدام أيضاً لغزو الكويت حليفتها لأسباب استراتيجية أميركية تتعلق بإحكام السيطرة على المنطقة العربية. وتركت صدام عمداً يولغ بدماء مئات الألوف من شعبه حتى قضى على عنفوانه وكرامته وشلّ قدراته وارادته. فسقط العراق السقيم العليل أمام جحافل الأميركيين. والشعب العراقي كالشعب الفلسطيني وكل شعب يرفض الاحتلال ويقاومه حتى يستقل بقراره ووطنه.

تتعامل البرغماتية الأميركية مع النتائج، مع واقع الحال، ولا تقتضي على أسباب المشكلة لتمنع حدوثها، لأن ذلك لغير مصلحتها. فهي لا تتصدى لمعالجة أسباب الارهاب لتجهز عليه، لأنه المبرّر لسياسة الهيمنة الأميركية العالمية وحجتها لمحاربة الارهاب مقنعة بنظر الأميركيين، ولأن الولايات المتحدة بحاجة دائماً لوجود عدو خطير يهدد ايديولوجيتها وتفوقها، فتجعل هذا الخطر «قضية أميركية» لتستمر في ممارسة هيمنتها ونفوذها الهائل... ويا للمأزق الذي وقع فيه الإسلام بعد أن سقط خطر الشيوعية فاستبدلته أميركا بخطر «الارهاب الإسلامي» المفتعل. هذا، ما ينعق به مثقفي السلطة وأبواقها طوال الوقت. ويتجلى التناقض الأميركي في تعاملها مع الخطر بأنها تستخدم الاسلوب السهل الذي يريحها ويوصلها إلى هدفها المنشود، لكيّ لا تجابه الخطر الصعب والمستنفر للاشتباك معها، ولما سئل بول وولفويتز نائب وزير دفاع أميركا: لماذا لا تجتاحون كوريا الشمالية رأس محور الشر؟. أجاب: «لأنها تملك قنابل نووية وليس لديها بترول» أي أن أميركا العظمى اجتاحت العراق المهترىء، ولا تجرؤ على اجتياح كوريا الشمالية القوية. مما يعني أن الفرسان الأميركيين المرسلين من الرب لنصرة الحق والحرية مجرد عبارات لفظية دعائية غير صحيحة.

وإلا لماذا تنصر اميركا الاغتصاب الإسرائيلي الإستيطاني الإجرامي في فلسطين؟

لا تميّز البرغماتية الأميركية بين أي جهة وأخرى تسير في ركابها وتخدم مصالحها، ديمقراطياً كان أم قمعياً إسلامياً ظلامياً أو مستنيراً، علمانياً حراً أو فاشياً. تتعاون أميركا مع من يتعاون معها بدون محاباة أو تمييز لأحد. وهدفها أن تخضع لها الأوطان بغض النظر عن هويتها الايديولوجية، وعن من كان ويكون. فهي تفعل ما تقتضيه مصالحها سيّان أن كان هذا الفعل إنسانياً أو غير إنسانياً، فهي تتقدم وتتراجع حسب تأثير المستجدات والمجريات بالسلب أو الايجاب على تحقيق أهدافها بأن تخضع لها الأوطان وحسب. وتخضع الأمور عندها لموزاين الربح والخسارة، فلا تعمل للحق من أجل الحق. وهي ليست جمهورية افلاطون ولا مدينة الفارابي الفاضلة وكل من يصدق معلّقات الإصلاح والحرية والعدالة، إما جاهل أو متجاهل منافق. وهي ليست ـ أي أميركا ـ القضاء والقدر المُنزّل كما يصوّرها بعض الإعلاميين في لبنان والبلاد العربية.

عندما كنت ادرس علم الاجتماع في الستينات بالولايات المتحدة علمت أن لهذا الوطن وجهاً آخراً مضيئاً، كالواقع ذاته الجميل والبشع. فاستقبال اميركا منذ تأسيسها لمئات الملايين المهاجرين إليها من أجل حياة أفضل، هو الوجه الأكثر اشراقاً لهذه الأرض الواعدة. وأعجبتُ بأحرار الثورة الأميركية كباتريك هنري وصيحته الداوية: «اعطني حريتي أو اعطني موتي...»، وبجفرسون وهاملتون، وبنجامين فرانكلين الذي وجه رسالة (٢) إلى الكنغرس الأول يحذّر فيها من أن الشعب الأميركي سوف يستخدمه اليهود في النهاية، لا محال. وصحّت نبؤة هذا الرجل الكبير فالمصارف ووسائل الاعلام والسياسيين بالاجمال في قبضة اليهود الأميركيين. ولا بد من التنويه بالرؤساء المشهورين لنكولن الذي حرّر العبيد، ونلسون الذي دعا إلى حق الشعوب بتقرير المصير، وروزفلت الذي تصدى للفاشية والنازية وجون كيندي الذي تجرأ أن يقول لشركات الاحتكار والمافيا: لا. وتعلمت أن طبيعة النظام الأميركي يبتني على

مفهوم «الزبدة والمدفع». يرمز المدفع إلى القوة والزبدة إلى الرخاء. وتعلمت أن نظام أميركا الرأسمالي يميني حتى الليبرالي الاميركي يميني أيضاً.

أما الأدباء أمثال: مارك توين، جاك لندن، تنسي وليامس، وجون شتنباك وارنست هامنغواي فهم خالدون لما قدموا من روائع لتراث البشرية الخالد. إنما الاعتراض، على هذه الادارة الأميركية التي نصبت نفسها قيّمةً مهيمنةً على شعوب العالم الثالثي دون أخذ موافقتهم. وهذا يتنافى مع ابسط قواعد الحرية والديمقراطية. والتحية للأميركيين من مواطنين ومثقفين وفنانين وسياسيين العاملين من أجل حرية وكرامة وحقوق الإنسان.

(١) ينشر أصحاب المشروع أفكارهم ومخططاتهم على البريد الإلكتروني:
HTTP://WWW.NEW AMERICAN CENTURY ORG/

(٢) الرسالة معروضة في المتحف الأميركي بواشنطن.

التفسير القرآني

سورة البقرة

«إن التكرار من أجدى الوسائل للترغيب والاقناع، وقال غوستاف لوبون في كتاب الآراء والمعتقدات: «من يكرر لفظاً أو صيغة تكراراً متتابعاً يحوله إلى معتقد»... وقال الدكتور جبسون في كتاب كيف تفكر: «للعبارات حين تكرر أمام أعيننا، وعلى مسامعنا مرة ومرة فعل مغناطيسي على عقولنا».

[التفسير الكاشف المجلد الأول، صفحة ٩٦]

❀ ❀ ❀

المحقق: الهدف في التكرار لمعاني القرآن هو الرد على ادعاأت الاعلام الكاذب وغسل الادفعة لتمرير الظلم والفساد. فالاعلام المضاد للحق والحقيقة يُظهر المظلوم وكانه المعتدي والظالم هو المعتدى عليه. وتستدعي الحكمة الرد باستمرار على اعلام الباطل حتى لا يتمكن في تسميم عقول الناس.

❀ ❀ ❀

*** فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين، ٦٥ *. «اختلف المفسرون: هل كان المسخ لمن اعتدى في السبت من اليهود مسخاً حقيقاً، بحيث صارت**

أجسامهم وصورهم على هيئة القرود، أو ان المسخ كان في الطبع، لا في الجسم، تماماً مثل: ختم الله على قلوبهم، ونظير كمثل الحمار يحمل أسفاراً؟.

ذهب أكثر المفسرين إلى الأول، وأن المسخ كان حقيقة، عملا بالظاهر الذي لا داعي إلى تأويله، وصرفه عن دلالته، لأن تحول الصورة إلى صورة أخرى جائز عقلاً، فإذا جاءت آية أو رواية صحيحة على وقوعه أجريناها على ظاهرها. حيث لا حاجة إلى التأويل.

وذهب مفسرين اخرين كالشيخ محمد عبده في الحديث إلى الثاني وأن المسخ كان في النفس، لا في الجسم، وقال كما في تفسير المراغي: «ان الله لا يمسخ كل عاصٍ، فيخرجه عن نوع الانسان، إذ ليس من سنته في خلقه.. وسنة الله واحدة، فهو يعامل القرون الحالية بمثل ما عامل به القرون الخالية.

أما قول عبده فصحيح في نفسه، كمبدأ عام، وقاعدة كلية ولكن لهذه القاعدة مستثنيات، تستدعيها الحكمة الإلهية، كالمعجزات، وما إليها من الكرامات.

لقد وصم القرآن والانجيل اليهود بأنهم أعداء الإنسانية، وتاريخهم يشهد بهذه الحقيقة، ومن أجل هذا يحرصون كل الحرص على التأكيد بأنه لا فرق بين القوميات، ولا بين الأديان، وألفوا لهذه الغاية الكتب، وأسسوا المعاهد، وبثوا الدعايات، وأنشأوا الجمعيات، كالجمعية الماسونية العالمية التي أضفوا عليها ثوب الإنسانية.

وبمناسبة الحديث عن اليهود نشير إلى جماعة من الصهاينة تقيم في أميركا كمركز رئيس لها، واسم هذه الجماعة: «شهود يهوه» وهدفها الأول والأخير اشاعة الفوضى، واثارة الفتن الدينية في جميع أقطار العالم، بخاصة العالم العربي، والتنبؤ بفناء العالم وتصدر هذه الجماعة العديد من النشرات والكتب بجميع اللغات ، وبأغلفة ملونة، تسرب الكثير منها إلى بلادنا، كما تُصدر مجلة باسم برج المراقبة، ومن الكتب التي نشرتها كتاب

في الطعن بمحمد (ص) والقرآن، واسم هذا الكتاب «هل خدم الدين الانسانية» وكتاب (ليكن الله صادقاً) وكتاب (نظام الدهور الآلهي) (والحق يحرركم) (والمصالحة) و(ملايين من الذين هم أحياء لن يموتوا أبداً) وقد طبع هذا الكتاب ببيروت.

واكتشفت حكومة القاهرة بعض أعضاء جماعة شهود يهوه، وكانوا يعقدون اجتماعات سرية، فقبضت عليهم وشرعت بمحاكمتهم في الشهر الرابع من سنة ١٩٦٧.

ومن تعاليم هذه الجماعة إنه جرى صراع طويل ومرير بين الله والشيطان دام ستين قرناً، ثم اعتزل الله، وسلم دفة الحكم والادارة للشيطان يتصرف كيف شاء، لأن الشيطان أبقى الله وحيداً فريداً لا أحد معه إلا أمة إسرائيل، ومن أجل هذا قال الله للشيطان: خذ الناس، كل الناس، واترك لي هذه الأمة.. وهكذا تم الاتفاق بين الله والشيطان.. ولكن الآية ستنعكس في النهاية، لأن أمة اسرائيل ستملك من النيل إلى الفرات، وسيخرج الأنبياء من قبورهم ويتولون أعلى المناصب في دولة إسرائيل، وبالتالي يخضع العالم كله لهذه الدولة، ويُخذل الشيطان، وينتصر الرحمن.. ولهذه الجماعة أنصار وعملاء في بيروت وعمان وبغداد ودمشق والقاهرة والسعودية والمغرب.

والغرض من هذه الاشارة التنبيه إلى رأس الحية، وإلى الأصابع التي تحرك في الخفاء بعض المؤلفين ومحرري الصحف، وتضع لهم الخطط لاشاعة للفوضى والفساد، واثارد النعرات الطائفية، والفتن الدينية في بلادنا».

[التفسير الكاشف المجلد الأول صفحة ١٢١، ١٢٢، ١٢٣]

المحقق: الواقع، أن شهود يهوه معاديين للدين الإسلامي والقضية العربية لكن الاصولية الانجيلية أي المسيحية البروتستانية في الولايات المتحدة هي التي لها تأثير قوي على الحكم الأميركي لحفظ ودعم دولة

إسرائيل، لأن المسيح (ع) حسب معتقدها سيظهر في إسرائيل اليهودية لا في فلسطين العربية. لذلك، يتوجب اقتلاع الشعب الفلسطيني، وطرده وتغيبه عن فلسطين حتى تبقى إسرائيل لكي تستقبل المسيح وتتحقق النبؤة. هذي هي المسيحيّه اليهودية التوراتية في أميركا، وهي خلاف المسيحيّة الداعية للمحبة والرحمة التي نعرفها، وهي لا تشكّل ولا تمثل اكثرية المسيحيين الأميركيين. لكن نفوذها ـ أي المسيحية اليهودية ـ قوي واعلامها منتشر في الولايات المتحدة وتجمع أموال طائلة. ويتزعم هذا التيار الاثنجلي الاصولي ثلاثة اسطاين من الدعاة هم: فرانكلين غراهم، جيري فلويل. بات روبرتسون الذين يفترون على الإسلام والقرآن باكاذيبهم القذرة. وهم يعتقدون أن المعركة قادمة ويطلقوا عليها اسم Armegedon وسينتصروا فيها بالتأكيد وسيتخلصون من العرب والمسلمين إلى الأبد، وعندها سيظهر المسيح ويقيم الدولة الاثنجلية التي تُلغي الآخرين الذين على غير مذهبهم وافكارهم.

والمستغرب، أن اليهود أيضاً ينتظرون ظهور المسيح، لكنه غير المسيح بن مريم المُقدّسَين في المسيحية والإسلام. فكيف يتفق اليهود مع الاثنجلين الاميركيين رغم اختلافهم حول هوية وشخصية المسيح؟ والجواب، لأنهم ـ أي الطرفين ـ صهاينة حاقدين على العروبة والإسلام.

❀ ❀ ❀

*** ولتجدنهم احرص الناس على حياة، ٩٦ * «أن الدافع الوحيد لليهود هو مصالحهم الشخصية، ومنافعهم المادية، إنهم يعيشون على الظلم والطغيان والدليل إنهم كفروا بتوراتهم، وقتلوا أنبياءهم، ولا سبب إلا حرصهم على المنفعة الذاتية، وكل من حرص على منفعته لا يجدي معه جدال بالحسنى».**

[التفسير الكاشف المجلد الأول صفحة ١٥٥]

❀ ❀ ❀

المحقق: لا يعرف الكثيرون أن اليهود لا يؤمنون بالآخرة أي بيوم القيامة، ولا بالجنّة ولا بالنار التي تخلو التوراة المتداولة من ذكرها. والعيش في الدنيا هي حياتهم ومماتهم، ثوابهم وعقابهم. لذا، تراهم احرص الناس على حياة، متمسكين بان يبقوا احياء اغنياء قدر المستطاع، ولا يؤمنون بالاستشهاد والانتقال إلى الفردوس في السماء.

❀ ❀ ❀

*** او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم، ١٠٠ * «يهدف الداعون إلى التعايش السلمي ـ فيما يهدفون إليه ـ أن تحل الخلافات بين المتخاصمين بالمؤتمرات والمفاوضات... ولكن قد علمتنا التجارب أن المنطق السليم، والمحاجة بالحسنى لا تجدي شيئاً مع أرباب الامتيازات والمنافع الشخصية... فمحال أن يتنازل أهل الأطماع عن أطماعهم إلا بوسائل الضغط والتخويف.. أن التعايش السلمي يحتاج إلى عقل متفتح، وخلق كريم.. وأي خلق كريم عند من لا يؤمن الاّ بالطغيان وأية حجة تقنع المعتدين أهل الطمع والجشع!**

أن التفاوض بالطرق السلمية، والرضوخ للحق لا يتحقق على وجهه الأكمل إلا إذا كانت جميع الأطراف المعنية مؤمنة بالحق لوجه الحق.. ومحال أن يهتدي إلى خير، ويرجى منه الخير مَنْ لا يؤمن إلا بذاته، ولا يهتم إلا بنفسه وكيانه».

[التفسير الكاشف المجلد الاول صفحة ١٥٨، ١٥٩]

❀ ❀ ❀

المحقق: يقوم الساسة الإسرائيليون بلعب الادوار المختلفة المتفق عليها، فرابين مثلا، يوقّع اتفاقية اوسلو مع الفلسطينين وشارون يدّمرها. وتستمر الحال على هذا المنوال ليضيع الشعب الفلسطيني وتضيع القضية الفلسطينية وتبقى إسرائيل التوراتية إلى الابد لان هذا قدرها، حسب اعتقادهم.

وليكفّ المحللين والسياسين ومنظري الهزيمة ودعاة الاستسلام العرب عن الحديث المملّ ـ البرىء منه والمشبوه ـ عن ما يفيد ولا يفيد في طريقة التعامل مع أميركا وإسرائيل. فالمنتصر يُملي شروطه على المنهزم والمستسلم، هكذا علمنا التاريخ. وليس لديّ حكام واشنطن وتل ابيب للعرب سوى حل واحد إلا هو الاذعان. لانهما أي أميركا /إسرائيل ـ في مركز القوة والغلبة، واستراتجيتهما واحدة وثابتة، واستباقية ومقررة سلفاً. ولن تتنازل أميركا عن الهيمنة على الشعوب المستضعفة، أو تتنازل إسرائيل عن سرقة فلسطين والاحتفاظ بها، وعن الاستيطان بسبب الخطابات ومؤتمرات الكلام الاعتراضية الفلكلورية للدول العربية. وعندما يقاوم العرب من يصادر حقوقهم المشروعة بجدية وفعالية سوف يسقط حكماً المعتديين في أوطانهم وفي الوطن الذي يقاومهم. لأن خسارتهم الشديدة للرجال والمال فوق الاحتمال. وبالمناسبة، ما زالت أميركا قادرة على احتمال قتل جنودها في العراق، واحتمال الكلفة المادية حتى الآن لقاء ابتلاع العراق بنفطه الدّفاق، وهي مستمرة في الاحتلال لانها لم تصل بعد إلى الخط الاحمر حيث يستحيل عليها تحمّل الخسائر الفادحة أكثر من ذلك. أما إسرائيل فهي تتحمل الضربات الموجعة ولكنها في النهاية ستضطرّ مكرهة لاعطاء الشعب الفلسطيني حقه المشروع. وعلى المقاومة الفلسطينة أن تصمد وتتصدى وتضحي بالأرواح والغالي والنفيس حتى يتحرر الوطن والانسان.

لقد ايقن الشعب العربي أن أميركا ـ وباعترافها ـ إنها لن تجبر اطلاقاً إسرائيل على إتخاذ اي موقف لا تقبل به. والسبب سيطرة اللوبي الإسرائيلي التامة على السياسة الأميركية الشرق اوسطية.

❀ ❀ ❀

ملتزمون بالحق

«وكتب مغنيه: ان الإسلام نعى على المبطلين والظالمين، وحاجّهم بالعقل والضمير، ونصحهم بالحسنى، وأمرهم بالمعروف، ولكنه لم يجعل

لأحد سبيلاً عليهم بغير الموعظة الحسنة إلا إذا تجاوزوا الحدود، واعتدوا وضللوا الأبرياء والبسطاء عن الحق بالافتراءات والدعايات الكاذبة، فان فعلوا شيئاً من هذا وجب ردعهم وتأديبهم، وقد بيّن الله ذلك في العديد من آياته: منها الآية ١٩٣ من سورة البقرة * فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين *

[التفسير الكاشف المجلد الأول صفحة ٢١٧]

* ولنبلونكم بشيء، من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، ١٥٤ *.

«ما اتبع الحق واحد إلا دفع ثمنه من نفسه، أو أهله، أو ماله، وكلما عظم الحق عظم الثمن المرير، ولولا هذا لم يكن لأنصار الحق من فضل، ولاتّبع الناس، كل الناس الحق... وبهذا نجد تفسير الحديث الشريف: «البلاء موكل بالمؤمن.. وان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم الأمثل فالأمثل».

[التفسير الكاشف المجلد الأول صفحة ٢٤٢]

* وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين، ١٩٠، ١٩٣ *.

الإسلام حرب على الظلم والفساد

والحق أن الإسلام أجاز القتال في موارد: منها الدفاع عن النفس. ومنها قتال أهل البغي.

إن جواز القتال دفاعاً عن النفس لا يدل على عدم الأذن بالقتال لغاية

أخرى، كالقضاء على البغي والفساد.. أن الإسلام يجيز الحرب والقتال من أجل التدين بدين الحق والعدل، لان العدوان كفر بذاته في مفهوم الإسلام، ويحرم القتال من أجل استعباد الشعوب، ونهب مقدراتها، والسيطرة على أسواقها. لقد أجاز الإسلام العنف للقضاء على الجرائم والآثام، والدفاع عن حقوق الإنسان وحريته وكرامته.. وأثار المستعمرون الحروب، وسفكوا الدماء، وسخروا العلم للتخريب والفناء من أجل النهب والسلب، وسيادة الظلم والعدوان.. هذا هو الجواب الصحيح الذي ينبغي أن يجاب به الذين يحاولون النيل من الإسلام ونبي الإسلام متذرعين بأنه دين القتال والسيف.. أن الإسلام إيجابي، لا سلبي.. إنه حرب على كل من لا يدين بدين الحق والعدل، ويبغي في الأرض الفساد.. والكفر بالله ظلم وفساد في دين الإسلام وشريعته.

في سنة ١٩٥٧ صدر كتاب بالولايات المتحدة، اسمه «مستقبل الطاقة الذرية»، واسم المؤلف تريتون، جاء فيه أن التقدم العلمي خفض كثيراً سعر قتل الانسان، فقبل القنبلة الذرية كان قتل الرأس البشرية يكلف العديد في الجنيهات، وبعدها أصبح يكلف جنيهاً واحداً، وبعد القنبلة الهيدروجينية أصبح يكلف شلناً واحداً. بعد شهادة تريتون لا يجوز ابداً الاذعان لقتلة الانسان.

ولا بد من الاشارة بهذه المناسبة إلى أن فقهاء المذاهب الإسلامية كافة اتفقوا كلمة واحدة على أن كل من انتهك حرمات الله مستحلاً لها ولسفك الدماء، ونهب الأموال المحرمة بضرورة الدين فهو والكافر بالله سواء، حتى ولو صلى وصام وحج إلى بيت الله الحرام، بل أن هذا أسوأ حالاً ممن كفر وحرّم سفك الدماء ونهب الأموال، وكف أذاه عن الناس.. أن كلاً منهما كافر ما في ذلك ريب، ولكن هذا كافر كف شره وأذاه عن عباد الله وعياله، وذاك كافر مسيء إلى الله وعباده وعياله.. قال رسول الله (ص): «خير الناس أنفع الناس للناس، وشر الناس من تخاف الناس من شره». ومرة ثانية أن كل من أنكر حكماً شرعياً ثبت بالبديهة الدينية واجماع المسلمين كافة فهو كافر بالاتفاق، وأن تولد من أبوين مسلمين، ونطق بالشهادتين.

وقوله تعالى: *ولا تعتدوا* أي لا تقاتلوا بدافع المنفعة الشخصية، بل قاتلوا بدافع انساني شريف، وقصد الذب عن الدين والحق، ولا تقتلوا النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، ولا تخربوا العمار، وتقطعوا الأشجار.. وكل هذه التعاليم وما إليها قد وردت في السنة النبوية.

* واقتلوهم حيث ثقفتموهم * أي اقتلوا الكافرين المعتدين في أي زمان أو مكان كانوا إلا في المسجد الحرام فإن القتال فيه محرم إلا أن يبتدئوا به.

* وأخرجوهم من حيث أخرجوكم *. أخرج مشركو مكة النبي (ص) وأصحابه منها، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ورسوله، فأمر الله نبيه والمسلمين إن عادوا إلى مكة منتصرين أن يخرجوا منها من لا يؤمن بالله ورسوله، تماماً كما فعل المشركون من قبل جزاءً وفاقاً.

* والفتنة أشد من القتل *. هذا تعليل لجواز قتل المشركين الظالمين، والمراد بالفتنة هو التعدى الذي سبّب القتال.

ومن أجل هذا جار لكم قتلهم واخراجهم من ديارهم.. ومهما يكن، فان المراد من لفظ الفتنة في القرآن الكريم غير النميمة ونقل الكلام، كما توهم الكثيرون.

* ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام، حتى يقاتلوكم فيه *.

لاقتال في الحرم الشريف الذي حرم الله القتال فيه إلا إذا انتهكت حرمته بالقتال. (فان قاتلوكم فاقتلوهم).

* فان انتهوا فان الله غفور رحيم * . ورعاية السياق تقتضي أن يكون المعنى إن كفوا عن القتال عند المسجد الحرام فكفوا عنهم واغفروا لهم، لأن السبب الموجب لقتالهم هو ابتداؤهم بالقتال، فإن كفوا زال السبب. وقال كثير من المفسرين: المعنى أن تابوا عن الكفر وآمنوا بالله ورسوله، لأن الكافر لا يغفر الله له بترك القتال، بل بترك الكفر.

فالله يغفر لمن يشاء، حتى ولو كان كافراً.. أجل، إنه تعالى لا يعذب المحسن قطعاً، لأنه عادل، ولكنه يعفو عن المسيء، مهما كانت الاساءة، لأنه كريم رحيم.

*** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله* أي أن الجهاد من أجل الإيمان بالله.**

وتجمل الاشارة إلى أن وجوب الجهاد من أجل انتشار الإسلام مشروط بإذن الإمام ويجوز بحال من غير أمره. أما الجهاد دفاعاً عن الدين والنفس فإن وجوبه فرض مطلق غير مقيد بشيء. ولا يحتاج إلى إذن أو فتوى من المرجع الاعلى.

*** فان انتهوا فلا عدوان على الظالمين *. أي فان انتهوا على الظلم فلا يحل قتالهم الا بسبب موجب للقتل».**

[التفسير الكاشف المجلد الاول صفحة ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠]

المحقق: تجدر الاشارة إلى أن الكفر هو الظلم كما جاء في الآية * والكافرون هم الظالمون *. وسيأتي الشرح في حينه ولا بد من التذكير أن الاحكام التي نزلت في القرآن، منها لأسباب خاصة، كمسألة القتال في المسجد الحرام، ولكنها في الوقت نفسه أحكام عامة أيضاً. وهناك أحكام خاصة لم يعد يعمل بها كالمتعلقة بما «ملكت إيمانهم» من النساء والمتعلقه بالجزية أو الضريبة التي تؤخذ من غير المسلمين والتي ذهبت مع الزمن. ولكن الاحكام التي تتعلق بالجهاد ومقاومة الظلم، وبالحرية والكرامة والعداله هي احكام فرض باقية ابد الدهر.

والمؤلف الأميركي نورمان بود هورتز أحد المنظرين للفريق الحاكم في أميركا، كتب في مجلته «Commentry» أي «تعليق» عدد أيلول 2002 التالي: «إن الأنظمة التي سنسقطها في الشرق الأوسط هي بمثابة الحدث الذي يتعلق بعصرنه واصلاح داخلي للإسلام على المدى الطويل». وبالحرف:

«this action is about the long - over due internal reform and modernistion of islam».

وهكذا يتمثل أهل الحكم في أميركا في عهد الرئيس بوش الابن بضلاّم قريش الكافرين عبدة «هُبل والات والعزة» الذين ارادوا أن يفتنوا المسلمين ويردونهم عن دينهم. كما يريد اليوم الحكام الاميركيين والإسرائليين إعادة صياغة الإسلام الذي انزله الله على الرسول محمد(ص) حسب المصالح والاطماع الأميركية الإسرائلية التي تتصدى لها المقاومة والتي تحضى بتأيد العرب والمسلمى وكل احرار العالم. كما تريد اميركا تعليم المسلمين دينهم الجديد الذي اختاره لهم من نصبّوا أنفسهم آلهة الارض في واشنطن وتل ابيب.

❀ ❀ ❀

*** والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ١٩٤، ١٩٤* .**

*** والحرمات قصاص *. أي أن من ينتهك حرامات الله يقتص منه، ويعامل بمثل فعل، وهذا أصل عام يقطع كل عذر يتذرع به من ينتهك الحرمات، فمن استباح دماء الناس وأموالهم وأعراضهم استبيح منه ما استباح هو منهم. . أن حرمة الانسان من حرمة الله إلا أن ينتهك حرمة غيره، فعندها يأتي الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه. وبهذا نجد تفسير قوله تعالى: * فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم *. فشرط العقوبة أن تكون مماثلة لجناية المعتدي دون زيادة أو نقصان، وهذا هو القصاص في حقيقته. ومن استحل دمكم ايها المسلمون فاستحلوا انتم دمه.**

وتسأل: أن من يبتدىء بالعدوان فهو معتد بلا ريب، أما من يقتص من المعتدي ويقابله بمثل فعله فلا يكون معتدياً، اذن، فما هو الوجه لقوله تعالى: فاعتدوا عليه؟.

الجواب: ليس المراد بالاعتداء الاعتداء على حقيقته، بل المراد به جزاء الاعتداء والمقابلة بالمثل كماً وكيفاً بلا حيف وظلم، ومثله قوله تعالى: وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها.

* وانفقوا في سبيل الله * الانفاق في سبيله تعالى يشمل المصالح العامة، كالمدارس والمصحات ودور الأيتام، والجهاد، والصدقات على الفقراء والمساكين، والانفاق على الأهل والأولاد والعيال، وأفضل موارد الانفاق ما فيه اعزاز للدين وانتشاره، واحقاق للحق، وابطال للباطل.

* ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة *. عبّر سبحانه بالأيدي عن الأنفس.. ولو نظرنا إلى هذه الجملة مستقلة عن السياق لكان المعنى أن الإنسان لا يجوز له أن يقدم على ما يعود عليه بالضرر المحض دون أن يترتب على اقدامه أية منفعة عامة.

وقيل: أن معنى لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك جهاد أعداء الدين، وبذل المال لتجهيز المجاهدين، لأن ذلك يضعفكم، ويمكن العدو منكم فتهلكون وتذلون..

وهذا ما أثبتته التجارب التي مر بها المسلمون، فلقد فقدوا حريتهم وكرامتهم منذ أن تركوا الجهاد والبذل في نصرة الحق والعدل، وطمع فيهم كل غاصب وسالب، حتى عصابة الصهاينة عميلة الاستعمار، فإنها احتلت فلسطين سنة ١٩٤٨، وبعد سكوتهم عنها وعن جهادهم لها عشرين عاماً أغارت على سيناء، والضفة الغربية من الاردن، واحتلتهما بمساعدة أميركا وبريطانيا وقتلت الرجال، وشردت النساء والأطفال.. ولو أن المسلمين جاهدوها من قبل لكانوا في منجى من هذه التهلكة، وهذا الذل المشين، ولم يكن لدولة إسرائيل عين ولا أثر.

* واحسنوا *. «بالجهاد وبذل المال في سبيله، وفي كل سبيل يرضي الله، ويمدح المرء على فعله».

[التفسير الكاشف المجلد الاول صفحة ٣٠١، ٣٠٢]

المحقق: أوجدت أميركا إسرائيل سنه ١٩٤٨، وبريطانيا نفذت قيام هذه الدولة. والاتحاد السيوفياتي كان أول من اعترف بها. وسلحتها فرنسا في العشرين سنة الأولى من وجودها. فالعالم الاستعماري والدول التابعة له خلقت إسرائيل، والانظمة العربية كانت ترزح تحت نفوذ الاستعمار وممنوع عليها تحرير فلسطين وما زالت. فالشعب الفلسطيني والعربي ذهب ضحية الخداع واكاذيب الأنظمة العربية، ولم يترك الفلسطينيون الجهاد حقيقة إنما الذي تركه انظمة العرب. وعندما عرف هذا الشعب الضحية الامر على حقيقته بعد طول سنيين هب للجهاد والنضال وبذل التضحيات.

❀ ❀ ❀

*** وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ٢٠٥* «لأن الحاكم المستبد يكبر عليه أن يُرشَد إلى مصلحة، أو يُحذّر من مفسدة، فهو يرى أن هذه المقام الذي ركبه يجعله أعلى الناس رأياً، وأرجحهم عقلاً، بل يرى نفسه فوق الحق، كما إنه فوق أهله في السلطة.. فكيف يجوز لأحد أن يقول له: اتق الله.**

*** ويهلك الحرث والنسل، ٢٠٥*. الحرث الزرع، والنسل ما تناسل من الحيوان، والمراد بهما جميع المصالح الاقتصادية من زرع وصناعة وماشية، ومواد أولية، وما إليها مما يتصل بحياة الناس ومعيشتهم، وإنما خص الزرع والماشية بالذكر، حيث لم يكن للصناعة وتوابعها أهميتها وخطرها آنذاك كما لها اليوم.**

وحرمة هذه المقدرات في نظر الإسلام، تماماً كحرمة الدماء، ومن اعتدى على شيء منها فقد اعتدى على الإنسانية نفسها، حتى ولو كان ذلك ملكاً للعدو المحارب، فلقد نهى رسول الله (ص) عن قطع الأشجار، والتعرض للزرع والعمار، وعن القاء السموم في بلاد المشركين أيام الحرب وغيرها.. ولو قارنّا بين شريعة الإسلام، وبين ما تفعله الدول الاستعمارية «المتحضرة!» اليوم، وما تشنه من الحروب الكيماوية على ما تنبته الأرض من زرع وأشجار، ويدب عليها من انسان وحيوان، ومن تسميم الجو

بالقنابل الذرية، والقائها على النساء والأطفال، لو قارنا بينهما لعرفنا إنسانية الإسلام وعدالته ورحمته، وتوحش الغرب، وافراطه في الظلم والاغتصاب.

* والله لا يحب الفساد*. «ولا شيء أعظم فساداً من أثارة الحروب، واستعمال الإسلحة المدمرة ضد الشعوب للسيطرة عليها، ونهب أقواتها، وحرمان أهلها من ثمار كدحهم وعرقهم».

[التفسير الكاشف المجلد الاول صفحة ٣٠٨، ٣٠٩]

* كتب عليكم القتال، ٢١٦*. «فرض الله القتال على المسلمين لا لأنه مطلوب ومحبوب لذاته، ولا ليتسع ملكهم، ويمتد سلطانهم، ويعيشوا على حساب غيرهم من الشعوب، وإنما فرضه عليهم لنصرة الحق، والدفاع عنه، فإن الحق من حيث هو ليس إلا مجرد فكرة ونظرية. أما تطبيقها والالتزام باه فيحتاج إلى العمل الجاد، وهو أولاً الدعوة بالحكمة، والطرق المألوفة، فإن لم تجد وجب تنفيذ الحق بالقوة.. وأية نظرية لا تعتمد على القوة التنفيذية فوجودها وعدمها سواء، ومن أجل هذا فرض الله على المسلمين في هذه الآية وغيرها جهاد كل معتدٍ على الحق، حيث لا يجدي معه الأمر بالمعروف والموعظة الحسنة.. ولولا السلطة التنفيذية أو القوه التنفيذية لكانت السلطة التشريعية مجرد كلام ملفوظ أو مكتوب.

* وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ٢١٦ *. قال المفسرون: أن أصحاب الرسول كرهوا القتال، لأن الإنسان بطبعه يشق عليه أن يعرض نفسه للهلاك، ولكنهم في الوقت نفسه يستجيبون لأمر الله تعالى طلباً لمرضاته، تماماً كالمريض يشرب الدواء المرّ بغية الشفاء. وأن الله سبحانه قد نبههم بقوله: * وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم * إلى أن ثمرة القتال والجهاد تعود إليهم، لا إليه.. هذا مخص ما قاله أهل التفاسير، وظاهر اللفظ يتحمله ولا يأباه.

ولكن إذا نظرنا إلى سيرة الأصحاب الخلص وبطولاتهم في الجهاد والفداء من أجل الدين، وسيطرته على مشاعرهم، وكيف استهانوا بالحياة

طلباً للاستشهاد، حتى أن من كان ينجو من القتل، ويرجع من الجهاد سالماً يرى نفسه شقياً سيء الحظ ـ إذا نظرنا إلى هذه الحقيقة، وأدخلناها في حسابنا، ونحن نفسر هذه الآية نجد أن ما قاله المفسرون من كراهية الأصحاب للقتال غير وجيه، وإنه لا بد من تفسير الآية بمعنى آخر يساعد عليه الاعتبار، ويتحمله اللفظ، ويتخلص هذا المعنى في أن الأصحاب كانوا يرون أنفسهم دون المشركين عدة وعدداً، فخافوا إذا قاوموهم بالقوة أن يهلكوا عن آخرهم، ولا يبقى للإسلام من ناصر، وتذهب الدعوة الإسلامية سدى.. فكراهيتهم للقتال جاءت من الخوف على الإسلام، لا على أنفسهم. فبين الله لهم أن القتال الذي دعيتم إليه، وكرهتموه هو خير لكم وللإسلام، وإن القعود عنه يؤدي إلى ذهابكم وذهاب الإسلام.. وأنتم تجهلون هذه الحقيقة، ولكن الله بها عليم، لأنه لا تخفى عليه خافية، فالآية أشبه بقوله جل جلاله: * يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، وأن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ـ الأنفال ٦٥*.

* ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا، ٢١٧*. فالهدف للمستكبرين أن لا يبقى للإسلام عين ولا أثر على الكرة الأرضية، ومن أجل هذا وحده يقاتلون المسلمين، ويداومون على قتالهم، فإذا كره المسلمون قتال المشركين تحقق الهدف العدواني الذي يبتغيه أعداء الدين الإسلامي.

ولا زالت هذه الروح الكافرة العدائية لكل ما فيه رائحة الإسلام، لا زالت حية إلى اليوم في نفوس الكثيرين من الشرقيين والغربيين، لأن الإسلام بانسانيته وعدالته، ومقاومته للبغي والفساد هو السبب الأول للعداء، ولهذا وحده يضمرون لأهله كل شر، ويحاربونهم بشتى الوسائل، ويتفننون فيها حسب ما تقتضيه الظروف والتطورات.. وعلينا أن نتنبه لهؤلاء الأعداء، نقاتلهم بنفس السلاح الذي يقاتلوننا به».

[التفسير الكاشف المجلد الاول صفحة ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥]

المحقق: سبقت الاشارة الى محاولة أميركا وإسرائيل رد المسلمون عن دينهم بالاكاذيب المضللة وبتشويه الإسلام والصاق التهم الباطلة به والدين الإسلامي في هذه التهم براء. والهدف من الافتراء تنفير الجلهة والذين لا يعلمون تعاليم دينهم، وجعل هؤلاء كارهين للإسلام حتى يبتعدوا عنه. وترتاح عندها السلطة الإميركية الإسرائيلية من هذا الدين الإسلامي الذي يقضّ مضاجعهم ويقف لهم بالمرصاد ويشكل خطراً على مخططاتهم للهيمنة على العرب والمسلمين.

والأعجب، أن كثيراً من الكتاب العرب، خصوصاً اللبنانين، شغلهم الشاغل الدس والتدليس على الإسلام واظهاره ظلما وبهتانا دين الظلام والأرهاب. وهم بذلك يشكلون الطابور الخامس الذي يخدم مصلحة اميركا وإسرائيل. وهذا النوع من المواطنين اخطر اعداء الدين الإسلامي لأنهم يعرفون الإسلام المنير الاصيل، إسلام الحق والعدل، لكنهم اعتبرو إسلام الظلام الدخيل الممثل الشرعي الوحيد لهذا الدين. أما الذين لا يعرفون الإسلام على حقيقته فهم جهلة اغبياء، ومن لا يعرف سموه ويتجنى عليه هو عميل مأجور.

❀ ❀ ❀

*** من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون *.**

«بعد أن أمر الله سبحانه في الآية السابقة بالقتال دفاعاً عن الحق حث في هذه الآية على بذلك المال لتجهيز المجاهدين، لأن القتال كما يحتاج إلى الرجال فإنه يحتاج إلى المال، ومن يقرأ عن ميزانية الحروب اليوم للدول الكبرى فلا بد أن تذهله الأرقام... فلقد بلغت عند بعض الدول الغربية أكثر من أربعمائة ألف مليون ـ نحن الآن في سنة ١٩٦٧ ـ ولكن هذه الميزانية الضخمة خصصت للاعتداء وسيطرة الظلم، وفرض الارادة على الشعوب، والتحكم في مصيرها ومقدراتها.. أما الجهاد الذي حث

الله عليه في كتابه فهو الجهاد من أجل احقاق الحق، والتحصن من عدوان المعتدين».

[التفسير الكشاف المجلد الاول صفحة ٣٧٤، ٣٧٥]

* والكافرون هم الظالمون، ٢٤٥* «لأنفسهم بترك العمل الصالح الذي ينجيهم من العذاب، ومن فعل فعلهم يكون ماله مالهم. . وتجمل الاشارة إلى أن الظلم والكفر يتواردان في الاستعمال على معنى واحد، فتارة يستعمل الكفر في الظلم، كما في الآية ١٣ من سورة لقمان: «ان الشرك لظلم عظيم». وقوله هنا: والكافرون هم الظالمون. وتارة يستعمل الظلم في الكفر، كما في الآية ٣٣ ـ الانعام: «ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون».

[المجلد الاول صفحة ٣٩٠]

سورة آل عمران

* ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون، ٣٣*. «قال المفسرون: المقصود من الذين أوتوا نصيباً من الكتاب هم اليهود، وإنما قال هنا أوتوا نصيباً من الكتاب، ولم يقل اوتوا الكتاب، أو أهل الكتاب، كما في الكثير من الآيات، لأن اليهود الذين حاجوا النبي (ص)، ودعاهم إلى التوراة لتحكم بينهم لم يحفظوا كل ما فيها، وإنما حفظوا بعضاً منها، كما قال كثير من المفسرين، أو حفظوا ألفاظ التوراة، ولم يتدبروا معانيها، كما قال الشيخ محمد عبده.

وكثيرون هم الذين يدعون الايمان بالكتب السماوية والقيم الانسانية، ولا يعملون بها، وإذا احتُج عليهم بما يؤمنون توانوا أو تأولوا، والأمثلة على ذلك لا تحصيها كثرة، منها: أن الذين أثاروا الحروب وقتلوا الملايين يزعمون إنهم من أنصار والحرية السلام.

ومنها: أن الدول التي اضطهدت الشعوب والاحرار تدعي الايمان بالحق والعدالة».

[التفسير الكشاف المجلد الثاني، صفحة ٣٤]

المحقق: أن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان شعارات زائفة عند الدول الاستعمارية التي كانت منها الشعوب والتي تتمثل اليوم باليهمنه

الأميركية الإسرائيلية. أما بريطانيا والدول التي تدور في الفلك الأميركي فلا يحق لها التحدث عن حقوق الإنسان وتقرير المصير، وهي نفسها مناطق نفود للسلطة الاميركية التي تمنع البشرية من حق تقرير مصيرها بنفسها ولا تقبل منها إلا أن تدخل بيت الطاعة الأميركي وتلبّى شروط أميركا وشريكة حياتها إسرائيل.

أما هذه الشعارات الرنانه الطنانة عن الحرية والديمقراطية فما هي إلاّ «عده الشغل» أو «عدة النصب» كما يقول اللبنانيون والتي ليس فيها ذرة مصداقية، ولم تعد تتطلي على أحد. علماً، أن الديمقراطية وحقوق الانسان يُعمل بها في أميركا وحسب ولا تمارسها الولايات المتحدة في بلدان العالم الثالث، وأفعالها تنافض أقوالها.

❀ ❀ ❀

*** والله لا يحب الظالمين، ٥٧* «في الحديث أن الظالم والراضي بالظلم سواء، وقال الإمام الباقر (ع): الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، أما الظلم الذي لا يغفره الله الكفر بالله، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يدعه الله فالاعتداء على العباد.. وقال الإمام علي (ع): ظلم الضعيف أفحش الظلم».**

[التفسير الكاشف المجلد الثاني، صفحة ٧٢]

*** أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجّوكم عند ربكم، ٧٣ *.**

ان أهل الكتاب، وبخاصة اليهود، قد علموا علماً أكيداً إنهم على ضلال بتكذيبهم محمداً (ص)، وخافوا أن يخبر المسلمين مخبر منهم بهذه الحقيقة، فتواصوا بالتستر على ضلالهم، واظهار أن النبي لا يكون ولن يكون عربياً أبداً.

هذا هو خلق اليهود منذ وجدوا، حتى اليوم، وإلى آخر يوم.. يكذبون ويعلمون إنهم يكذبون، ويتخذون ستاراً واهياً من التلبيس والتمويه،

ولكن سرعان ما يفتضحون.. وليس القرآن الكتاب الوحيد الذي سجل رذائلهم وجرائهم فإن كتب الأديان، وبخاصة الإنجيل، وكتب التاريخ والصحف والاذاعات كلها تردد وتكرر تاريخهم المجرم الآثم.. وهذا هو السر في اضطهاد الأمم لهم، والتنكيل بهم. وما استطاعت أمة على وجه الأرض قديماً وحديثاً أن تحتملهم إلا دولة الولايات المتحدة لانها على شاكلتها، لقد ابادت الهنود من قبل، وهذا ما تريد أن تفعله إسرائيل اما طردا الفلسطينين أو ابادتهم.

لا حياة إلا للمستميت

* الا ما دمت عليه قائما، ٧٥*. «الخائن يطلب أكثر من حقه، ولا يؤدي ما عليه، أو بعض ما عليه بدافع من نفسه لأنه ميت الضمير، ولا وسيلة لانتزاع الحق منه إلا القيام عليه، كما قال جلت حكمته، ومعنى القيام على الخائن المغتصب أن تثور عليه، وتجاهده وتناضله بكل ما لديك من قوة.

والثورة على الخائن المبطل فرض وحتم، وإلا عم الفساد في الأرض.. ان جريمة المظلوم القادر على دفع الظلم عن نفسه، تماماً كجريمة الظالم من حيث أن كلاً منهما يمهد لاشاعة الظلم والفساد.. ولو علم الظالم أن بين جوانح المظلوم عاطفة وعقيدة تدفعه إلى الاستماتة دون حقه لتحاماه.. وقد دلتنا التجارب إنه لا حق في الأمم المتحدة، ولا في مجلس الأمن إلا للقوة، وإنه لا حياة للإنسان في القرن العشرين، بخاصة الشرقي، وبوجه أخص العربي إلا للمستميت.

* ذلك بأنهم قالوا ليس في الأميين سبيل، ٧٥* والمعنى أن أهل الكتاب إنما استحلوا أموال العرب لأنهم زعموا بأن الله سبحانه لا يعاقبهم على اغتصابها.. فرد الله افتراءهم هذا بقوله: (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون). وليس من شك أن من كذب على الله عامداً متعمداً كانت خيانته أعظم، وجريمته أفحش.

وتسأل: أن كل الطوائف، وأهل الأديان، بل والملحدين أيضاً فيهم

الأمين والخائن والصادق والكاذب.. وكم من ملحد هو أصدق لهجة، وأوفى ذمة من كثير من الصائمين المصلين.. إذن ما هو الوجه لتخصيص أهل الكتاب بهذا التقسيم؟.

الجواب: أولاً سبق أن الله سبحانه قال: ودت طائفة ـ أي شريحة معينة ـ من أهل الكتاب لو يضلونكم. وبيّن في هذه الآية إن منهم الخائن والأمين، ولم ينف هذا التقسيم عن غيرهم، حتى يرد الاعتراض.

ثانياً: إنه من الجائز أن يتوهم متوهم بأن جميع أهل الكتاب خونة، فدفع الله هذا الوهم بأنهم كسائر الطوائف، وأهل الأديان فيهم الجيّد، وفيهم السيء.

وبعد أن أثبت سبحانه السبيل على من يستحل أموال الناس أخبر بأن من يفي بالعهد، ويتقي المحرمات فهو محبوب عند الله.. وجاء في الحديث عن النبي إنه قال: ما من شيء في الجاهلية إلا هو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر.

وقال الإمام زين العابدين (ع): لو أن قاتل أبي الحسين ائتمنني على السيف الذي قتل به أبي لأديته إليه.. وقال الإمام جعفر الصادق (ع): ثلاثة لا عذر فيها لأحد: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا، أو فاجرين، والوفاء بالعهد إلى البر والفاجر..

إن الكافر إذا أعلن الحرب على المسلمين يحل دمه، ولا تجوز خيانته، فلو افترض إنه كان قد أودع مالاً عند مسلم وجب على المسلم أن يرد له أمانته».

[التفسير الكاشف المجلد الثاني، صفحة: ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢]

المحقق: فعلا، الشهادة والاستماتة سلاح مجدي وفعّال، ولا يعني الموت المجاني. بل إنه طريقاً يسلكه الفدائيون لدحر العدو ونيل النصر. وماذا يفعل المقاوم المجاهد الذي لا يملك سوى نفسه فيفجرها ويلقيها

صاعقة على المعتديين الذين اغتصبوا شعبه وارضه؟ ولو وجد اسلوباً آخر غير تفجير نفسه يؤديء إلى نتيجة لاستعمله. ولو توفر له السلاح المناسب والتقنية التي يحتاج إليها وتساوى الميزان العسكري وتكفاء بينه وبين عدوه الإسرائيلي، لقاتل هذا المقاوم إسرائيل بنفس الأسلوب الذي تقاتله بها إسرائيل ولما اضطّر ان يفجّر ويقتل نفسه وعلى طريقه اليهود انفسهم «عليّ وعلى اعدائي يا رب» كما جاءت بالتوراة. ولكنها حرب الشعب التحررية الاستشهادية التي املتها الشارونيه على أهل فلسطين والتي ستسمر حتى ايجاد الحل العادل. ومهما عظمت التضحيات.

واسلوب النضال والجهاد يختلف باختلاف الظروف المكان والزمان. لقد انتصر غاندي على الأمبراطورية البريطانية التي ارتكبت المجازر بالهند. وانتصر عليها بالمقاومة السلمية بعد أن وحدّ شعبه باكمله الذي قاطع الإنكليز كليّة.

وانهزمت بريطانيا سفّاكة الدماء التي لم تسطع البقاء في تلك البلاد.

الفرق بين الهند وفلسطين أن الهنود يمتلكون وطنهم، والإنكليز محتلين اجانب، لذلك انهزموا في بلد غير بلدهم. أما في فلسطين فالمسألة تختلف لأن الشعبّ الفلسطيني يقاتل من أجل الاحتفاظ بما تبقى من ارضه، والإسرائيليين يقاتلون ـ حسب قناعتهم ـ من أجل ارضهم ـ ويرفضون اعطا الشعب الفلسطيني حتى ما تبقى من وطنه. لذلك، تأخذ المعركة في إسرائيل (فلسطين) طابع يا قاتل يا مقتول. لأنها معركة وجود.

أميركا وإسرائيل فريق واحد لا يفهم إلاّ بلغة القوة ولن تنسحبان إلاّ بالقوة. لقد قتلت الولايات المتحدة مليونين ـ باعترافها ـ من الشعب الفيتنامي قيل هزيمتها النكراء. واليوم، تحتل أميركا العراق وإذا لم تخرج من هذا البلد، فعليها أن تعدّ قتلاها من الآن فصاعداً، وسوف تفاجئها الارقام المرعبة غداً.

* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ١٠٣*. الحبل معروف، ويستعمل في الواسطة التي يتوصل بها إلى المطلوب كالانتصار على العدو الغاصب، والمراد بالحبل هنا الإسلام، ومعنى الآية بمجموعها أن المسلمين ما داموا أتباع دين واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، فعليهم جميعاً أن يراعوا هذه الرابطة الدينية التي هي أقوى من الرابطة المذهبية، وأن يحرصوا عليها، ويعملوا بموجبها، ولا يتفرقوا شيعاً وأحزاباً حتى لا ينهزموا وتسأل: أليس في هذه الدعوة إلى التكتل الديني نوع من العصبية الدينية؟ الجواب: كلا، أن تدعيم الرابط بين اتباع الدين الواحد، تماماً كتدعيمها بين أفراد الحزب الواحد، أو الأسرة الواحدة.. ولا تلازم بين هذا التدعيم، وبين التعصب ضد الآخرين.. بل على العكس بالنسبة إلى الإسلام، حيث يدعو إلى اللاعنصرية وإلى التعاطف والتآلف بين جميع أعضاء الاسرة الإنسانية بصرف النظر عن أديانهم وأفكارهم وقومياتهم... وعليه تكون الأخوة الإسلامية قوة ودعامة للأخوة الإنسانية.

* واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا، ١٠٣*. يذكّر الله المسلمين الأول بما كانوا عليه من الأحن والبغضاء والحروب المطاحنة ـ وما اشبه اليوم بالامس ـ ومنها الحرب بين الاوس والخزرج التي امتدت ١٢٠ سنة ـ كما في تفسير الطبري ـ فألف الله بين قلوبهم ببركة الإسلام، حتى صاروا إخواناً في الله متراحمين متناصحين. قال جعفر بن أبي طالب في حديثه إلى النجاشي:

«كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، واداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام».

* كنتم على شفا حفرة من النار فأنفذكم منها، ١٠٣*. شفا الشيء حرفه وحافته، وشفى على الشيء إذا أشرف عليه، والمعنى كنتم مشرفين على نار جهنم لكفركم فأنقذكم الله منها ببركة محمد (ص) . . وأحسن تفسير نفسر به هذه الآية ما جاء في خطبة سيدة النساء فاطمة بنت محمد (ص) التي خطبتها بعد وفاة أبيها (ص):

«كنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبُسة العجلان، وموطىء الأقدام، تشربون الطرّق، وتقتاتون القدّ، إذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد (ص)».

أو ليست هذه حال العرب والمسلمين اليوم؟

* ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة، ١١٢*. «اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في اليهود، كما اتفقوا على أن المراد منها أن الله سبحانه قد سلبهم العزة والكرامة، وكتب عليهم الذل والهوان من يوم الإسلام إلى آخر يوم، لأنهم قد بلغوا من الفساد والطغيان حداً لم يبلغه أحد من قبلهم، ولن يبلغه أحد من بعدهم.

أن الإنسان قد يطغى، بل ويتمادى في الطغيان بدافع من مصلحته ومنافعه، أما أن يطغى لا لشيء إلا حباً بالغيّ والطغيان، كفاية، أما هذا فلم يُعهد من أحد إلا من اليهود فقط. . . وهذا الشغف بالظلم والبغي من صميم دين اليهود وعقيدتهم، فهم يعتقدون أن الله معهم دون غيرهم، بل ضد كل من عداهم، وإنه ما خلق الناس إلا لخدمتهم، لكي يفعلوا بهم ما يشتهون، تماماً كما يفعل الإنسان بالحيوان، ولا شيء أدل على ذلك من سيرتهم قديماً وحديثاً، بخاصة فظائعهم ومجازرهم في فلسطين.

* وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، ١١٩* «لا شيء يغيظ العدو مثل الفضيلة والخلق الكريم، ومثل الائتلاف واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، وما تمكن العدو من المسلمين قديماً وحديثاً إلا

لشتاتهم وتفتيت وحدتهم. (قل موتوا بغيظكم) ـ آية قرآنية ـ وهي مثل قول العرب لمن يدعون عليه: «مت بدائك» أي أبقى الله داءك، حتى تموت به.. وبديهة أن هذا يقال للعدو إذا كان القائل مجاهداً قوياً وعزيزاً، ولا قوة كالاجتماع والائتلاف.

هزيمة ٥ حزيران

في سنة ١٣٨٧ هـ دعاني أهل البحرين لالقاء محاضرات دينية بمناسبة شهر رمضان المبارك، ومكثت عندهم حوالي ٢٥ يوماً ألقيت خلالها عشرين محاضرة، وكان الشباب يوجهون إليّ العديد من الأسئلة المتنوعة، وفي ذات يوم جاءني وفد منهم، وقالوا: حدثنا عن أسباب هزيمة ٥ حزيران من غير الوجهة الدينية.

قلت: لا فرق بين العلم والدين من حيث النظر إلى القوانين والسنن التي تحكم الحياة، فإن مشئية الله سبحانه في خلقه وعباده تسير على سنن علمية مستقيمة وأسباب مطردة، لا تختلف باختلاف المؤمنين أو الكافرين... فالعارف بفن السباحة ـ مثلاً ـ يعوم ويصل إلى شاطىء الأمان، ولو كان كافراً، والجاهل بالسباحة يرسب، ويكون عرضة للهلاك، ولو كان مؤمناً.. وكذلك من أعد العدة لعدوه واحتاط له ظفر به، وان كان ملحداً، إذا لم يكن الطرف الاخر على حذر واستعداد، ومن تقاعس وأهمل خسر، وأن كان من الاولياء والصديقين. قال تعالى مخاطباً أصحاب الرسول (ص) بالآية ٤٦ من الأنفال: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين». وقال الإمام علي (ع): «أن هؤلاء ـ يشير إلى أصحاب معاوية ـ قد انتصروا باجماعهم على باطلهم، وخذلتم ـ الخطاب لأصحابه ـ بتفرقكم عن حقكم». إذن، الحق لا ينتصر لمجرد إنه حق، والباطل لا يخذل لمجرد أنه باطل، بل هناك سنن وقوانين في هذه الحياة تُسيّر المجتمع وتتحكم به، والله سبحانه لا يسقطها ويعطل سيرها، تماماً كما هو شأنه في سنن الطبيعة.

والذي يبعث على التفاؤل أن الشعب العربي لم يستسلم للأمر الواقع بل اتخذ من المحنة والهزيمة دافعاً إلى مزيد من الصلابة والتصميم. . . لقد ظن الاستعمار أن طول الطريق يضعف العرب، وأن احتلال أرضهم يلجئهم إلى الخضوع، ثم ظهر له إنه خاطىء في ظنه، وإنه لا شيء في حساب العرب إلا الصبر والكفاح طويلاً كان الطريق أو قصيراً، يسيراً كان أو عسيراً.

سؤالٍ: لماذا لا ينتصر الحق على كل حال، ما دام الله مريداً له ولأهله، كارهاً الباطل وأتباعه؟.

لو سلّط الله المحنة على المبطلين أبداً ودائماً، وأبعدها عن المحقين كذلك لبطل التكليف الآلهي، والثواب والعقاب، لأن اتباع الحق والحال هذه، يكون بالاكراه وبالقهر والغلبة، لا بالحرية ولا بارادة واختيار، كما امر الله.

والخلاصة، أن على المسلم أن يتدبر معاني القرآن، ويتخذ منها ميزاناً لعقيدته وتصوره عن النصر والهزيمة، والقوة والضعف، وأن لكلٍ منهما طريقه الخاص.

[التفسير الكشاف المجلد الثاني، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢]

المحقق: لا تُعد ولا تحصى القوانين والسنن التي تحكم الحياة والتي إذا اتبعها وعمل بها الانسان يصل إلى مبتغاه. من هذه السنن: أن الجهل والتخلف لا ينتصر على العلم والتقدم، وأن التشرذم والتفتت لا يربح اية معركة، بل بالاتحاد والنضال يتحقق الفوز المؤكد. وكم من شعوب فقيرة مستضعفة باتحادها ومقاومتها وتضحياتها غلبت دول طاغوتية عاتية. وتجربة الشعب الجزائري وانزاله الهزيمة بفرنسا الاستعمارية العظمى ماثلة للعيان. والتصدى البطولي للشعب الفيتنامي اذل أميركا رأس التكبر والتجبر، وارغمها أن تفرّ مذعورة عن سطح سفارتها في سايغون. صحيح، أن قوى كبيرة

دعمت الفيتنامين، وكذلك سوف تدعم قوى كبيرة مقاومة الشعب العربي إذا جابه وقتال التعدي الأميركي الإسرائيلي. وهاهي المقاومة الفلسطينية واللبنانية تلقى الدعم.. من العرب والمسلمين وكل احرار العالم. ولكن المقاومة فادحة الثمن. ولا تقوم إلاّ بتصميم وخطة شاملة.

أول شروط الانتصار للدولة والشعب في السلم والحرب، والعيش الكريم والكيان المستقلّ، أن لا يكون الإنسان العربي مستعبداً مقيداً مغلوب على أمره. وأن لا يُمارس عليه القمع والمنع من المشاركة في صنع القرار وفي تحرير وطنه من الاستعباد والاستبداد والفساد.

لتذهب أولاً شعوبنا إلى الحرية والكرامة، والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان، وسوف يرى العالم كيف ينتصر الإنسان العربي على الظلم والعدوان.

غني عن القول، أن الولاء للطائفية والمذهبية والعشائرية مصيره دائماً الخذلان والخسران. والولاء للحرية والعدالة والوطنية طريقنا الوحيد للانتصار.

واصاب المعلم جمال الدين الافغاني حين قال: «أن العدل إله يُعبد». لأن العدل بنظره يعنى التحرر والإنسانية والعزة والرفاه. والعدل هو المطلب الذي يتجمّع الشعب حوله ويتحدّ.

اثبت التاريخ صحة ما قاله المرحوم الفقيه مغنيه من أن الاستعمار يضنّ ويصدّق ضنه بان الشعب العربي بعد هزيمته المستدامة يأس واستسلم وخضع بالتالي لأميركا وإسرائيل. لكن المقاومة الفلسطينية واللبنانية والعراقية التي مازالت تتلمس طريقها اثبتت ان الحسابات الأميركية الإسرائيلية على خطأ جسيم.

وفي موضوع آلهية وشرعية حرية الانسان وبطلان القمع والاكراه الذي نصّ عليه القرآن خير دليل على أن حرية الاختيار ينادى بها الإسلام. وعلى أن ما يدعوا إليه ويفعله الظلاميون ـ الذين يدّعوا الإسلام ـ نقيض ما يدعوا

إليه الإسلام من حرية وديمقراطية، كما أن المهوشين يستغلون الخطأ الفادح الذي يرتكبه هؤلاء الظلاميون ويلصقونه زوراً وبهتاناً بالإسلام.

❀ ❀ ❀

* ولا تهنوا ولا تحزنوا، ١٣٩ *. «من أهم ما يحرص عليه القائد الحكيم أن تكون (الروح المعنوية) في جنده قوية عالية، وأن يدرأ عن أنفسهم الوهن والخوف، لأن الغلب لا يرجع إلى القوة فحسب، وإنما يرجع قبل كل شيء إلى الثباب وقوة العزيمة.. أن عدوك يخشى من عزمك وتصميمك على مقاومته أكثر من تسليحك بأفتك الأسلحة، لأن هذه لا تجدي نفعاً، مع عدم العزم والصميم على المقاومة، وقد رأينا صحف الاستعمار وإذاعاته وعملاءه ـ وما أكثرهم ـ يبثون الدعاية له وللصهيونية عن طريق الحرب النفسية، وتفتيت عزيمة العرب، والتشكيك في مقدرتهم على المقاومة.. أن (احتلال النفوس) هو الركيزة الأولى للاستعباد، واحتلال البلاد... وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله: «ولا تهنوا ولا تحزنوا».

أما قوله: (وأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين). فهو اشارة إلى أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فمن تمكن الإسلام من قلبه لا يلين ولا يفزع، حتى ولو مات في سبيل دينه، واعلاء كلمة الحق، وإنما يحسن اللين والتساهل من المسلم في حقه الخاص، لا فيما يعود إلى دينه وعقيدته.

* وتلك الايام نداولها بين الناس، ١٣٩*

«المراد بالأيام هنا القوة، وإنها تارة تكون لهؤلاء، وتارة لأولئك.. وكانت القوة في العصور المتخلفة تتمثل في المال والرجال فقط، أما اليوم فتتمثل بالعلم، ونمو الصناعة وتطورها، فالبلد الجاهل ضعيف وأن كان أغنى الأغنياء في الذهب الأسود والأصفر، والبلد العالم قوي، وأن خلت أرضه من جميع المعادن، والضعيف خاضع وتابع للقوي أراد ذلك، أو لم د.. وقد كان العلم في الشرق عند المسلمين، ثم انتقل إلى الغرب،

ومن الجائز القريب أن يتفوق المسلمون علماً وصناعة في السنوات المقبلة.. من يدري؟ الله أعلم.

*** ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين، ١٣٩* «الشهيد هو الذي يجود نفسه للذود عن عقيدته، لأنه يرى الموت في سبيلها سعادة، والحياة مع الظالمين برماً، كما قال سيد الشهداء، من ذلك قوله تعالى: «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ـ ٦٨ النساء».**

[التفسير الكاشف المجلد الثاني، صفحة: ١٦٣، ١٦٤]

❀ ❀ ❀

المحقق: لمغنية الحق أن يدعو لدينه وربه، كما يدعو الآخر إلى عقيدته. ومبادئه، ولا ضير في ذلك. فمحاربه الظلم وتحقيق العدل له ألف طريق وطريق. المهم، النتائج الحميدة التي يسعى للحصول عليها الانسان. والاهم، أنه بدون مشاركة الشعب بأسره أو بمعظمه في صنع الحدث والقرار لن تحقق أية جهة النتائج المطلوبة. ولنفهم ماذا يعنى هذا الكلام، ونرجو مراجعه الكلمة التي كتبها مغنية عن الشعب الفيتنامي في هذا الكتاب.

الجائز القريب في أن يتفوق المسلمون إلاّ إذا حدث العكس، وتخلف العرب والمسلمون وانهاروا إلى الحضيض. لكن الومضة لم ولن تنطفىء، والعمل والامل من أجل الحق المشروع لم ولن يمت، لا الآن ولا في قادم الزمان. وعلى إمام الاحرار قال: «ما ضاع حق وراءه مطالب».

❀ ❀ ❀

*** أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين، ١٤٢* لقد دلت هذه الآية دلالة صريحة واضحة على أن الإسلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمل الصالح في هذه الحياة، وأن الشرط الأول للقرب من الله، والفوز بمرضاته وثوابه هو الجهاد والكفاح،**

والصدق والاخلاص والصبر والثبات، أما بناء المساجد والمعابد، والصوم والصلاة، والتلاوة والأوراد، كل ذلك، وما إليه ليس بشيء إلا إذا كان وسيلة لعملٍ يجلب للناس نفعاً، أو يدفع عنهم ضراً.

وفي معنى هذه الآية (أم حسبتم أن تدخلوا) التي ربطت دخول الجنة بالجهاد والقتال والصبر على تحمّل متاعبه، في معناها آيات كثيرة، منها الآية ١١٢ من التوبة: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن».

وكفى دليلاً قاطعاً على ذلك قوله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ـ ٤٠ النجم».

الشعارات الدينية كالمعابد والصلوات مقدسة، ما في ذلك ريب. . بل هي ضرورة دينية لا بد منها، فما من دولة أو فئة يجمعها مبدأ واحد إلا ولها شعار يبرز شخصيتها، ويجمع أشياعها وأتباعها. . ولكن ليست العبرة بالشعار وحده، بل بما وراء الشعار من فاعلية وأثر، فليس الغرض من الصلاة مجرد الركوع والسجود، بل بما تتركه في نفس المصلي من النهي عن الفحشاء والمنكر، ولا من الجامع أن نجتمع فيه للتهليل والتكبير، بل لنتآزر ونتعاون مخلصين للتخلّص من الظلم والفساد وعلى ما فيه خير الجميع.

وقد اتخذ كثيرون في عصرنا الشعار الديني أداة للتضليل، وستاراً يخفون وراءه مطامع استعمارية، وأهدافاً صهيونية. . فإن الكثير من الأحزاب والتكتلات التي تحمل اسم الدين أو الثقافة أو الوطنية خرجت من مكاتب الاستخبارات الأميركية والأجنبية، أما ميزانيتها فمن غنائم شركات النفط. . والذي يهون الخطب إنها تكشفت للجميع فلا يثق بها مخلص، ولا يتعاون معها إلا كل خائن باع دينه وبلاده للشيطان.

[التفسير الكاشف: ١٦٥، ١٦٦]

المحقق: من اسماء الله الحسنى «الحق» ، «العدل». فالإنسان إذا سعى لهما ـ أي للحق والعدل ـ فإن سعيه سوف يُرى، هكذا قال القرآن عن الله تعالى. ولا شك، أن الإسلام ينادي بالحق والعدل رغم انف الكذبة الذين يحاولون النيل منه.

كما أن الجنة في الإسلام ثمن لهذا السعي والكدح والكفاح. ولكن حتى اللإسلامين والعلمانين والملحدين الشرفاء الذين يناضلون من أجل قضية الإنسان لهم الشكر والتقدير على هذه الأرض. أما حساب السماء فليس لنا نحن البشر أيّ علاقة به، فالامر بيد الله وحده لا غير، وإليه تُرجع الامور وليخسء من ينصَّب نفسه باسم الإسلام الهاً على الأرض، يحاسب الناس حتى القتل والالغاء، لمجرد الاختلاف الفكري السلمي، كما يفعل الظلاميون في الجزائر وافغنستان، وهم بذلك يتعدون على حقوق الإنسان الذي أمر بها الله.

❀ ❀ ❀

*** وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ١٤٢*. «تشير هذه الآية إلى واقعة معينة، وهي معركة أحد.**

وخير ما يمثل هذه الحقيقة ما جاء في تفسير الطبري أن رجلاً من المهاجرين مر برجل من الأنصار يتشحط في دمه، فقال الأنصاري: أعلمت أن محمداً قد قتل فقال الأنصاري: أن كان محمد قد قتل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم... وفي الطبري أيضاً وغيره أن أنس بن النضر مر بعمر بن الخطاب (ع) وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، ـ أي جلسوا مستسلمين ـ فقال أنس : ما يجلسكم؟. قالوا: قتل محمد. قال : أن كان قد قتل محمد فإن رب محمد لم يُقتل، وما تصنعون بالحياة بعده؟. فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاؤوا به، ثم شد بسيفه، فقاتل، حتى قُتل، رضوان الله عليه.

وقال ابن القيم الجوزية في الجزء الثاني من «زاد المعاد» ص ٢٥٣: «أن وقعة أحد كانت مقدمة وارهاصاً ـ أي لوماً ـ بين يدي موت محمد (ص)، فنبأهم الله ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم أن مات رسول الله أو قتل». ونقل محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار عن أستاذه الشيخ محمد عبده أن كلمة (انقلبتم على أعقابكم) عامة تشمل الارتداد عن الدين والجهاد في سبيله. ثم علق صاحب المنار على ذلك بقول: (هذا هو الصواب)».

[التفسير الكاشف المجلد الثاني، صفحة ١٦٩، ١٧٠، ١٧١]

سورة النساء

* ومن يكن الشيطان له قريناً فساءَ قريناً، ٣٧*

«كل ما يزين فعل الغواية، ويُغري بالفساد والضلال فلاك أن تسمية شيطاناً، خاطراً كان، أو انساناً، أو أي شيء؛ فلفظ الشيطان رمز لكل غوي مضل، يُخفي حقيقته في أثواب الصالحين، ومن أجل هذا نرى كثيراً من الناس يقولون ويفعلون بوحي من الشيطان وغوايته، وهم يحسبون إنه وحي من الله وهدايته. . وأقرب المقربين لدى الشيطان من وثق الناس بقداسته، ولم يعرفوا شيئاً عن حقيقته، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: * ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا*.

والشيطان يقسّم أتباعه إلى أقسام، ويوكل إلى كلٍ مهمة تناسبه، تماماً كقائد الجيش، فمنهم من يغريه بإراقة الدماء، والتعدي على الشعوب الآمنة، كالدول التي أوجدت إسرائيل، وأمدتها بالمال والسلاح للاعتداء على العرب وبلاد العرب، لا لشيء إلا لتخضعهم للاستعمار سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. وقسم يغريهم بالفسق والفجور وقسم بأمرهم بالصلاة والصيام، وارتداء ثوب الصالحين والزاهدين، ليصطاد بهم البسطاء والأبرياء.

[التفسير الكاشف المجلد الثاني صفحة، ٣٢٤، ٣٢٥]

* يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل *.

وما عرف التاريخ قوماً أشد عناداً للحق، وعداء للخير من اليهود،

فقد كانوا ضالين مضلين محرفين يوم كانوا أذلاء محكومين، أما اليوم، وبعد أن خلق لهم الاستعمار الغربي دولة القراصنة والسفاحين، فلم يقفوا عند الضلال والاظلال والتحريف، بل صاروا رمزاً للشر العالمي، وسلاحاً فتاكاً يملكه كل مستعمر ومتآمر على العباد والبلاد، ومقياساً يميز قوى الشر والغدر عن قوى الخير والتحرر. . فما من دولة استعمارية في هذا العصر تهدف إلى استبعاد الشعوب إلا وتلجأ إلى إسرائيل لتحقق أهدافها ومراميها، وما من فئة مستغلة باغية في الشرق والغرب إلا تستعين في حماية مصالحها بهذه العصابة الغاشمة الآثمة كتأييدها لأميركا في حرب فيتنام، وتأييدها لحكومة جنوب أفريقيا العنصرية.

ولكن الدلائل التي ظهرت في فيتنام تبشر، ولله الحمد بتهيئة السبيل وتمهيده لإنسان جديد يعرف كيف يقضي على أعداء الحق والإنسانية. . إن إنسان اليوم فيتنام ـ نحن الآن في سنة ١٩٦٨ ـ وإنسان الغد في كل مكان يختلف تماماً من إنسان الأمس. . . إنه يميز بين المخلص والخائن، ولا يخفى عليه هذا، حتى ولو تقنّع بألف قناع وقناع، يميز بينهما، ويضع كلاً في مرتبته والمكان الذي يستحقه، وعندها يعيش الناس بلا مشاكل وقنابل. . . وقد أثبتت الحوادث وبخاصة نكبة ٥ حزيران ٦٧ أن مشاكلنا نحن العرب والمسلمين لم يكن لها من مصدر إلا وجود غير الأكفاء في مركز القوة، وهذا أمر عارض يزول مع الأيام.

* الله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا، ٤٥ *. الله يعلم، ونحن أيضاً نعلم أن اليهود ومن يساندهم أعداء الحق والإنسانية، ولم يعد هذا خافياً على أحد بعد أن أصبحت الصهيونية ودولة إسرائيل رمزاً للشر العالمي، ولكن الكثير منا لا يعرف المنافقين العملاء، لأنهم يختفون بثوب الأخيار، ويموهون على البسطاء. . ولهؤلاء يوم يظهرون فيه على حقيقتهم، ويتولى الله خزيهم، واستئصال شأفتهم في أيدي المؤمنين والأحرار الطيبين.

[التفسير الكاشف المجلد الثاني، صفحة: ٣٣٧، ٣٣٨]

المحقق: الشارونية الداعداء الحق. في تاريخ اليهود إنهم كانوا في حماية العرب والإسلام في العهد الأموي والعباسي، وإنهم كانوا يخدمون كموظفين ومصرفيّن ومواطنين عادين.

وفي احدى الأيام، كنت مستمعاً للحاخام ابراهام في المركز الإسلامي بديترويت ميتشيغان بالولايات المتحدة. فحاضر الحاخام اليهودي وقال: أن المسلمين والمسحيين واليهود عاشوا معاً في التمام والكمال في الاندلس حيث كان الجميع متساون في الحقوق والواجبات، فهذا الأمر حصل فعلاً في التاريخ وممكن أن يحصل في هذا العصر». وعند إنتهاء المحاضرة شكرت الحاخام على محاضرته القيّمة، وسالته: لماذا لم يذكر لنا اسم الدولة التي حكمت إسبانيا في ذلك الزمان؟ ما هو دين وشريعة تلك الدولة؟ فاجاب الحاخام بسرعة ولباقة: إنها طبعاً، الدولة العربية الإسلامية التي حكمت بالشريعة الإسلامية، ولقد فاتني القول، ولم اقصد ذلك. وعندما طرد فرديناند واليزابت الكاثوليكين العرب المسلمين خرج بمعيتهم اليهود فراراً من الابادة والاظطهاد، لقد اظطهد الغرب اليهود وعاملهم بسؤ حتى أن النازيه الألمانيه ألقت بجزء منهم من الافران. فعاقب الغرب بزعامة أميركا وبريطانيا العرب والمسلمين على ذنب لم يقترفونه. ويقتصّ اليهود في الشعب العربي عامة الذي حملهم ورحمهم عبر التاريخ، ويقتصّ من الشعب الفلسطيني بالخصوص وبالأسلوب الذي تعلموه من النازين.

في زمن مغنيه كان الاستعمار الغربي يعني أميركا وأوروبا. أما اليوم فالاستعمار الجديد يتمثل بالولايات المتحدة وحسب، أما من يلف لفها فلا قيمه لهم بما فيهم بريطانيا التي ما زالت تحنّ ال الاستعمار. وفي زمن مغنيه كانت إسرائيل تحت رعاية أميركية أوروبية. أما اليوم، فاسرائيل تتحكم باميركا وتسوقها كالغنم لتلبية رغباتها، ولا تأبه بأوروبا ولا بالرأي العام العالمي بأسره.

أما غير الأكفاء الذين في مركز القوه، فهو تعبير مخفف في اللغه

العربية استعمله الفقيه مغنيه، ربما لأنه رحل قبل أن يرى هذه القوة في مراكز الأذعان للهيمنة الأميركية الإسرائيلية، وشعارها المرفوع «سلامات ياراس حتى نبقى في الاقواس». والكل يعرف أن التحدى والتصدي مُكلف جداً وقد يُذهب بالسلطات ذاتها مع من يذهب إلى المصير المحتوم.

❀ ❀ ❀

*** يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم * هذه الآية من آيات الحث على الجهاد، وسبق منها كثير، وما يأتي أكثر، ولكن هذه الآية توجب النفير العام، وحشد الأمة كلها إلى الحرب، أن أحوج لحال... وأن دل هذا الاهتمام على شيء فإنما يدل على ما كان للإسلام من أعداء، يدبرون له المكائد والمصائد، وما للمسلمين من خصوم يناصبونهم ويفتنونهم عن دينهم... وإلى اليوم يقاسي الإسلام والمسلمون الكثير من أهل العدوان والطغيان، فمن الطبيعي - إذن - إن يحث الله سبحانه المسلمين على الحذر والتعرف على قوة العدو والاستعداد له بسلاح أمضى وأقوى.**

***فانفروا ثبات أو انفروا جميعا، ٧١*. انفروا أمر بالخروج للحرب، وثبات أي فصائل وفرقاً من الجنود المتخصصين للقتال، وجميعاً أي جيشاً وشعباً ، حسبما تقتضيه الحال. والقصد هو الاستعداد لمجابهة العدو، وحشد جميع الطاقات والقدرات ، واستنفاذ كل وسيلة لردعه عن البغي والعدوان، حتى ولو أدى الدفاع إلى تطوع الأمة كلها للحرب كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء. قال العلامة الحلي في التذكرة: «لو أحوج الحال إلى الاستعانة بالنساء وجب».**

الحرب بين الأمس واليوم

كانت الحرب فيما مضى بالرجال، وتعبئة الجنود والكتائب، أما اليوم فقد أصبح العلم قوة في كل ميدان، وحوّل السيف والرمح، وغيرهما من أدوات الحرب إلى صواريخ موجهة، وقاذفات القنابل، وغواصات نووية،

ودبابات برمائية، وحاملات طائرات، وغازات سامة، ومخترعات للتجسس جواً وبراً وبحراً.. إلى ما لا يعمله إلا الله والراسخون في علم التخريب والتدمير والابادة.

ولم يكتفِ تجار الحروب بتوجيه العلم، وعبقرية العلماء إلى اختراع آلات الخراب والدمار، حتى أنشأوا معاهد للتخصص بعمليات التخريب، وتدبير المؤامرات والانقلابات، وايقاظ الفتن والأحقاد، واشاعة الفوضى والجرائم، ووضع الخطط لانتشار الخوف والرعب وإنهيار الأعصاب، والاستخفاف بالأخلاق والقيم، والإيمان بالأساطير والخرافات والسخافات ـ إلى كل ما يمهد لسيطرة القوي على الضعيف، وعبودية المتخلف للمتقدم.

هذا هو نوع السلاح الذي يحاربنا به عدو الدين والإنسانية.. فبأي شيء نتقي شره وعدوانه؟. ابالسباب والشتائم، أو بالندب والبكاء، أو بالمشاحنات والخلافات؟ لا شيء ـ ونحن الآن على ما نحن ـ إلاّ إن نعرف من هو عدونا ؟ وما هي مقدرته؟. ونحذر منه ومن أساليبه وألاعيبه، ولا نطمئن إليه في شيء، وأن نتعلم من أخطائنا، ونتحرر من الخونة، ونعمل جاهدين يداً واحدة على تقويتنا في شتى الميادين، وبهذا نستطيع أن نقف في وجه العدو... وعلى الأقل لا يصل بنا الأمر إلى الحد الذي وصلنا إليه الآن.

لقد سحق شعب فيتنام الأعزل رؤوس الأميركيين، على رغم ما يحشدونه من قوى، وينفقونه من بلايين الدولارات. وقبل فيتنام تحررت كوبا من أميركا أقوى دول العالم على الأطلاق... والآن تأسر كوريا الشمالية سفينة التجسّس بيبلو ـ سنة ١٩٦٩ ـ، ولا تستطيع أميركا أن تبدي حراكاً... والسر ـ فيما نعتقد ـ أن هذه الشعوب قد وعت مصالحها ونظمت صفوفها، وتلافت أخطاءها، فضربت على أيدي الخونة، وأبعدتهم عن القيادة ومركز القوة، وآمنت بحقها ومبادئها، واستهانت بالحياة في سبيلها. ولا يمكن لقوى العالم مجتمعة أن تقهر شعباً منظماً واعياً فيتنامياً كان، أو عربياً، والفرق في الأوضاع، لا في الطباع، وفي الوعي والصلابة والعمل بما نؤمن ونعتقد.

*** وأن منكم لمن ليبطئن، ٧٢*. يشير سبحانه إلى الطابور الخامس الذي يندس في صفوف الطيبين بقصد التخريب والتثبيط عن مقاومة العدو.**

وتسأل: أن (منكم) خطاب للمؤمنين، والمنافقون أبعد الناس عن الإيمان، فكيف ساغ جعلهم من المؤمنين؟.

الجواب: لأنهم معدودون من المؤمنين في الظاهر، ويعاملون معاملتهم، تماماً كمن يحمل جنسية بلد ويدّعى الوطنية ، وهو عميل لمن يستعمره ويستغله، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان.

[التفسير الكاشف المجلد الثاني صفحة: ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦]

❀ ❀ ❀

المحقق: هناك خطة واضحة لتدمير القيم والمعتقدات وتسخيف الثقافة والفنون والأداب ونشر التفاهة في كل وسائل الأعلام في العالم. فما أن تشاهد التلفيزون والسينما، وهما أهم وسيلة لترويج هذه الثقافة الفارغة من أي محتوى أنساني. القتل والجنس والفلتان أصبح الشغل الشاغل للغالبيه الساحقه لهذه البرامج المقرؤة والمسموعة. ويدلّ الاصرار على تقديمها للمواطن في شتى إنحاء العالم على أن برمجة الإنسان لكي يكون تافها فارغاً حتى تمرر مراكز القوى في العالم وعلى رأسها أميركا مخططاتها السياسية الأقتصادية الإجتماعية على المجتمع الكوني دون التعرّض لأي اعتراض. وهذا وجه سلبي لنظام العولمة الجديد.

❀ ❀ ❀

*** وإذا جاءهم أمر الأمن والخوف اذاعوه به، ٨٣*.**

«كما يوجد في أي حزب ومعسكر ـ المخلص والمنافق والخائن، والشجاع والجبان، والقوي والضعيف في إيمانه والمنهزم المستسلم، والعاقل المجرب الذي يرتفع إلى مستوى الأحداث، والجاهل الذي لا يتدبر الأمور ولا يقدر العواقب، وقد تحدث القرآن عن كل هؤلاء تصريحاً تارة، وتلويحاً أخرى.

ولا شيء أضر على الأمن الداخلي والخارجي من افشاء الأسرار العسكرية، بخاصة مع عدم تثبت المذيعين من صدق الخبر، فإن الكثير من أنباء الحرب يختلقها ويروجها العدو بقصد الاستفادة منها، واشاعة الفتن والقلاقل في صفوف المجاهدين.

«ذكر سبحانه الذين خافوا من القتال، وقالوا: ربنا لمَ كتبت علينا القتال، وذكر في الذين أظهروا الطاعة، وأضمروا العصيان، وقالوا طاعة، وبيتوا غير الذي قالوا، الذين أذاعوا ما سمعوا من أخبار الحرب وأسرارها بعد هذا كله أمر الله نبيه بالقتال والجهاد، دفاعاً عن الحق، وأن يحرض المسلمين، ويحثهم على الجهاد معه، ويحارب بمن يستجيب له، ويعرض عمن أعرض منهم، فإنه غير مسؤول، ولا مكلف بأعمال غيره، وإنما هو مكلف بأعمال نفسه فقط. وهذا معنى قوله: «لا تكلف إلا نفسك» وليس معناه قاتل وحدك أن لم يقاتل أحد معك، كما قيل، لأن الله قد نهى النبي والمسلمين عن القتال في بدء الدعوة، وأمرهم بالصبر على ايذاء المشركين لهم حين كانوا بمكة، لأن القتال كان آنذاك أشبه بالعمليات الانتحارية ـ لإجل الانتحار ـ منه بالجهاد في سبيل الله... ولم يأمرهم بالجهاد إلا بعد أن هاجروا إلى المدينة، وأصبح بمقدورهم الوقوف في وجه الأعداء، فكيف يأمر النبي بالقتال منفرداً؟

[التفسير الكاشف المجلد الثاني، صفحة: ٣٩١]

❀ ❀ ❀

المحقق: الانتحار لإجل الانتحار لا يحقق شيئاً. فليس الهدف القاء النفس في التهلكة للعبثية والمجانية. والانتحار للتنفيس وافراغ المشاعر المكنونة ليس كالجهاد والاستشهاد من ضمى توجه الشعب برؤية واضحة وخطة أُعدَّ لها.

❀ ❀ ❀

*** فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ٨٨ ***

«إن الإسلام دين الحرية والتسامح مع جميع الطوائف وأهل الأديان،

وشريعته تحافظ على حياة الناس، كل الناس، وحقوقهم المعنوية والمادية، بصرف النظر عن آرائهم ومعتقداتهم.. فما باله هنا يأمر بأسر المنافقين وقتلهم أينما وجدوا؟

الجواب: فرق بعيد بن الطوائف وأهل الأديان، بل والملحدين الذين أعلنوا عقائدهم وآراءهم على الملأ، ولم يضمروا العداء لإنسان، ولا غدروا ولا تآمروا ولا ناصروا مبطلاً على محق، فرقٌ بعيد بين هؤلاء الذين لزموا جانب الحياد، وبين المنافقين الذين أظهروا الإسلام، وتستروا بكلمته، وبقوا في دار الكفر بقصد الكيد للمسلمين، والتآمر عليهم، ومناصرة أعدائهم... إذن: الأمر بأسر هؤلاء وقتلهم كان جزاء على عدائهم للإسلام في حين أنهم أظهروا الإيمان به وأضمروا الكيد للنبي والمسلمين والغدر بهم، والتآمر عليهم.. أما تسامح الإسلام مع بقية الطوائف وأهل الأديان فهو انسجام مع مبدأه في حماية الحرية لكل فرد، وعدم الاكراه في الرأي والعقيدة حقاً كانت أو باطلاً، ما دام وزرها على صاحبها فحسب، والناس في أمن منها ومنه.

* فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا، ٥٩ * . «إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ـ ٤٢ الشورى».. وأيضاً قال عز من قائل: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلومك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ـ ٨ الممتحنة».. وقال جلت حكمته: «وأن جنحوا للسلم فاجنح لها ـ ٦٢ الأنفال». إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى المحبة والأخوة والمساواة، والتعاون على كل ما فيه صلاح للناس بجهة من الجهات.. وأروع ما في الإسلام إنه يعتبر الأعمال الإنسانية من صميم الدين وصلبه، بل يعتبرها السبيل الوحيد إلى الله.

* ستجدون آخرين أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم، ٩١ * «وهذه الآية تعرض صورة أخرى لفريقٍ هم أكثر الناس عدداً في كل زمان ومكان، أعني المتميعين المذبذبين الذين لا واقع لهم إلا التقلب والتردد، يؤمنون بالقيم

حيناً، وحيناً بها يكفرون... ونحن لا ننكر ان الإنسان يتأثر بظروفه، وإنه كثيراً ما يتغير بحسبها، بل أثبتنا ذلك عند تفسير الآية ١٤٣ من سورة البقرة، فقرة «تغير الأخلاق والأفكار»، ومع هذا فانا نعتقد ـ استناداً إلى العيان ـ ان لبعض الأشخاص ذاتاً تتذبذب بطبيعتها، وتنتقل من حال إلى حال، حتى ولو اتحدت ظروفها.

ومهما بلغت الحال بهؤلاء من الانحطاط وانعدام الشخصية والذبذبة بين الكفر والإيمان فإن الإسلام يدعهم وشأنهم ما لم يعتدوا ويقاتلوا.. فإن اعتدوا وقاتلوا فالإسلام يأمر بردعهم وقتلهم أينما وجدوا إذا أصروا على الحرب والقتال.. وهذا ما أراده الله بقوله: (فإن لم يعتزلوكم إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم حيث ثقفتموهم).

وهذا دليل من عشرات الأدلة التي يقدمها القرآن الكريم، والسنة النبوية على أن الخط الأساسي لدين الإسلام أن لا قتل ولا قتال إلا لردع من قاتل وسعى فساداً في الأرض: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين ـ ١٩٠ البقرة».. «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ـ ١٩٣ البقرة».. اذن، الإسلام سوّغ القتال، حيث سوغته جميع الشرائع قديماً وحديثاً، وأوجبته جميع العقول.. ورغم هذه الأدلة وغيرها فإن أعداء الإسلام أبوا إلا أن يقولوا: إنه دين السيف والقتال، تماماً كالذي قال: عنزة وان طارت.

* وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، ٩٥* وبيّن تعالى أنه * درجات منه ومغفرة ورحمة * . ودرجة واحدة عند الله خير من الكون بما فيه، فكيف الدرجات !! أما رحمته فلا شيء خير منها إلا من هي منه...

«يجب على العرب والمسلمين أن يشجعوا الفدائيين من الفلسطينيين وغيرهم، ويمدوهم بالمالو العتاد ويتعاونوا معهم إلى أقصى الحدود، ليقلقوا راحة إسرائيل وأمنها.

وإذا لم نعتبر بهذا الدروس من تراثنا وتاريخنا، ونكون جميعاً جنوداً من جنود الله والوطن فلسنا جديرين باسم العرب والعروبة، ولا باسم الإسلام والمسلمين.. بل ولا باسم الانسان والإنسانية بعد أن أصبح هذا العصر عصر الفداء والكفاح واتحرر من كل ما فيه شائبة الظلم والاستغلال.

* ولا تهنوا في ابتغاء القوم أن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجعون من الله ما لا يرجعون، ١٠٤ * «لو نزل اليوم وحي من السماء في وضعنا مع إسرائيل لما زاد حرفاً واحداً على هذه الآية.. ان أحوج ما نحتاج إليه لمقاومة العدو الشرس المتغطرس، وردعه عن الغيّ والبغي هو ان نشد عزائمنا، ونثق بالله وبأنفسنا، وان لا نصغي إلى المستعمرين والانتهازيين الذين يبغون استغلالنا وهزيمتنا، ويلفقون الدعايات والاشاعات المضللة ليخدعونا عن واقعنا وطاقاتنا.

أن مجرد القلق يفيد العدو، ويكون عوناً له على ما يريد فضلاً عن الخوف والانهيار، ومن أجل هذا نهانا سبحانه عن الخوف من عدو الله والانسانية، مهما كان ويكون، وأمرنا بالثبات على مقاومته، وأنبأنا بأنه يألم منا كما نألم منه، ولكنا أعلى منه، لايماننا بالله واعتمادنا عليه.. أما إسرائيل فإنها تعتمد والسلاح، وشجعوها على الاعتداء، وناصروها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن. وما من شك إنه إذا وثقنا بأنفسنا، وثبتنا في المقاومة مخلصين، وبذلنا ما نملك من طاقات، كما أمرنا الله عز وجل يكون النصر لنا لا محالة.

وقال تعالى في آية ثانية: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ـ ٣٥ محمد».. والمسلمون هم الأغلون بعقيدتهم وتاريخهم وعددهم ومقدراتهم، ولا تذهب هذه الطاقات، ولن تذهب هباء.. ولا بد أن يظهر أثرها باذن الله عاجلاً أو آجلاً.

[التفسير الكاشف المجلد الثاني صفحة: ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٨]

سورة المائدة

الثورة والثورة المضادة

* وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، ٢* .

«من الألفاظ التي كثر تداولها اليوم على ألسنة المتكلمين، وأقلام الكتّاب لفظ الثورة والثورة المضادة.. ويعنون بالثورة تعاون المخلصين ونضالهم ضد التخلف والأوضاع الفاسدة، ويعنون بالثورة المضادة تكتل الرجعين والخائنين وتعاونهم على مقاومة كل محاولة لتغير التقاليد الضارة الفاسدة.

وظاهر الآية الكريمة يخول لنا ان نطبق قوله تعالى: * ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، * على الثورة المضادة لكل خير وتقدم. اما جزاء المعتدى قد يكون بالمثل، وقد يكون بغيره، ومن سائر الأحوال ينبغي أن يكون الجزاء انتصاراً للحق لا تشفياً وانتقاماً.

* اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون، ٣ * .

معنى الآية ان الكفار الظالمين يئسوا من زوال الإسلام، أو تحريفه بعد أن تمكن في نفوس أتباعه، وأخذ طريقه في الانتشار يوماً بعد يوم.. اذن، فلا تخافوا ـ أيها المسلمون ـ من الكافرين، وخافوا من الله وحده، وصدق الله العظيم في كل ما يقول: * يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هوالذي أرسل رسول بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ التوبة: ٣٣* .

ومن المفيد بهذه المناسبة أن نقطف جملاً من كتاب «الإسلام في القرن العشرين» للعقاد، قال:

«أن العقيدة الإسلامية لم تكن قوة غالبة، وحسب في أبان النشأة والظهور، ولكنها كانت قوة صامدة بعد مئات السنين.. وصمود القوة الإسلامية في أحوال الضغف عجيب كانتصارها في أحوال القوة والسطوة، ولا سيما الصمود بعد أكثر من عشرة قرون.. ان قوة صمود العقيدة الإسلامية في صدر الإسلام عجيبة، ولكن صمودها الآن أعجب، لأنها تملك الدفاع النافع ولا مال لديها ولا سلاح ولا علم ولا معرفة، بل لا تملك الدفاع، ولا اتفاق بين أهلها على الدفاع...

ان قوة العقيدة الإسلامية قد سرت مسراها في أرجاء العالم بمعزل عن حروب الدول وسياستها، وعن عروش العواهل وتيجانها، وفي أفريقية اليوم مئة مليون مسلم لا شأن في إسلامهم لدولة أو سياسة، وقريب من هذا العدد مسلمون في السومطرة وبلاد الجاوة، وقريب منه في الباكستان، وقد يكون في الصين وماجاورها عدة كهذه العدة من الملايين».

الفرد والجماعة في الإسلام الآية ٣٢:

* من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون * .

* من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل * . لقد كشفت قصة ولدي آدم أن في الناس نوعين: معتدياً ومعتدىً عليه.. ولحماية هذا من ذاك، وصيانة الحياة ونظامها جعل الله لكل معتدٍ عقوبة يستحقها، واعتبر قتل الأبرياء جريمة الجرائم كلها، وليس اشارة إلى قصة قابيل مع أخيه هابيل، وان كانت هي السبب الباعث على التشريع، تماماً كما تُشرع السلطة قانوناً عاماً بسبب حادثة خاصة.

وتسأل: ان عقوبة القتل تعم بني إسرائيل وغيرهم، فما هو القصد من تخصيصهم بالذكر؟

الجواب: أجل، ان هذه العقوبة وغيرها عامة لهم ولغيرهم، ولكن الله سبحانه خص اليهود بالذكر لأنهم أجرأ خلق الله على قتل عباده، واراقه دمائهم، وبذلك تشهد توراتهم التي أباحت لهم قتل النساء والأطفال، ويشهد عليهم قتلهم الأنبياء في تاريخهم القديم، وسيرتهم في فلسطين في تاريخهم الحديث.

* إنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض، ٣٢ * . أي أو غير فساد في الأرض عطفاً على نفس، لا على غير، والمعنى يجوز شرعاً قتل من قتل غيره عدواناً، وأيضاً يجوز قتل من سعى في الأرض فساداً جزاءً وفاقاً، وصيانة لحياة الناس وأمنهم.

أما من يقتل نفساً بريئة مسالمة (فكأنما قتل الناس جميعا). اختلف المفسرون وغير المفسرين في الوجه المبرر لتشبيه القتل الافرادي بالقتل الجماعي، واحياء الفرد باحياء الناس جميعاً...

فمن قائل: إنه مبالغة في الردع عن جريمة القتل، والحث على انقاذ النفس وتخليصها من المهلكات، كالغرق والحرق، وما اليهما من اغاثة الملهوف. ومن قائل: إنه بيان لحقيقة القاتل والمحسن، بأن من أقدم على قتل واحد يقدم على قتل الناس جميعاً، تماماً كما يقولون: «من يسرق البيضة يسرق الجمل» وان من أحسن إلى واحد من الناس يحسن للجميع، ما دام الدافع له حب الخير والاحسان. وقال آخرون: إنه بيان للطبيعة النوعية في الانسان، وإنها تتمثل في البعض والكل على السواء، لا تزيد بكثرة الأفراد، ولا تنقص بقلتهم.

والذي نفهمه من الآية ان الفرد في نظر الإسلام هو غاية بنفسه، لا وسيلة إلى غيره، وإنه ظاهرة إنسانية، له ما لها من الحرمة والكرامة، وأن العدوان عليه عدوان على الإنسانية التي تتمثل به وبالناس جميعاً، وأن الاحسان إليه احسان إلى الناس جميعاً.

وتسأل: ان هذا تضخيم خيالي لذات الفرد، وتضحية بالجماعة من أجله، مع أن العكس هو الحق والعدل؟

الجواب: ليس المراد بمصلحة الفرد المصلحة التي تطغى على مصلحة الجماعة، وتتنافى معها، ولا المراد بالفرد الذي يحاول العيش على حساب غيره من الناس.. ان هذا لا يُعد انساناً بالمعنى الصحيح، بل هو أعدى أعداء الانسانية في نظر الإسلام، وإلى هذا يومىء قوله تعالى: * أو فساد في الأرض * . وإنما المراد بالفرد الذي يستمد مصلحته من مصلحة الجماعة، ويرى حياته بحياتها، وكرامته بكرامتها. كما أن المراد بمصلحه الجماعة مصلحة جميع أفرادها، لأن الجماعة ليست مجموعة أصفار، وإنما هي مجموعة أفراد.. فأية جماعة يوجد فيها ضعيف واحد يخاف على حقٍ من حقوقه فهي ضعيفة في كيانها، فاسدة في أوضاعها، تماماً كالجسم إذا فسد بعض أعضائه، أو البيت إذا انهدم ركن من أركانه.

وعلى هذا تكون مصلحة الفرد والجماعة متكاملتين، يملأ بعضهما بعضاً، ولا تنفك احداهما عن الأخرى.

* ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون * . أي ان رسل الله قد بلغوا اليهود حكم الله سبحانه، وقالوا لهم بوحي منه: من قتل نفساً بغير أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً.. ولكن الكثير من اليهود لم يكتثروا بهذا التحذير، ومضوا مسرفين في سفك الدماء وانتهاك الحرمات وما زالوا وقوله تعالى: * بعد ذلك * اشارة إلى إنهم فعلوا ما فعلوا بعد إقامة الحجة عليهم، وانقطاع كل عذر يمكن أن يتذرعوا به... وهذا هو موقف القرآن من كل جاحد يحتج عليه بمنطق الحق، ويدعوه إليه بالحكمة، حتى إذا أصر على جحوده كان اصراره عناداً للحق بالذات، لا لشخصية الداعي.

* وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون، ٣٥ * .

وأفضل ما يتوسل به المتوسلون إلى الله حب الناس، العمل من أجلهم، وقرأت كلمة لكاتب كبير تقول: «محال أن يعرف حقيقة الناس من

لا يحب الناس. ونزيد عليها: ومحال أن يحب الله من لا يحب الناس. وهناك جرائم لا تقل إثماً وعذاباً عن الكفر بالله، كسلب الشعوب أقواتها ومقومات حياتها، وقتل النفس، لأنها أبت إلا أن تعيش حرة كريمة. والله أمرنا بجهاد الجهات والحكومات التي تستبد بالناس.

بين الكفر والفسق والظلم

قال سبحانه في الآية المتقدمة: * ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون * وقال في الآية ٤٥ : * ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * وقال في الآية ٤٧؟ * ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * . ثلاثة أوصاف تواردت على موصوف واحد، وقد اختلف المفسرون في التوجيه والتأويل ونضرب صفحاً عن أقوالهم تجنباً للاطالة.

أما لفظ الظلم فيجوز اطلاقه على الكفر وعلى الفسق، لأن كلاً من الكافر والفاسق قد ظلم نفسه، حيث حملها من العذاب ما لا تطيق، قال تعالى: * والكافرون هم الظالمون، ٢٥٤ ـ البقرة * . وقال * ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، ١٤٠ ـ البقرة * .

وبهذا يتبين معنا أن الكفر والفسق والظلم ألفاظ كثيراً ما تتوارد في القرآن على معنى واحدى، وعليه يصح أن يوصف بها من لم يحكم بما أنزل الله، والقصد التغليظ على من لم يحكم بالحق، سواء أحكم بالباطل، أو استنكف عن الحكم سلباً وإيجاباً، ونفس الشيء يقال فيمن يُحكم عليه بحكم الله فيستنكف عن تنفيذه والاذعان له.

[التفسير الكاشف المجلد الثالث صفحة ٨، ٩، ١٢، ١٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦]

العداء لمن نصبّوا انفسهم اعداء المسلمين

* يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، ٥١ * .

«يتسع الإسلام لجميع الأديان والأجناس ، لا فرق عنده بين الأسود والأبيض، ولا العربي والعجمي، ولا بين المسلم وغير المسلم من حيث المساواة أمام العدالة والقانون. . فلكل إنسان كائناً من كان الحق في أن يعيش بحرية وأمان على نفسه وماله، ولا سلطان لأحد عليه ما كفّ أذاه عن غيره، فإن تعدّى وأفسد أقيم عليه الحد. . فإذا أساء المسلم إلى غيره وجب علينا نحن المسلمين أن نمقته ونبرأ منه، وعلى العدالة أن تردعه وتعاقبه، وإذا كفّ اليهودي أو النصراني أذاه بسطنا له يد البر والإحسان، ولو أنكر نبوة محمد والقرآن، قال تعالى: * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون، ٩ ـ الممتحنة * .

وإذا عطفنا هذه الآية التي رغّب الله بها المسلمين في البر والإحسان إلى جميع الطوائف وأهل الأديان الذين لم ينصبوا العداء للمسلمين، إذا عطفنا هذه الآية على الآية التي نفسرها، وجمعناهما في كلام واحد يكون المعنى: يا أيها الذين لا تتخذوا اليهود والنصار أولياء إذا نصبوا العداء لكم، وكانوا حربا عليكم، أما إذا كانوا وادعين مسالمين فعليكم أن تحسنوا العشرة معهم، وتعيشوا جميعا متعارفين متآلفين بل ولكم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، لأن الله يحب العدل والإحسان إلى جميع خلقه، من آمن أو كفر بشرط واحد: وهو أن لا يسيء إلى أحد، لأن الناس، كل الناس عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله. . فالمبرر عنده تعالى لحسن العشرة مع أي إنسان، هو كف الإساءة والأذى، أما من جحد وكفر فعليه كفره. وتقدم الكلام مفصلاً عن موالاة المؤمن للكافر بشتى أقسامها وأحكامها عند تفسير الآية ٣٠ من سورة آل عمران.

وبهذه المناسبة نشير إلى أن عداوتنا لليهود نحن المسلمين لا سبب له إلا انهم قاتلونا في عقر ديارنا، وأخرجوا منها نساءنا وأطفالنا، كما أن السبب الأول والأخير لكرهنا وعدائنا للولايات المتحدة وانكلترا، ومن إليهما من دول الاستعمار التي ساندت إسرائيل هو أن هذه الدول ظاهرت إسرائيل على إخراج أهل فلسطين من ديارهم.. ومرة ثانية نعيد خطاب الله لنا وقوله عز من قائل: * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون * .

البترول واليهود والنصارى

* بعضهم أولياء بعض * . أجمع المفسرون على ان المراد بعض اليهود أنصار بعض، وبعض النصار أنصار بعض، وليس المراد أن كل طائفة توالي الأخرى، لأن ما بين الطائفتين من العداء أكثر مما بين النصارى والمسلمين، فإن اليهود يرمون مريم بالفاحشة، والمسلمون يقدسونها ويبرأونها من كل عيب.

وليس من شك ان المفسرين قد استوحوا هذا المعنى من العصر الذي عاشوا فيه، حيث لا شركات بترول عالمية، ولا مؤسسات احتكارية نهمة إلى التوسع والسيطرة على ثروات الشعوب ومقدراتها... أما اليوم وبعد أن قامت هذه الشركات والمؤسسات فقد رأى أصحابها المسيحيون في اليهود خير وسيلة يعتمدون عليها لتدعيم احتكاراتهم وأطماعهم، ومن أجل هذا أقاموا دولة إسرائيل في فلسطين وحرصوا على تعزيزها وحمايتها، ورسموا لها خطط العدوان والتوسع، وتعهدوا بالوقوف إلى جانبها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن... وتعلقت هي بأذيالهم، ودارت في فلكهم، ونفذت خطط الاستعمار، وامتثلت أوامر العدوان بعد أن استبان لها ان حياتها رهن بالسمع والطاعة لأوامر الاستعمار، وتنفيذ خططه، وإلا تخلى عنها، وولت إلى غير رجعة.. وإذا عقد المستعمرون وأذنابهم الآمال على مخالب إسرائيل فإنا نعتمد على الله، وعلى حقنا

المشروع، واستعادة إيجابيتنا استعداداً للمعركة الحاسمة لاسترداد الحق السليب».

[التفسير الكاشف المجلد الثالث صفحة ٧٢، ٧٣، ٧٤]

الحل الانساني

المحقق: جميع العقائد والأديان تدعو إلى العدالة والمحبة ما عدا دين بني إسرائيل الذي يدعو علناً إلى استعباد والغاء الاخرين، لانهم وحدهم ـ أي بني إسرائيل ـ الاعلون وشعب الله المختار.. وهذا متنهى العنصرية، إنه الفكر التوراتي ولا ريب.

والمؤسف ان إسلام العدل ومسيحية المحبة شيء، وتصرف غالبية المسلمين والمسيحيين شيء آخر لا ينسجم مع تعاليم الديانتين. فالدولة التي ألقت القنبلة الذرية وابادث ١٦٠٠٠٠ مواطن بريء في اليابان دولة مسيحية، والذين القوا هذه القنبلة كان يحتفظ كل واحد منهم بالكتاب المقدس.

وبريطانيا وفرنسا المسيحيتين فاقت وحشيتهما كل تصور، ورب قائل ان أميركا وبريطانيا وفرنسا دول علمانية لا دينية. وإذا وافقنا جدلاً على قوله هذا، فالعلمانية الغربية استعمارية إذن، تتناقض والاخلاق المسيحية الحميدة، لانها تتعامل مع شعوب العالم بالطريقة الاستبدادية المؤذية. ويتجلّى النفاق، بان هؤلاء الساسة الغربيون هم أول المواضبين على اقامة الشعائر والصلوات في كنائس بلادهم. حتى في لبنان كانت المارونية المسيحية السياسية تعتبر نفسها (هي) السلطة الحقيقية وصاحبة البلد، وتتصرف على هذا الاساس، والمسلمون (هم) الآخرون من الدرجة الثانية والثالثة. فكان ومازال الحكم طائفي حتى الساعة في لبنان، وان اختلف في الشكل لا في المضمون. وصار اللبنانيون غرباء في اوطانهم،

والمسلمون يتكلمون بالإسلام لكن الاكثرية الساحقة منهم لا تعمل بالمنهج القراني. والظلاميون لا يمثلون الإسلام، فهم غلاة عانى منهم الدين الإسلامي والمسلمين عبر التاريخ. وكان الخوارج أكثر المغالين تطرفاً، لأنهم اعتبروا انفسهم وحدهم المسلمين والغوا كل الآخرين لأن قناعتهم أنهم كفرة على ضلال. والخوارج أول حركة فاشية في الإسلام لا تعترف باحد إلاّ بنفسها. وهاهم خوارج القرن الواحد العشرين يرتكبون افدح الاخطاء في تعاملهم مع القضايا الإسلامية ويعتبرون أنهم وحدهم على صواب.

وبعد أن قضى الامام علي (ع) على الخوارج باكملهم تقريبا في معركة ليلية الهرير، قال له أحد قواده بان جميع الخوارج لاقوا حتفهم. فاجابة علي: «لا والله لن ينتهوا انهم في اصلاب الرجال وارحام النساء»، وصدق علي عليه السلام، فا (الخوارجية) التي تكفر الجميع، مذهب تاريجي عانت منه البشرية وما زالت. وتتجسد الان بالهلمنة الاميركية التي تريدان تفرضها السلطة الاميركية على العالم بالخداع والاكاذيب. والحكام الاميركيين كصنوهم خوارج القرن الواحد والعشرين احادي التفكير يعتبرون إنهم وحدهم على حق فيما يفعلون وكل الآخرين مخطيئين.

والخلاصة، إن الحرية والعدالة والرخاء هي الحل الانساني الوحيد الذي تنادى به المسيحية والإسلام وجميع العقائد والمبداء. فليتفق الجميع اذن على الجامع المشترك الذي تصبو اليه البشرية، والتي تريدان «تأكل العنب ولا تقتل الناطور» كما يقول المثل الشائع.

مذهب التعصب

حاشا الدين ان يجيز الظلم والتعصب المذهبي والطائفي. وكما يقول جبران خليل جبران: «ويل لامة يقلّ فيها الدين وتكثر فيها الطوائف». والحقيقة، أن التعصب الديني والطائفي اللعين له أسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية مهمة. يتمظهر التعصب بالدين لكن أهداف المتعصبون هي الامتيازات على مختلفها، والسيطرة على الآخرين واستخدامهم واستغلالهم

لمصلحة اصحاب الامتيازات والسلطات. والمتعصبون في الإحزاب أيضاً لا يؤمنون بالديمقراطية النزيهة الصحيحة، فالشعوب خذلتهم وستخذلهم لانها ادرى بمصالحها من التنظير والتحليل والتبرير. والامل الوحيد في ازالة التعصب والعنصرية والتسلط والتعدي التي هي بلاء البشرية يكمن في شرعة حقوق الانسان التي هي بمثابة (الدين) الذي تشترك فيه الناس اجمعين المطالبين بحياة حرة كريمة. وللمناسبة، اول أعلان في الإسلام لشرعة حقوق الإنسان كان عندما فتح النبي مكة وامّن أهلها على دمائهم، وكيانهم، واطلق سراح اعدائه الذيين حاربوه. وثاني شرعة للإسلام للحقوق الانسان كان في العهد الذي اعطاه النبي لليهود في المدينة يحفظ فيه دينهم ومالهم واعراضهم على شرط ان لا يتعاونوامع أعدائه ضده. لكن يهود المدينة خانوا العهد واستحقوا العقاب.

❀ ❀ ❀

*** يجاهدون في سبيل الله ٥٤* «كل عمل يسد حاجة، أو يدفع ظلامة فهو جهاد في سبيل الله . وفي الحديث: «إن النبي (ص) كان جالساً مع بعض أصحابه، فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة، فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله. فقال النبي (ص): إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله يجاهد، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله يجاهد كذلك، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان.**

*** لا يخافون لومة لائم، ٥٤* لا يظهر الايمان على حقيقته إلا عند المحنة، فهي المحك الصحيح لايمان المؤمن.. ينكر المكّر إرضاء لربه وضميره، أما ما يصيبه من وراء ذلك فيهون ويزدري.**

هذا هو شعار المخلصين: لا يخافون في الحق لومة لائم. أو كما قال نبي الرحمة: «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي». ولا مصدر لهذه المشاكل التي يعانيها عالم اليوم ـ آخر الستينات ـ من حرب فيتنام إلى حرب الشرق الأوسط، ومن الحكومة العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا

إلى مشكلة الزنوج في الولايات المتحدة، لا مصدر لهذه المآسي وما إليها إلا سكوت من سكت عن الحق في الصحف والاذاعات وفي والأمم المتحدة ومجلس الأمن خوفاً ومن أميركا وإسرائيل وبالتالي، فإن قوله تعالى: * ولا يخافون لومة لائم * يرسم صورة حية للمتدين الصادق، وللأهداف التي يجب أن ينطلق إليها، ويضحي من أجلها.. بقي هذا السؤال البسيط: هل يسوغ بعد هذا للقائل أن يتشدّق ويقول: إن الذين مغيبات، وصلاة أموات!

* ذلك بأنهم قوم لا يعقلون، ٥٨* . «قال المفسرون بما فيهم الرازي وصاحب المنار محمد رشيد رضا. ان المراد من قوله * لا يعقلون* إنهم لا يدركون حقيقة الإسلام، ولو أدركوا حقيقته لم يتخذوه هزواً.

أما نحن فنرى إنهم قد عقلوا الإسلام، وأدركوا أهدافه، وأن الذين حاربوه إنما حاربوه لأنهم أدركوا خطره على منافعهم وامتيازاتهم.. فلقد أدركوا أن الإسلام ثورة على الظلم والاستغلال، وعلى الفقر والتخلف، وعلى تقسيم الناس إلى سيد ومسود، وإنه لا فضل لمخلوق على غيره إلا بخدمة الناس، والعمل لصالحهم ومنافعهم.. هذا هو ذنب الإسلام عندهم، ومن أجله حاربوه بجميع ما يملكون من وسائل، حتى الكذب والهزء والسخرية.

وتتجلى دعوة الإسلام هذه بأكمل معانيها في نداء المؤذن: الله أكبر... لا إله إلا الله... فإن معنى الله أكبر إنه لا كبير ولا عظيم إلا هو وحده لا شريك له وليس الطواغيت المتألهين، ومعنى لا إله إلا الله: أن السلطة والمال والجاه والأنساب ليست آلهة تعبد، ولا قوة يخضع لها، وإنما الخضوع للحق وحده، والناس فيه سواء، وأن ما من أحد على وجه الأرض له أن يمس حرية إنسان كائناً من كان... وكفى بهذا ذنباً للإسلام عند ألد أعداء الانسان، ومن أجل عداوتهم هذه، لا من أجل جهلهم بحقيقة الإسلام وصفهم العليم الحكيم بأنهم قوم لا يعقلون.

* قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما انزل من قبل وأن أكثركم فاسقون، ٥٩ * أجل، إنهم لا يرضون إلا عمن يؤمن بهم وبامتيازهم واستغلالهم.. أن هذا في مقاييسهم قدس الأقداس، وان كفر بالله، وجميع الأنبياء والمرسلين.. أما من يكفر بظلمهم وطغيانهم فإنه عندهم شر الأولين والآخرين، وأن كان ولي الأولياء.. ولا شيء أصدق في الدلالة على ذلك من أنهم يتهمون الوطنيين الاحرار منهم، ويرمونهم بالمروق من الدين والمبداء، لا لشيء إلا لأنهم يستنكرون السياسة الاستعمارية، والتفرقة العنصرية.. ومع هذه التهمة الظالمة يزعمون أنهم حماة الدين، وحرسه من الالحاد والملحدين.

وتسأل: أن قولك هذا هو الواقع الذي نراه ونشاهده، ولكنه لا يصلح تفسيراً للآية: لأن الظاهر منها إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون يؤمنون بالله والقرآن والتوراة والأنجيل؟.

الجواب: أن ظاهر الآية يدل صراحة على أن الله سبحانه أمر نبيّه الكريم أن يقول لهم: هل لنا من ذنب يستوجب منكم هذا العداء إلا أننا على حق، وأنتم على باطل، تماماً كما يقول ـ الوطني المخلص لخصمه العميل الخائن ـ هل تنقم مني إلا أني وطني، وإنك عميل؟.

وليس من شك أن هذا المعنى يتفق مع تفسيرنا للآية، بل هو أظهر مصاديقها وأفرادها. وقد تنبه الطبرسي إلى ذلك صاحب تفسير «مجمع البيان» حيث جاء في تفسيره: «معنى الآية هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنّا على حق، وإنكم اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة، وكسبكم بها الأموال ـ ثم قال ـ ومعنى فاسقون خارجون عن أمر الله طلباً للرياسة».

* وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون، ٦٣* المسارعة مفاعلة وتومىء إلى التسابق والتنافس في الاثم والعدوان وأكل السحت، أي الحرام، وهذه سمة لا

تفارق اليهود، ومن أجلها مقتهم الناس قديماً وحديثاً، إلا من يتخذ منهم أداة للشر، تماماً كالسم القاتل.. حتى في الولايات المتحدة وكر الصهاينة يوجد جماعة كُثر يناهضون اليهود.

* لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون، ٦٣* هذا التوبيخ الذي دلت عليه لولا وبئس موجه في الظاهر لرؤساء الأديان من أهل الكتاب.. وفي الواقع موجهٌ لكل من عرف الحق، وسكت عنه.. أن العالم بالله حقاً المخلص له وحده يحتج على المظالم بشتى الوسائل، وإذا تيقن أن موته في هذه السبيل ينبه الغافلين، ويردع الظالمين أقدم عليه، وعبر عن احتجاجه بالاستشهاد، وتاريخ الشهداء جميعاً هو تاريخ الاحتجاج على جرائم الظلم والعدوان.

* وقالت اليهود يد الله مغلولة، ٦٤ *

وهذه صورة من الصور العديدة التي يرسمها القرآن لليهود، ومثلها قولهم: «إن الله فقير ونحن أغنياء».. وعلى قياسهم ينبغي أن يكونوا هم الآلهة، والله جلت عظمته (...) وقد تجلت هذه الغطرسة والوقاحة بأقبح معانيها في تحديهم للرأي العام العالمي باحتلال القدس سنة ١٩٦٧. وهم ماضون في سياسة التحدي والاستفزاز.

وفي بعض الروايات أن الذي نطق بكلمة الكفر هذه رجل منهم، اسمه فنحاص.. وقد تكون الرواية صحيحة، وصحيح أيضاً أن الواحد لا يعبّر عن رأي الطائفة والجماعة، وأن بعض ضعاف المسلمين يقول هذا حين تحاصره المصائب، ولا يجد له مهرباً... هذا صحيح، ولكن من اطلع على سيرة اليهود يعلم إنهم يقولون هذا بلسان الحال، وإن لم ينطقوا به بلسان المقال... إنهم يريدون من الله أن يهب الأرض ومن عليها اليهم وحدهم، وإلا فهو بخيل مغلول اليد * غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، ٦٤ * وبما فعلوا من المسارعة إلى الإثم والعدوان وأكلهم المال الحرام.

الصهاينة تواطأوا مع النازيين

قال صاحب تفسير المنار: (غلت أيديهم) هو دعاء من الله عليهم بالبخل وما زالوا أبخل الأمم، فلا يكاد أحد منهم يبذل شيئاً إلا إذا در عليه ربحاً.

وقد كان الربح الوحيد عندهم هو المال، ومن أجله يحل كل محرم، أما اليوم فلا ربح أفضل من قتل عربي، حتى ولو كان طفلاً، والشعار الديني المقدس لهيئاتهم (الخيرية) «ادفع دولاراً تقتل عربياً» مسلماً أو نصرانياً.. بل إنهم يسخون بأرواحهم رجالاً ونساء وأطفالاً ليخرجوا الفلسطينيين من ديارهم ويحلّوا محلهم.. وأغرب ما قرأت ان زعماء الصهاينة، ومنهم وايزمان وموسى شاريت ودافيد بن غوريون تواطأوا مع النازية وزعماء الجستابو على ذبح اليهود والتنكيل بهم لهدفين: الأول دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين. الثاني اصطناع المبررات لقيام دولة إسرائيل. (عن كتاب اطلاق الحمامة ٥ يونيو للمؤلفين: بيليايف وكووبستيشنكو وبريماكوف. ترجمة ماهر عسل).

وإذا تواطأ اليهود مع أعدى أعدائهم، وضحوا بمئات الألوف منهم من أجل دولة إسرائيل فهل يكثر منهم القول: أن الله فقير ونحن أغنياء، وأن يده مغلولة عن البذل والعطاء؟ وأية غرابة في قولهم: نحن حمامة السلام، والعرب دعاة الحرب والدمار بعد أن قالوا: ان الله فقير ونحن أغنياء؟. وإذا كانت يد الله مغلولة لأنه لم يهبهم الأرض ومن عليها فبالأولى أن يكون العرب طغاة معتدين، لأنهم لم يعتذروا لليهود عن التقصير، وعدم عرفان الجميل.. وليس قولي هذا كلاماً شعرياً، أو إحساساً عاطفياً.. ألم يلح اليهود على اعتراف العرب بإسرائيل ؟. وأي معنى لهذا الاعتراف في هذا الظرف بالذات إلا الاعتذار وطلب العفومن الصهاينة لانهم ـ أي العرب ـ لم يقدموا نفسهم طواعية للاغتصاب.

* وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة * . قال رضا صاحب تفسير المنار: لا نعرف في التفسير المأثور عن السلف إلا أن

الضمير في قوله (بينهم يرجع إلى اليهود والنصارى وفي تفاسير المتأخرين احتمال أن يكون الضمير لليهود وحدهم. ونحن على رأي السلف أولاً : لأنهم أعرف بما يراد من مفردات القرآن والحديث من المتأخرين، لأنهم أقرب إلى عهد الرسالة ونزول القرآن. ثانياً: لأن العداء بين اليهود والنصارى عداء ذاتي، فاليهود يعتقدون أن المسيح مشعوذ محتال وابن سفاح ـ نعوذ بالله ـ والنصارى يعتقدون أنه ابنه تعالى الله، بينما يعتقد المسلمون أنه نبي معصوم منزه عن الجهل والمعصية.. ومحال أن يزول العداء بين اليهود والنصارى: ما دامت كل طائفة على عقيدتها، وقد حاول بابا روما عام ١٩٦٥ أن يقرب بين الطائفتين، ولكن اليهود ما زالوا مصرين على رأيهم بالسيد المسيح (ع) .. أجل، ان الأطماع المشتركة قربت، بل وحدت بين أرباب الشركات لكلتا الطائفتين، ولكن على أساس تجاري، لا على أساس ديني.

ان نار الحرب التي أوقدتها إسرائيل لم تحقق الهدف المطلوب منها، وهو ضرب العرب، واستسلامهم دون قيد وشراط بعد حرب سنة ٦٧، وبالتالي حل مشكلة إسرائيل نهائياً * ويسعون ـ أي اليهود ـ في الأرض فسادا * . لأن أهدافهم الأثيمة محال أن تتحقق إلا بالتخريب وإثارة الفتن، وقد صرح المسؤولون في إسرائيل ان بقاء دولتهم وحياتها رهن بالخلافات القائمة بين زعماء العرب.. فهل من مذكر؟».

* لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ٨٢* أي إن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمسلمين. والصحيح أن عداوة اليهود والظالمين الكافرين في الغرب تتصل اتصالاً وثيقاً بالتصادم بين طبيعة الدعوة الإسلامية، وطبيعة النظام الذي كان سائداً في جزيرة العرب أول البعثة.. كان هذا النظام يقوم على أساس التسابق لاقتناء المال والعبيد عن طريق السلب والنهب، والربا والغش، وما إليه من أسباب القهر والمكر، وقد انعكست طبيعة هذا النظام على الكبار من مشركي مكة الذين كانوا يسيطرون على التجارة الخارجية، كما انعكست على زعماء اليهود في المدينة الذين كانوا يسيطرون على الصناعة والتجارة الداخلية.

وانطلقت دعوة محمد (ص) تنادي بالعدل، وترفض الظلم والاستغلال بشتى صوره وأشكاله، وتصدت للمستغلين من اليهود والمشركين بالذات، وعلى هذا الصعيد التقت مصلحة الطرفين، وتحالفوا على ما بينهما من التباعد في الدين والعقيدة، تحالفوا وتكاتفوا يداً واحدة على حرب محمد (ص) العدو المشترك... وبهذا نجد تفسير قوله تعالى: * لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا*.

ويتعبير أوضح ان عداوة اليهود والمشركين للمسلمين كانت بدافع دنيوي، لا بدافع ديني، ولكن تستر اليهود باسم الدين رياءً ونفاقاً، تماماً كما يفعل اليوم أصحاب المنافع والمصالح.

[التفسير الكاشف المجلد الثالث، صفحة: ٧٨، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١١٤، ١١٥]

سورة الأنعام

* وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين، ٤*
«المراد بالآية هنا الحجة القاطعة على وجود الله ووحدانيته، وعلى البعث ونبوة محمد، والمعنى أن الكافرين يرفضون دليل الحق، ويعرضون عنه، دون أن ينظروا إليه. . ولو كانوا من طلاب الحقيقة لنظروا إلى الدليل وتدبروه بإمعان، وعملوا بمؤداه، أما الرفض والاعراض قبل النظر والدرس فعناد ومكابرة.

لا دكتاتورية في الأرض ولا في السماء

اختلف المفسرون في تعيين المراد في الآية التي أعرض عنها، واستهزأ بها المكذبون: هل هي القرآن، أو غيره من معجزات رسول الله (ص) ، أو أن المراد بالآية جميع ما أتى به من المعجزات؟. وتنبهت، وأنا أتابع هذا الاختلاف، إلى أن الآية التي نفسرها، وما جاء في القرآن من أمثالها تتضمن معنى أجل مما اهتم المفسرون بشرحه، إنها تتضمن الدلالة على أن الإسلام يقوم على حرية العقل والرأي، وإنه لا يحق لأحد، كائناً من كان، أن يطلب من غيره التسليم والاذعان لأقواله تسليماً أعمى ومن غير دليل، حتى خالق الكون جلت كلمته لا يفرض على عباده الإيمان به وبكتبه ورسله فرضاً ومن غير دليل، إنه تعالى يقيم الحجة على ما يقوله ويدعو إليه، ويطلب من كل عاقل أن ينظر فيها ويتدبرها بإمعان، شأنه في ذلك، تعالى الله علواً عظيماً، شأن كل عالم منصف وأن بعُد

القياس والتشبيه بين الخالق والمخلوق.

*** فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون، ٥* قد يتجاهل الإنسان الحق غير مكترث به، لا يؤمن به، ولكن لا يؤيده ولا يحاربه، كما هو شأن اللامبالي، وقد يقف منه موقف المكذب، وهذا مكابر، أن كذب عن علم بالحق، وأن كذب واستهزأ فهو محارب للحق، والأول أخف جرماً من الثاني، لأنه أشبه بمن يمتنع عن الاقتراع، والثاني أخف ذنباً من الثالث، لأنه ضم صوته إلى صوت المكذبين، أما الثالث فقد كذب وأبدى نشاطاً ضد الحق، وهذا الثالث هو المقصود بالتهديد والوعيد، وأنه سيلاقي جزاء عناده واستهزائه.**

[التفسير الكاشف المجلد الثالث، صفحة ١٦٠، ١٦١، ١٦٢]

❀ ❀ ❀

المحقق: يتبين من تفسير مغنيه أن اعداء الإسلام المغرضين المعرضين عن آيات الله هم ثلاثة أنواع، اسوأهم النوع الثالث الكذاب والناشط ضد الحق. فالمسألة مسألة حق وباطل. يدعوا الإسلام صراحة إلى الحرية والعدالة. فلا يُعجِبُ هذه الدعوه النوع الثالث المهووس المتعامي عن دعوة الإسلام إلى الحق. ويدعي آخران حزبه وعقيدته وحدها لا غير على صواب. وعندما يقال له أن مقاومة الظلم والعنوان هي ظاهرة الانسان أيّ كان: ديني، علماني، الحادي، يمني أو يساري. لكنه يصرّ على موقفه العدائي اللاعقلاني وغير المبرر من الإسلام. واسواء من ذلك، إنه يريد أن يفرض رأيه على المسلمين. كما أن شريحة من المسلمين الظلامين تريد ايضاً أن تفرض رأيها على المسلمين وغير المسلمين. وهذا يتنافى وحق الاختيار الذي يطرحه القرآن.

الحجاب

وعلى ذكر فرض الرأي، لقد اخطأت فرنسا وتحامقت بمنع الحجاب لأنه حق ديني من حقوق المسلمات. ولا يحق لفرنسا الديمقراطية أن

تفرض رأيها بخلع غطاء الرأس حتى لو اقترع البرلمان باكمله على هذا القرار، لأنه يتناقض مع العلمانية الفرنسية المتحررة التي تحمي الاقليات ولا تتدخل في شؤونهم الدينية، فهذا التدخل يعني منع حرية الأديان. وكما يقول المثل في بلدنا «كل انسان على دينه الله يعنيه». وجاء في القران: لكم دينكم ولي ديني، لا أعبد ما تعبدون ولا تعبدون ما أعبد، ومن شاء منكم فليؤمن .. ومن شاء منكم فليكفر. لذلك، كتب الفقيه مغنيه في التفسير الكاشف المجلد السابع صفحة ٦٥ أن الإسلام عقلاني علماني ـ وسيأتي الشرح ـ وهو يقصد مضمون الآيات القرآنية المذكورة التي تعترف للآخر بمبدأه دون أن توافق عليه، وهذه من صفات العلمانية المتحررة لا العلمانية القمعية.

وبكلمة، إن ما فعلته فرنسا يتنافى والعلمانية الحرة. والأجدر بفرنسا أن لا تتمثل بالنظام العسكري العلماني في تركيا، الحاكم الحقيقي الوحيد لتلك البلاد الذي تصطكّ ركبتاه هلعاً من الحجاب لما يمثل من تيار سياسي شعبي عارم. فهل فرنسا الحرة تصطك أيضاً ركبتاها هلعاً سياسياً من الحجاب؟. ونذكر، أن العرب الذكور في شبه جزيرتهم يرتدون غطاء الرأس. فهل هذا ممنوع أيضاً؟.

سبق أن كتبت بحثاً عن المهندس المستنير نجم الدين أربكان رئيس حزب الرفاه الإسلامي الذي حلّته السلطة العسكرية التركية، اسأله في البحث إذا يقبل الجيش التركي أن تغطي المرأة المسلمة شعر رأسها في تركيا بالعلم الأميركي، فهل يمشي الحال؟ لم تنشر الصحف اللبنانية هذا البحث لإسباب لا مجال لذكرها الان، ولم يصل البحث إلى السيد أربكان.

أما الطنطاوي مفتي الأزهر، فأريد أن أعيد على مسامعه قصة يعرفها جيداً. وهي قصة الصحابي سعد بن معاذ الذي طلب يهود بني قريضة في المدينة أن يحاكمهم بعد أن خانوا النبي (ص) في معركة الأحزاب. فحكم عليهم ابن معاذ بالإعدام حسب ما نص عليه في دينهم في التوراة. ولم

يحاكمهم بما نص عليه القصاص الإسلامي من عقوبة أو رأفة، بعكس التوراة التي تأمر بقتل من لا يخضع لبني إسرائيل. فمن العدل أن يُلْزَمَ ابن معاذ اليهود بما ألزموا به أنفسهم. والشيخ الطنطاوي عليه أن يحاكم فرنسا بما الزمت نفسها بالعلمانية التي تنص على حرية الأديان. لكنه أجاز لفرنسا بأن تمنع الحجاب، لأن الإسلام لا يقرّ بالإكراه أيّ بإكراه فرنسا على السماح لغطاء الرأس، مما يثبت بأن الإسلام لا يفرض ولا يقمع، بينما العلمانية الفرنسية هي التي تفعل ذلك. ولو أن الطنطاوي ذكّر الحكومة الفرنسية بمبادئ الثورة الفرنسية: الحرية، الاخوة، المساواة. فأية حرية هذه التي تمنع مواطنيها من ممارسة شعائرهم الدينية؟ وهل علمانية فرنسا كعلمانية ستالين وأتاتورك وأنور خوجا الذين منعوا الغالبية العظمى من شعوبهم بممارسة حقوقهم الدينية؟ ولماذا العلمانية في اسكندينفيا وسويسرا وكندا وحتى في الولايات المتحدة لا تمنع ارتداء الحجاب عكس ما تفعله فرنسا؟ واعجباه.

❀ ❀ ❀

*** ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا، ٣٤* . «يقول سبحانه لنبيه: أن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك، واوذوا في سبيل رسالته، فصبروا على الايذاء، حتى أتاهم النصر، فاصبر أنت كما صبروا، والله ينصرك كما نصرهم. .**

هذا هو المحور الذي تدور عليه الحياة، صراع بين الخير والشر، والحق والباطل، ومحال أن يناصر الحق مناصر، ولا يلقى الأذى من أعداء الحق. . وأيضاً لا ينتصر الحق إلا إذا وجد أنصاراً يصبرون على الجهاد في سبيله، ويدفعون ثمنه من أنفسهم وأهلهم وأموالهم، سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وهذا هو معنى قوله تعالى: * ولا مبدل لكلمات الله، ٣٤* .

ولا أعرف عصراً بلغ فيه المبطلون من القوة كهذا العصر الذي نعيش فيه، فقد أقاموا في كل بقعة قواعد للحرب، وأوكاراً للتخريب، وتسلحوا

بأشد الأسلحة فتكاً، وأكثرها دماراً، وسيطروا على مقدرات الشعوب المستضعفة، والبنوك والمصارف، والصحف والمطابع وسحل اجهزة الاعلام ، ودور النشر والتوزيع إلا ما ندر، حتى وجد المخلص الأمين نفسه معزولاً منبوذاً لا يستطيع مقالاً حراً، أو يذيع من وسائل الاذاعة كلمة حق، أما الخائن فأين اتجة يجد الترحيب والإكبار».

[التفسير الكاشف المجلد الثالث، صفحة ١٨٢]

❀ ❀ ❀

المحقق: حاولت ان اتجاوز ما قاله المفسّر عن ان المخلص الامين يجد نفسه «معزولاً منبوذاً لا يستطيع ان ينشر مقالاً حراً» لمافيه من مصداقية و مرآرة والم. وذهب فكري إلى قول الامام علي: «ما ترك الحق لي صاحباً»، فكان في هذا القول عزاء. ولابد نم هذه الملاحظة: ان شريحة من عداء الحق والموضوعية المجردة كانت تسيطير على اجهزة الاعلام المقرؤة والمسموعة والمرئية في عهد محمد جواد مغنيه. فكان يوصل كلمته بصعوبة شديدة. ولولا نشر «دار العلم للملايين» لمؤلفاته لما استطاع أن يوصل كلمته لاحد.

واليوم، يوجد في الصحف اللبنانيه بعض الصحافيين ينطبق عليهم قوله تعالى: «ارأيت من اتخذ آلهة هواه» وهم اسواء من الذين ذكرهم مغنيه. لانهم لا ينشرون أي كلمة لا تتوافق مع افكارهم واهوائهم، مستفلين مراكزهم في الصحيفة. ويتعارض موقفهم هذا مع حرية الكلمة والصحافة الديمقراطية.

❀ ❀ ❀

*** ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء،**
٥٢* أن المسلم يؤمن إيماناً قاطعاً بأن محمداً (ص) أشرف الخلق على الأطلاق، وفي الوقت نفسه يؤمن بأن عظمة محمد لا تخول له أن يحاسب أحداً، أو يعاقبه أو يثيبه، أن الحساب والجزاء لله ومن الله وحده لا شريك

له، وبهذه الفضيلة امتاز الإسلام عن جميع الأديان، بنفي التسلط الانسان على إنسان كائناً من كان وبها نعتز نحن امسلمين ونفاخر الاشتراكيين والشيوعيين والقوميين والديمقراطيين، وجميع أهل الأديان والمذاهب».

* وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها، ١٢٣ *

«وتسأل: ظاهر الآية يدل على أن الله سبحانه هو الذي جعل أكابر المجرمين يجرمون ويمكرون بأهل الحق، مع العلم بأنه تعالى ينهى عن المكر والإجرام.

الجواب: أن القصد من هذه النسبة إليه جل ثناؤه هو الاشارة إلى أن مشيئة الله قضت بأن تقوم السنن الإجتماعية على أساس التناقض بين المحقين والمبطلين، بين أرباب السلطان المعتدين، وبين الناس المعتدى عليهم، ولا مفر من هذا التناقض والصراع إلا بالقضاء على المجرمين، ولا بد أن يتم ذلك، وتعلو كلمة الحق على أيدي دعاة العدل والصلاح، مهما تضخم الباطل واستطال، وقد سجل سبحانه ذلك في كتابه، حيث قال عز من قائل: «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ـ ٤٣ فاطر». أن هذا التكرار تأكيد قاطع بأن العاقبة للمتقين على المجرمين، مهما طال الزمن، وبهذا نجد تفسير قوله تعالى: * ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون * .

[التفسير الكاشف المجلد الثالث، صفحة: ١٩٤، ١٩٥، ٢٥٩]

سورة الأعراف

* فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين، ٤٤* بهذه اللعنة يرفع المؤذن صوته يوم القيامة واصفاً الظالمين بثلاثة أوصاف:

١ ـ (الذين يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس من اتباع الحق بشتى الوسائل.

لا يريدون الصدق والإخلاص والاستقامة، وإنما يريدون التعدى، الكذب، والنفاق والخيانة.

٣ ـ (وهم بالآخرة كافرون) فلا يخافون حساباً ولا عقاباً على جرائمهم وآثامهم المريعة.

* قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، ١٢٩ * «كان فرعون يضطهد بني إسرائيل قبل مجيء موسى، وأوغل في اضطهادهم بعد مجيئه، ولما قالوا ذلك لموسى (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون). أن موسى على علم اليقين إنه سيهلك فرعون، وإنه سيمن على بني إسرائيل بالنجاة منه، ويمكّن لهم في الأرض، وعبّر عن ذلك بالرجاء دون الجزم لئلا يتكلوا على وعده.. ثم أومأ موسى (ع) إلى قومه إنه ليس المهم أن يهلك الله عدوهم في ذلك الزمان ويستخلفهم في الأرض، وإنما المهم أن يتقوا الله ويعدلوا، ويحسنوا خلافته في أرضه، فينظر أيصلحون أم يفسدون؟.. وقد عملوا الكثير في الأرض، حيث قتلوا الأنبياء والمصلحين من قبل، وأقاموا دولة

من بعد لا شريعة لها إلا شهوة القتل والتشريد.

وفي هذه السنة ١٩٦٨ صدر كتاب في إسرائيل، اسمه «سياخ لوخاميم» أي أحاديث الجنود، ترجمت جريدة الأهرام بعض ما جاء فيه في عدد ٢٣/٨/٦٨، من ذلك:

«من لا يستطيع أن لا يقتل أو لا يدمر بيتاً وينسفه على من فيه فالأفضل له أن يقعد في بيته، أن الحركة الصهيونية تقوم على هذا الأساس، عندما جئنا إلى أرض فلسطين كان هناك شعب آخر يسكنها ويعيش فيها، ولم يكن لنا أن نتوقع إنه سوف يترك مزارعه وبيوته لنا بالرضى والقبول، فكان لا بد أن نقتلهم لنأخذ البيت والمزرعة، أو نخيفهم بالقتل لكي يهربوا، ويتركوا لنا البيت والمزرعة».

هذه هي شريعة إسرائيل، وهذا هو هدفها: القتل والتشريد.. إنها ليست مجرد دولة كغيرها من الدول، وإنما هي عصابة مسلحة صهيونية استعمارية تهدف إلى قتل أو تشريد أصحاب البيوت والمزارع من النيل إلى الرات لتحتل بيوتهم ومزارعهم... فماذا أعد لها العرب؟. ولا وسيلة ولا حل إلا المبدأ الحسيني القائل: أما الموت، وأما الحياة، أما لا إسرائيل تقتل وتشرد، وأما لا عرب اطلاقاً على سبيل مانعة الجمع.

* ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سؤ العذاب، ١٦٧* «إذا كانت إسرائيل دولة بالمعنى الصحيح فلماذا تقيم «علاقاتها» مع الدول والشعوب المجاورة لها على أساس الغدر والاعتداء والتوسع؟.

أن الدولة حقاً ليست غدراً وسلاحاً، وإنما هي قبل كل شيء كيان يقوم على أساس السلم، ونظام يرتكز على أساس الحق، وقيم تبتعد بها عن العنصرية والتعصب، وكيان إسرائيل عسكري يقوم على أساس الحرب، ونظامها عدم التوقف عن العدوان، وقيمها الصهيونية العنصرية، والحقد والمكر والغدر، قال الكاتب الانكليزي «كرستوفر مارلو» في مسرحية اليهودي المالطي: «أن تخيل امكانية معايشة اليهود ضربٌ من الجنون، ولا دواء لنفوسهم إلا السيف البتار». أبعد هذا يقال للعرب عيشوا مع اليهود

بسلام، أو يقال: أن اليهود أعزاء لأن منهم عصابة مسلحة تسمى باسم دولة إسرائيل تقتل وتشرد مئات الألوف بمساندة الاستعمار؟. أجل، إذا كانت القرصنة عزاً، والرذيلة مجداً فإن اليهود في أوج المجد والعز.

وبالتالي، فإن الله وحده هو الذي يعلم الخطوة التالية، والعاقل لا يخدع بالظواهر، ولا يستبق الأحداث».

* وقطعناهم في الأرض أمما، ١٦٨* . «فرّق الله بني إسرائيل في الأرض فرقاً وجماعات شتى لا وطن يجمعهم ولا دولة تحفظهم» وحاولت الصهيونية أن تقيم لهم دولة من النيل إلى الفرات بالقرصنة والاغتيال، وخيّل إليها أن العدوان الإسرائيلي يحقق لها ما تريد ذاهلة أن إسرائيل تقوم على الألغام، وأن الأمر يحدث بعده الأمر، وأن مصائر الخلق بيد الله وحده لا بيد أميركا وإسرائيل.

[التفسير الكاشف المجلد الثالث، الصفحة: ٣٣٠. ٣٨٢، ٣٨٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦]

سورة الانفال

* يا أيها الذين أمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ١٥* .

أفتى الفقهاء بتحريم الفرار من الزحف إلا إذا كان عدد جيش العدو أكثر من ضعف عدد جيش المسلمين. . وفي رأينا أن الفقهاء لا يملكون هنا الفتوى بوجوب الثبات، ولا بجواز الفرار، وأن الأمر في ذلك يجب أن يترك لتقدير القيادة الامينة الخبيرة، لأنها هي المسؤولة عن الحرب، وليس الفقهاء، فيجب أن يترك لها تقدير وجوب الثبات أو الفرار، فقد يرى الثبات مع زيادة عدد العدو ثلاثة أضعاف، وقد يرى لزوم الفرار والانسحاب من المعركة مع زيادة عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة، لأن الثبات عملية انتحارية، وفي جميع الحالات يجب الأخذ بقولها، لا بقول الفقهاء الذين يفتون، وهم على الوسائد متكئون. . هذا، إلى أن قول الفقهاء في الحروب قد ذهب بذهاب وقته الذي كانت تقاس فيه القوة بالكم لا بالكيف، وبعدد الجيش لا بمعداته الجهنيمة الحديثة.

عوامل النصر

* يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفحلون، ٤٥ * «والمراد بالفئة الفئة الباغية التي تسعى في الأرض فساداً، وقوله لعلكم تفلحون أي تظفرون بها وتنتصرون عليها. وذكر سبحانه في هذه الآية عاملين للنصر على الفئة الطاغية الباغية، العامل الأول الثبات،

وإليه أشار بقوله: (فاثبتوا). العامل الثاني الإخلاص، وأشار إليه بقوله (واذكروا الله كثيراً) فليس المراد بذكر الله في الحرب مجرد التهليل والتكبير، وإنما المراد أن يكون القتال والصمود فيه خالصين لوجه الله تعالى، بمعنى أن لا تثار الحرب بحال إلا من أجل إحقاق الحق، وإبطال الباطل، من أجل الحفاظ على سلامة العباد وأمنهم، والضرب على أيدي الآثمين الذين يسعون في الأرض فساداً بالسلب والنهب، ويثيرون الفتن والحروب ليتحكموا بالبلاد وأرزاق العباد.

* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ٤٦* . ذكر سبحانه في الآية السابقة عاملين للنصر: الثبات والإخلاص وذكر في هذه الآية ثلاثة عوامل: التقوى بطاعة الله والرسول، وتجنب الاختلاف والصبر، ولكن الصبر هو الثبات فقوله تعالى: * واصبروا* في هذه الآية تعبير ثانٍ عن قوله: * فاثبتوا* في الآية السابقة، كما أن طاعة الله ورسوله هي الإخلاص لله، أما الاختلاف فمنه حسن وقبيح، والتفصيل فيما يلي، والذي نستخلصه من الآيتين معاً أن عوامل النصر الحقيقية ثلاثة:

١ ـ الصبر والثبات، وهو توطين النفس على التضحية بكل عزيز لنصرة الحق على الباطل، وكما ينتصر الحق بمحق الباطل وزواله ينتصر أيضاً بالكشف عن الباطل، وإظهاره للناس على حقيقته. والصبر ضروري لبلوغ أية غاية من الغايات، فما من تلميذ أو أستاذ أو مخترع أو فنان، أو تاجر، أو أي كان ينال شيئاً من النجاح إلا بالصبر والثبات، وعلى مقدار صموده لتحمل المشاق والآلام يكون فوزه ونجاحه، وبهذا نجد السر في قوله تعالى: * إن الله مع الصابرين * . وقوله * وبشر الصابرين * . وقوله: * وما يلقاها إلا الصابريون * . وقوله: * ولئن صبرتم لهم خير لكم * . إلى غير ذلك. . وقد جربت الصبر طالباً ومؤلفاً فما وجدت أحلى منه مغبة، ولا أجدى عاقبة. وتقدم الكلام عن الصبر في فقرة مستقلة ج١ ص ٢٤٠.

الإخلاص، وهو أن يقصد العامل بعمله وجه الله، فيثق به لا بسواه ويؤمن إيماناً قاطعاً بأن ما عند الله خير وأبقى من الجاه والمال والبنين، فلا يؤثر شيئاً من هذه على طاعة الله ومرضاته.. وقد يبلغ المرء ما يبتغيه من أهداف شيطانية، ولكن هذا لا يُعد نصراً إلا إذا اعتبرنا الباطل فضيلة، واللصوصية غنيمة، والفساد تقوى وصلاحاً.

٣ ـ تجنب نوع من الاختلاف، لأن الاختلاف قد يكون في الآراء ووجهات النظر، مع الإخلاص والتجرد للحق، وهذا لا يتنافى مع طاعة الله والرسول، ولا يمنع من الاتفاق على الهدف كجهاد المفسدين ومحاربتهم، وكثيراً ما يكون وسيلة للتمحيص وجلاء الحقيقة.

وقد يكون سبب الاختلاف الأهواء وحب الذات، والتكالب على الدنيا وحطامها، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: * ولا تنازعوا وتذهب ريحكم * والأمثلة على اضرار التنافس في المكاسب والأرباح لا يبلغها الاحصاء، وبين دفتي التاريخ منها المئات، ولسنا بحاجة إلى التاريخ البعيد، لنستخرج منه الأمثلة، فإن تاريخنا الحاضر مع إسرائيل كافٍ ومغنٍ عن جميع الأمثلة.. فبالأمس القريب قرأت عن الكاتب الأميركي «سالز برجر» إنه كتب مقالاً لجريدة الهيرالد تربيون قال فيه ما نصه بالحرف: «واشنطن توازن الخلل العددي بين العرب وإسرائيل وتؤكد أنه وأن بدا في غير مصلحة إسرائيل إلا أنها توازن دائماً بينه وبين الإنقسام المستمر بين الدول العربية لأن هذا الإنقسام يجعل تفوق العرب العددي مجرد أرقام لا قيمة لها». وقبل هذا الكاتب أعلن المسؤولون في إسرائيل أكثر من مرة أنهم ربحوا حرب ٥ حزيران لمساندة الولايات المتحدة، واختلاف كلمة العرب، وأي شيء أحب إلى إسرائيل من أن يحمل العرب السلاح على بعضهم البعض من أن يشهروه في وجهها، ولذا لعب الاستعمار والصهيونية دوراً أساسياً في أذكاء الصراع العربي، وقد وجد، وللأسف، من يستجيب لهما، بل ويتكلم بلغتهما أيضاً... وعلى أية حال، فإن الثورة تواصل الزحف ولا بد أن تصل وتنتصر على الاستعمار وعملائه آجلاً أو عاجلاً.

«تتضمن هذه الآيات قواعد وأحكاماً في السلم والحرب نشرحها فيما يلي حسب ترتيب الآيات:

١ ـ * إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت نمهم ثم ينقضوم عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون * . يقول سبحانه: إن جماعة من الذين كفروا ولا يرجى إيمانهم قد عاهدوا النبي (ص) على المسالمة وحسن الجوار، ولكنهم أضمروا الغدر ونقضوا العهد أكثر من مرة، ولم يتقوا ما يترتب على ذلك من العذاب والوبال. . وقد وصف الله هؤلاء بأنهم شر من دب ويدب على وجه الأرض، وقال جماعة من المفسرين: إنهم يهود بني قريظة عاهدوا الرسول، ثم نكثوا عهده، وأعانوا عليه مشركي مكة يوم بدر، ولما انتصر النبي (ص) على المشركين اعتذر إليه اليهود فقبل عذرهم وصفح عنهم، ثم عاهدوه ثانية ونكثوا يوم الخندق. . ولا غرابة أن يخون اليهود ويغدروا، وإنما يُستكثر منهم الصدق والوفاء.

٢ ـ * فإن تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكّرون، ٥٧ * الخطاب للنبي (ص) بيّن الله فيه حكم هؤلاء الكفرة الغدرة، وإنه أن ظفر بهم فليقسُ عليهم، حتى يتعظ بهم غيرهم ممن تراوده نفسه بالخيانة والغدر. وبهذا يتضح أن المراد بمن خلفهم غيرهم.

٣ ـ * وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، ٥٨* . المراد بالخوف هنا العلم، وعلى سواء أي تكون أنت وهم سواء في العلم بنقض العهد، والمعنى إذا كان بينك يا محمد وبين قوم عهد، وعلمت يقيناً إنهم خائنون بظهور إمارات قاطعة على إنهم يضمرون الغدر والأغتيال، ويتخذون من العهد ستاراً يدبرون من ورائه المكر السيء، إذا كان كذلك فألقِ إليهم عهدهم، وأعلمهم إنك قد نقضته، بحيث تكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء، ولا تبدأهم بقتال قبل أن تعلمهم بذلك كي لا تنسب إلى الغدر والخيانة (إن الله لا يحب الخائنين).

«أن الإسلام يوجب الوفاء بالعهد لأهل الوفاء، أما الذين يتخذون من

المعاهدة وسيلة للغدر والأغتيال فإن الإسلام يأمر بنقضه لأنه كيد لا عهد * وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ـ ٥٢ يوسف * . قال الإمام علي (ع): الوفاء لأهل الغدر غدر، والغدر بأهل الغدر وفاء.

* ولا يحسن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يُعجزون* . معنى سبقوا أفلتوا ، ولا يُعجزون أي لا يعجزونني، والمراد من مجموع الآية لا يحسبن أحداً أن الله يفوته مطلوب.

* وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ٦٠ * الآيات السابقة تعرضت لابرام العهد من الغير، والحكم فيمن ينقضه، وفي هذه الآية أمر الله سبحانه المسلمين باعداد القوة واستكمال العدة للأعداء، والمراد بالقوة كل ما يتقوى به على العدو رمحاً كان، أو صاروخاً، أو أي شيء.. وخص سبحانه الخيل بالذكر، لأنها كانت من أعظم مظاهر القوة آنذاك، وروي عن النبي (ص) إنه تلا هذه الآية، وقال: «إلا أن القوة الرمي، إلا أن القوة الرمي، إلا أن القوة الرمي» كررها ثلاثاً ، والقصد بيان أهمية الرمي وتأثيره في الحروب وقد أثبت تاريخها صحة هذه النظرية التي نطق بها الرسول (ص) منذ أكثر من ألف وثلاثمئة سنة، حيث لا قاذفات قنابل ولا صواريخ موجهة، وقد اتجهت عباقرة العقول في كل عصر إلى تقوية الرمي وتطويره من السهم إلى الرصاص، ومنه إلى القنابل، ومنها إلى الصواريخ والقذائف الذرية والهيدروجينية.. وقد استعمل المسلمون مع الرسول الرمي بالمنجنيق في غزوة خيبر.

* ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، ٦٠* . قسّم سبحانه أعداء المسلمين إلى نوعين: نوع ظاهر العداء يعرفهم المسلمون بذلك، ونوع غير ظاهر يجهل المسلمون عداوتهم وإليهم الاشارة بقوله: * وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم * وهم كل من يتمنى للمسلمين الفشل والخذلان خوفاً على سلطانه واستغلاله، ومنهم الدول المجاورة كالفرس والروم الذين تغلب المسلمون عليهم حين قويت شوكة الإسلام.

القوة الرادعة والقوة المعتدية

ونقف قليلاً عند قوله تعالى: * ترهبون به عدو الله وعدوكم * لأنه ينطوي على مبدأ يحفظ المجتمع الانساني من الفوضى، ويردع الطغاة الأقوياء من التلاعب بحياة الناس واستغلالهم.. وهذا المبدأ هو وجود قوة في قبضة أهل الحق والعدل يردعون بها أهل الظلم والباطل، ويخضعونهم لحكم الله وشريعته التي تدعو الناس جميعاً أن يعيشوا طبقاً لقوانين الحياة وسننها، ولا ينحرف عنها أحد، فإذا ما راودته نفسه بالميل والانحراف أرغمته القوة على الرجوع إلى تلك السنن والقوانين.

ولو أن أرباب العقول واصحاب الاختصاص بحثوا عن السبب المشكلات الحياة وويلاتها لوجدوه في ضعف القوة الرادعة عن العدوان، واستفحال القوة المعتدية. ويكفي مثلاً على ذلك القوة التي تملكها الولايات المتحدة، وتستغلها في السلب والنهب، والتعدى على الشعوب دون رادع وزاجر ولا يتصدى لها وينتصر عليها إلاّ جهاد وكفاح الشعوب. فمعنى ترهبون أي تردعون عدو الله وعدوكم.

يقول «نيكولاس سبيكمان» في كتابه الإستراتيجية الأميركية في السياسية العالمية، يقول: «مسموح لنا نحن الأميركيين بكل أشكال الجبر والقسر بما فيها حروب الدمار أن نملي أرادتنا ونفرضها بالقوة على الذين لا قوة لهم». وأيضاً يقول «ليو ويلتش» الأميركي: «واجبنا أن نحقق زعامتنا الإيجابية بالقوة على العالم سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً، ولا ينبغي أن يكون ذلك إلى أجل مسمى، إنه واجب أبدي لا يجوز التفريط فيه».

ولا سر لهذا التعاظم والاستكبار من أعداء الله، والجهر بالعدوان على عياله وعباده من غير مبالاة إلا عدم الخوف والرهبة من القوة الرادعة التي تجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى.

ونفذ القادة في الولايات المتحدة ما جاء في كتاب الإستراتيجية الأميركية، واعتبروه إنجيلهم المقدس دون كتاب الله، ومارسوا جميع أشكال الجبر والقسوة بما فيها حروب الدمار ليفرضوا أرادتهم على الذين

لا قوة لهم، فالقوا بالقذائف المحرقة على الأطفال والعجائز والحوامل، وبالقنابل الكيماوية على المحاصيل ووسائل الرزق والحياة من نبات وحيوان لتموت جوعاً البقية الباقية من قنابل النابالم وغيرها من القذائف كما فعلت من حربها من كوريا وفيتنام ولهذه الغاية أقامت الولايات المتحدة على أرضها العديد من قلاع الموت، أنشأت فيها المعامل والمختبرات لاكتشاف أشد المكروبات فتكاً بالإنسان والحيوان والنبات، ولاختراع الغازات التي تُذهب العقل، وتُنهك الأعصاب.

فأي عجب بعد هذا إذا أنشأت الولايات المتحدة على أرض فلسطين قلعة الموت والفناء، ترسانة التخريب والتدمير، وأطلقت عليها اسم دولة إسرائيل؟. أجل، لا عجب في شيء من ذلك، وإنما العجب أن تعترف الدول بما فيها الدول الصغيرة الضعيفة ـ إن تعترف بهذه القلعة والترسانة التي قامت وأسست على عداء الإنسانية جمعاء، وأن يكون لها من يمثلها ويدافع عنها ويبرر أعمالها في الأمم المتحدة. . وبرغم هذا وفوق هذا فنحن لا نيأس أبداً من انتصار الحق، وخذلان الباطل في يوم من الأيام، فهذه أصوات الاحتجاج ضد الطغاة المعتدين ترتفع في كل مكان، حتى في الولايات المتحدة، وهذا الشعب الفيتنامي الباسل قد أودى بهيبة الأميركيين، وقتل من جيوشهم عشرات الألوف، وأرغمهم أن يحرقوا من أموالهم البلايين.

٥ ـ * وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون، ٦٠ * . هذا ترغيب في إنفاق المال الذي لا بد منه لإعداد القوة الرادعة. ونقدم الكلام عن ذلك في ج١ ص ٣٠١ عند تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة، وج ٢ ص ١٠٧ عند تفسير الآية ٩٢ آل عمران.

٦ ـ * وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه سميع عليم، ٦١ * . السلم عام يشمل ترك الحرب بالهدنة والصلح، وسابقاً بدفع الجزية، والدخول بالإسلام، وقوله تعالى لنبيّه: * فاجنجح لها* هو أمر حتم بمسالمة كل من يسالم كائناً من كان إلا إذا دلت الدلائل القطعية على أن سلمه مكر وتمهيد للوثبة والاغتيال على غرة.

وينبغي أن نفهم أن المراد بالسلم في الآية سلم الجميع من قاتل ومن لم يقاتل، وليس سلم الأطراف المتنازعة فحسب، كالتعايش السلمي بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة التي تسللت من خلفه اميركا لتدبير المؤامرات والانقلابات لصالحها في الدول المحايدة، وضرب الحريات في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية لتزيد من سيطرتها وأرباح شركاتها الاحتكارية على حساب دم الشعوب وخبزها ومستقبلها.

وتسأل: قال سبحانه في هذه الآية: * وإن جنحوا للسلم فاجنح لها * . وقال في الآية ٣٥ من سورة محمد: * فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم * . فما هو وجه الجمع بين الآيتين؟.

الجواب: لا منافاة بينهما، فالأولى تأمر المسلمين أن يسالموا من يسالم، والثانية تشد من عزائمهم، وتقوي فيهم الروح المعنوية، وتنهاهم عن الأنهيار والفرار من العدو، ويؤيد ذلك قوله تعالى: * فلا تهنوا* . وقوله: * والله معكم * . فهذه الآية، وهي فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم تماماً كالآية ١٠٣ من سورة النساء: «ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون».

٧ ـ * وأن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، ٦٢* . ضمير الخطاب موجه للنبي (ص)، وضمير الغائب في يريدوا ويخدعوا عائد إلى الذين جنحوا للسلم، والمعنى أن كان هؤلاء يبيتون لك يا محمد الخيانة والغدر من وراء جنوحهم للسلم فلا تخشى غدرهم، فأنت في أمان من الله هو كافيك شرهم، وقد أيدك من قبل بنصره وبالمؤمنين.

وتسأل: لقد مر قريباً عند تفسير قوله تعالى: * فأما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم * مرَّ أن الله أمر نبيه أن ينقض عهدهم إذا خاف منهم الغدر والخديعة، وفي هذه الآية أمره بالاستجابة لهم إذا طلبوا السلم، حتى ولو كانوا مريدين الخيانة في الواقع، فما هو وجه الجمع بين الآيتين؟.

الجواب: أمره الله هناك بنقض العهد مع أعلامهم بالنقض إذا كان على يقين من غدرهم بما ظهر له الأمارات القطعية، وأمره هنا بمسالمتهم وأن أرادوا الغدر في الواقع إذا لم تقم الدلائل القطعية على غدرهم، وإنما احتمل ذلك، وفي مثل هذه الحال يأخذ النبي بالظاهر ويعاملهم بحسبه، فإن الظاهر للناس، والباطن لله.

[المجلد الثالث صفحة: ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣]

❀ ❀ ❀

المحقق: نفهم من تفسير هذه الآيات، أو بالأحرى من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالحرب والسلم، أن الإسلام يقرّ (المعاملة بالمثل) فهو يوفي بالعهد لأهل الوفاء ويغدر بأهل الغدر، ويبطش بهم قبل أو بعد أن يبطشوا به.

ومعنى تُرهِبون أي تُرِدِعون وليس معناه الإرهاب الذي تتحدث عنه الولايات المتحدة ليل نهار، فالمفهوم القرآني يختلف عن مفهوم الإدارة الأميركية. فكلمة «ترهبون» في الآية ٦٠ من «سورة الأنفال» هي جزء من سياسة إعداد القوة التي ستُمارس على العدو. وفي فقرة الإعراب في أعلى الصفحة، كتب الفقيه مغنية: «وجملة ترهبون به حال من الواو في أعدّوا» أي أن معنى الواو في ترهبون هو حال، وهي نفس الحال ونفس الواو بكلمة أعدّوا في الآية. وعلينا إن أخذ معنى (ترهبون) بعين الاعتبار لأنها فُسِرت في الستينات من القرن العشرين بمعزل عن الضغط والتهويش والتشويش الذي تتزعمه الولايات المتحدة التي تريد أن تقنع العالم بالإرهاب الإسلامي، والإسلام منه براء.

والذي قاله نيكولاس سبيكمان في كتابه «الاستراتيجية الأميركية» في الخمسينات من القرن الماضي: إن على أميركا أن تملي إرادتها وتفرضها بالقوة على الذين لا قوة لهم، قول صدق لا كذب. والولايات المتحدة تنفذ هذا القول وتطبقه على أرض الواقع ـ إذا استطاعت ذلك ـ منذ زمن

بعيد. وبالضبط، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ووضع يدها على العالم الذي ورثته من الإمبراطوريتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي في الثمانينات خلا لها الجو وأصبحت القوة الأوحد التي تتحكم بالعالم. وليست سياسة الإملاء والتسلط الاميركي وممارسة القوة بالشيء الجديد.

لكن الجديد، في الإدارة الأميركية الحالية أنها تعتقد جازمةً بأنها تستطيع أن تفعل ما تشاء، فبقوتها تنال ما تريد. وكما أنهت الولايات المتحدة مسألة الهنود الحمر في أميركا، فالقوة الأميركية الشارونية المتحدة بالتضامن والتكافل تؤمن كل الإيمان المطلق بأنها تستطيع أن تنهي قضية فلسطين وقضية العرب والمسلمين. لكن المقاومة الفلسطينية اللبنانية العراقية فاجئتهم بما لا يخطر على بالهم وحسابهم. فارتبكوا كل الارتباك لأنهم لا يأخذون جدياً بمقاومة الشعب العربي بالحسبان. وهم الآن في ورطة ما بعدها ورطة، فالمقاومة تضربهم، وأرض فلسطين ولبنان والعراق تشرب من دمائهم، وزلزلت المقاومة الأرض تحت أقدامهم، فاختل توازنهم مما سيؤدي إلى سقوطهم.

وكذلك، تتصدى قيم الحضارة والقومية والثقافية والوطنية والدين للهجمة الأميركية الشارونية الشرسة، ولن تدعمها تمر..

والذي يرعب الإدارة الأميركية الشارونية انطلاق هذا العملاق البعبع الذي اسمه الإسلام من الزجاجة التي سجنه فيها الاستعمار وأذناب الاستعمار مئات السنين، وعبثاً تحاول أميركا وإسرائيل أن تعيد هذا المارد العملاق إلى حبسه في قمقم الزجاجة، فأخرجت واشنطن وتل أبيل من دهاليزها وأنفاقها الخلفية المظلمة ومن مؤخرة عقولها إسلاماً جديداً هو امتداداً لـ (C.I.A) ـ سي آي إي ـ والموساد.

أما تحدث الهلمنة الأميركية الإسرائيلية عن الحرية والديمقراطية والشفافية وحقوق الإنسان، ذكرّني بتلك العاهرة التي قال عنها الأديب سعيد تقي الدين: «ما أفصح العاهرة حينما تتحدث عن الفضيلة». فعلاً، إن

الساقطة تقول عن نفسها إنها أشرف امرأة في العالم. والسياسة الأميركية تقول عن نفسها أيضاً إنها أعظم وأشرف سياسة في العالم. .

ذكر الفقيه مغنيه ان اميركا انشأت إسرائيل، لكنها ـ اي اسرائيل ـ اليوم فاتحه على حسابها، وتتمرد على حبيبتها وربيبتها أميركا والعالم اجمع، وتفعل ما تشأ من الظلم والعدوان. وأميركا تنصاع لرغباتها، والعالم برمته لا يفعل شيءً معها. بل يتسايق الجميع للتعاون مع الصهيونية، ولماذا لا، والدول العربية تتسابق للاعتراف بها والإرتماء في أحضانها. هذه الدول التي ظنّ مغنيه رحمه الله إنها لن تستلم وتعترف بدولة الصهاينه.

سورة التوبة

* وأن أحد من المشركين استجارك فاجره، ٦*

وأفتى الفقهاء بأن للمسلم أن يؤمّن حين القتال آحاداً من المشركين المقاتلين شريطة عدم المفسدة في الأمان بأن لا يكون المستجير جاسوساً، ولا يتعطل الجهاد والقتال بأمانه.

* قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ١٤* وبعد، فإن كل حكم تضمنته هذه الآيات فهو خاص بمشركي العرب في مكة آنذاك، لأنهم هم الذين أخرجوا الرسول (ص) وحاربوه وخانوا عهده.. وعلى افتراض إنها توجب جهاد المشركين في كل زمان ومكان: فإن هذا الجهاد لا يجوز إلا بقيادة دولة إسلامية برئاسة المعصوم أو من ينوب عنه.. فأين هي الآن؟. وقد دعا إليها من دعا، وألّف حزباً من أجلها بزعمه، ثم تبين إنه عميل، فحوكم على عمالته وخيانته للأمة والوطن، وتخلى عنه من خُدع به من المغفلين، ولم يعرف أين مكانه الآن.. أجل، أن جهاد الإنسان ودفاعه عن حريته وماله ووطنه لا يتوقف على وجود دولة إسلامية، ولا يحتاج إلى الإذن من المعصوم، وغير المعصوم، لأن الدفاع عن النفس والوطن، ونضال المستعمرين والمستثمرين المستغلين حق تقدسه جميع الشرائع والقوانين والعقائد.

* ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، ١٦* . أفضل الطاعات عند الله جهاد المبطلين أعداء الحق والإنسانية، وإلى هذا

الجهاد أشار بقوله سبحانه: * ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم * . وأكبر المعاصي الركون إليهم، وإليه أشار تعالى بقوله: * ولم يتخذوا من دون. . . الخ * ، وكل من يلجأ إلى أهل البغي والعدوان ويربط مصلحته بمصالحهم فهو عدو لله ولرسوله وللمؤمنين، وعلى كل مخلص أن يشهر به، ويكشف عن دوره في التخريب والعمالة، ليميز الناس بينه وبين المكافح الأمين، ويضعوا كلاً في المكان الذي يستحقه.

* وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، ٣٦* . ـ المشركين الذين قاتلوا النبي ـ. هذا هو الداء الشافي والعلاج السليم. . النفير العام، والجهاد الشامل سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، أما أنصاف الحلول فخضوع واستسلام للظلم والعدوان. . لقد تظاهر الصهاينة والمستعمرون كافة على العرب والمسلمين كافة بلا استثناء، وأقاموا على أرض العرب قاعدة عسكرية عدوانية، أطلقوا عليها اسم دولة إسرائيل، لينطلقوا منها للاعتداء على البلاد العربية والإسلامية. . . نحن الآن في شهر تشرين الأول من سنة ١٩٦٨، والاتصالات مستمرة داخل الأمم المتحدة وخارجها لحل مشكلة الشرق الأوسط حلاً سلمياً أي على أساس انصاف الحلول التي يحصل عن طريقها المعتدي على شروط ومكاسب تشجعه على العدوان كلما سنحت الفرصة، ثم يتعود انصاف الحلول، ويحصل بها على ما يبتغي. وهكذا دواليك. حتى تتم له السيطرة على الجميع. . والسبيل الوحيد لاستئصال الداء جذوره هو ما رسمه الله لنا بقوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين) الذين تحرروا من الأحقاد والمطامع، ووحدوا صفوفهم كافة لقتال عدوهم وعدو الله والانسانية.

النفير العام

* انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ٤١ *

الخفاف: جمع خفيف، والمراد به هنا من يستطيع الجهاد بيسر، والثقال جمع ثقيل، وهو من يستطيع الجهاد بشيء من المشقة. والآية تدل على وجوب النفير العام، وإليك البيان.

إذا حاول العدو أن يعتدي على دين الإسلام بتحريف كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه، أو بصد المسلمين ومنعهم عن إقامة الفرائض والشعائر الدينية، أو حاول الاستيلاء على بلد من بلادهم ـ إذا كان الأمر كذلك وجب على المسلمين أن يجاهدوا هذا العدو، ويردعوه عن غيه وضلاله، فإن أمكن ردعه بجهاد بعض المسلمين وجب الجهاد به كفاية إذا قام البعض سقط عن الكل، وإذا أهملوا جميعاً فهم مسؤولون ومستحقون للعقاب بلا استثناء، وإذا لم يتوقف الردع على النفير العام كان الجهاد عيناً على الشبان والشيوخ والنساء والمرضى، من كلٍ حسب قدرته.

قال صاحب الجواهر: «إذا داهم المسلمين عدو من الكفار يخشى منه على بيضه الإسلام، أو يريد الكافر الاستيلاء على بلاد المسلمين وأسرهم وسبيهم وأخذ وأموالهم، إذا كان كذلك وجب الدفاع على الحر والعبد والذكر والأنثى والسليم والمريض والأعمى والأعرج وغيرهم إن احتيج إليهم، ولا يتوقف على حضور الإمام ولا اذنه، ولا يختص بالمعتدى عليهم والمقصودين بالخصوص، بل يجب النهوض على كل من علم بالحال، وإن لم يكن الاعتداء موجهاً إليه... هذا إذا لم يعلم بأن من يراد الاعتداء عليهم قادرون على صد العدو ومقاومته».

هذا هو عهد الله أخذه على كل مسلم باتفاق جميع المذاهب، تماماً كاتفاقهم على وجوب الصوم والصلاة، والحج والزكاة.. وقد ابتلي المسلمون والعرب الآن بعصابة صهيونية استعمارية اعتدت على دينهم وبلادهم، وقتلت وشردت وسجنت الألوف ... فعلى كل عربي ومسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يجاهد بكل طاقته ضد هذه العصابة المسماة بدولة إسرائيل . (ذلكم خير لكم) أي النفير خير للمسلمين في دينهم ودنياهم. (إن كنتم تعلمون). أجل، نحن نعلم بأن النفير لجهاد إسرائيل واجب على كل مسلم، ولكن الذي يمنعنا عن جهاد إسرائيل هم القادة الخائنون، فعلينا أن نجاهد هؤلاء قبل كل شيء لأنهم علة العلل، ولولا خيانتهم لدينهم وأمتهم، وطاعتهم العمياء للصيهونية والاستعمار ما كان لإسرائيل عين ولا أثر.

* وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ٨١ * من ترك جهاد الطغاة ألبسه الله ثوب الذل في الدنيا، وسيم الخسف ومُنع النَّصفَة. . وما غُزي العرب والمسلمون في عقر دارهم إلا حين تواكلوا وتخاذلوا، وآثروا الخزي والمذلة على الاستشهاد من أجل العزة والكرامة.

[التفسير الكاشف المجلد الرابع ١٢، ١٧، ١٩، ٤٠، ٤١، ٤٦، ٤٧، ٧٧]

أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فيقتلون ويقتلون، ١١١ * ليس هذا شراء بالمعنى المعروف، وإنما هو حث وترغيب في الطاعة. . وعبّر سبحانه عنه بالشراء الأمين : أن يثق المطيع بالجزاء والثواب على طاعته، تماماً كما يثق البائع باستحقاقه الثمن بدلاً عن سلعته. الثاني: التنبيه إلى أن الإيمان ليس مجرد كلمات تمضغها الأفواه، وصورة تمر بالأذهان، وعاطفة تُحس في القلوب، وإنما هو بذل وتضحية بالنفس والمال النفيس رغبة في ثواب الله الذي هو أغلى وأبقى، تماماً كما يتنازل البائع عن ملكه مختاراً طمعاً في الثمن الذي يراه أنفع وأجدى.

إن أعز شيء على الإنسان حياته ونفسه التي بين جنبيه، أما حبه للمال فلأنه الوسيلة لحفظها وتحقق أهوائها ورغباتها، وقد امتحن الله سبحانه من يدّعون الإيمان امتحنهم بأعز الأشياء لديهم، ليتميز الصادق في إيمانه من الكاذب، ولا يحتج هذا غداً بصومه وصلاته، وقد بخل وأحجم عن العطاء والبذل من نفسه وماله.

(وعداً عليه حقاً) هذا مثل قوله تعالى: «كتب ربكم على نفسه الرحمة» أي هو الذي أوجبها على نفسه، فصارت حقاً عليه بهذا الايجاب، وقد وعد سبحانه المجاهدين بالجنة فصارت حقاً لهم عليه بهذا الوعد، بخاصة بعد أن سجله (في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) والغرض من هذا التأكيد أن يكون المجاهدون على يقين من الجزاء وعظيم الثواب، حتى كأنهم يرونه رأي العين، فيفرحون ويستبشرون. (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) هذا تأكيد آخر للوعد بالجزاء وحسن الثواب.

* ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله، ١٢٠*

هذه إشارة إلى النهي عن التخلف، والقعود عن جهاد المبطلين وكفاحهم، والظمأ العطش، والنصب التعب، والمخمصة الجوع، والموطىء الأرض.. وآلمُ شيء للإنسان أن تطأ أقدام عدوه تراب بلده ووطنه مسلماً كان أو غير مسلم، اللهم إلا إذا كان عميلاً، لا دين له ولا ضمير... والإسلام لا يجيز لأحد كائناً من كان أن يطأ أرضاً لغيره إلا لسببين: الأول أن يكون ذلك لدفع الضرر عن أهلها، كما إذا شبت النار في بيت من البيوت، فتدخله لإطفاء الحريق ودفع الضرر عن المالك والمجاورين. السبب الثاني: أن تدخل قوة عادلة بلداً لتردع أهله عما يبيتون من الظلم والعدوان على بلد آخر.

* يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، ١٢٣* تحث هذه الآية المسلمين على تحصين الحدود وصيانتها من أعداء الله وأعدائهم. فقد جاء في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: (الذين يلونكم): «أي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الظالمين الإقرب منهم فالأقرب إلا أن تكون هناك موادعة ـ أي هدنة أو معاهدة ـ .. وفي هذه دلالة على إنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام ـ أو على بلد من بلاد المسلمين ـ وإن لم يكن هناك إمام عادل». وفي المجلد الأول من هذا التفسير ص ٢٦٩ تكلمنا مفصلاً عن مقاتلة الكفار بعنوان «الإسلام حرب على الظلم والفساد.

ومن روائع ما جاء في هذا الباب دعاء للإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) ناجي به ربه، ودعا لأصحاب الثغور وحماة البلاد الإسلامية، وقد ضمنه الخطوط العريضة للانتصار في الحرب على العدو قال فيما قال:

«اللهم صل على محمد وآل محمد، وكثّر عدتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبر أمرهم، وتوحد بكفاية مؤنهم، وأعنهم بالصبر، والطف لهم بالمكر، وعرّفهم ما يجهلون، وعلّمهم ما لا يعلمون، وأنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة

الغرور، وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنة نصب أعينهم».

هذه الخطوط التي ذكرها هي المقومات الأساسية للنصر التي انتهى إليها العلم الحديث: كثرة السلاح، فمهما تحطم منه يبقى ما فيه الكفاية، وشحذه والمؤنة الوافرة لكل جندي، والعلم بفنون الحرب واستعمال السلاح وبكل ما يتصل عما يُبيت له، وتوحيد الصفوف وجمع القلوب على الاخلاص في القتال والصبر على آلامه حتى الموت، ونسيان الدنيا وحطامها عند اللقاء والطعن والضرب، والإيمان بأن شهادة الإنسان في سبيل دينه ووطنه هو الربح والفوز الأكبر... أما بيت القصيد في هذه المناجاة فقول الإمام: «وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون واجعل الجنة نصب أعينهم».

وهل أُتِيَ العرب والمسلمون قديماً وحديثاً، وصاروا أكلة لكل آكل إلا عن طريق المال الفتون؟.

لقد مضى على هذه الكلمات ثلاثة عشر قرناً، ومع هذا لو أن قائداً عظيماً من قادة الحرب في هذا العصر وضع كتاباً في أسباب النصر لما كان إلا شرحاً لهذه الكلمات الموجزة التي نطق بها الإمام زين العابدين وسيد الساجدين.

[المجلد الرابع صفحة: ١٠٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢١]

سورة يونس

الفراعنة الجدد

* يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانو فيه يختلفون، ٩٣ * والتاريخ يعيد نفسه، وأعني بذلك سُنة الله في خلقه التي أشار إليها مؤكداً بقوله: «فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ـ ٤٣ فاطر». وإسرائيل اليوم تسير بمساندة أميركا على سنة فرعون بالذات.

كان فرعون يذبح أبناء بني إسرائيل، ويستحيي نساءهم، وفعلت إسرائيل بأبناء الشعب الفلسطيني أكثر بكثير مما فعله فرعون.

وقال فرعون: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي؟. وقالت إسرائيل: أليست لي فلسطين وخيراتها، ومعها مرتفعات الجولان، والضفة الغربية؟.

وقال فرعون: أنا ربكم الأعلى. وقالت إسرائيل ربيبة أميركا، «لا غالب لي اليوم». ولم تمض الأيام، حتى بدأت سنة الله تعمل عملها، فمن إغراق ايلات إلى موقعة الكرامة، ومن تدمير مواقع الصواريخ لإسرائيل إلى عمل الفدائيين الذي اضطر «دايان» إلى القول: على اليهود أن يستعدوا لتوسيع قبورهم.. وسيقول عاجلاً أو آجلاً: آمنت بالذي آمن به العرب والمسلمون، تماماً كما قال فرعون من قبل.

لأنها سارت على نفس الطريق الذي سار عليه، وستكون نهايتها نهايته لا محالة.

وقد يقول قائل: أن الصراع مع إسرائيل طويل ومرتين. ونقول في جوابه أجل، ولكن النصر النهائي لأصحاب الحق مهما طال الزمن، والتاريخ البعيد والقريب يشهد بهذه الحقيقة من عهد فرعون وهامان إلى عهد هلتر وموسيلني.

وبعد أن فات ما فات تقول: آمنت (وقد عصيت من قبل) حيث كان الخيار بيدك في التوبة والرجوع إلى الحق، ولكنك طغيت وبغيت (وكنت من المفسدين) فذق جزاء عملك بالغرق والهلاك (فاليوم ننجيك ببدنك) لا بروحك ونلقي بحثتك على نجوة من الأرض ليشاهدها من كان يعظم من شأنك (لتكون لمن خلفك آية) يتعظ بها كل من تحدثه نفسه بالسير على طريق الفساد..

ولكن ما أكثر العبر، وأقل الاعتبار، ومن أجل هذا قال سبحانه، وقال (وأن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) وغير مغفول عنهم.

(ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق). والمراد بالصدق هنا الخصب بدليل قوله تعالى: (ورزقناهم من الطيبات) والمعنى اسكناهم بعد هلاك فرعون بلاداً خصبة طيبة.

هي مصر، وهذا هو الأرجح لقوله تعالى: «فأخرجناهم ـ أي فرعون وقومه ـ من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل ـ ٥٨ الشعراء». فالآية صريحة في أن الله اسكن بني إسرائيل ديار فرعون وقومه.

(فما اختلفوا حتى جاءهم العلم). المراد بالعلم هنا التوراة كما نزلت على موسى (ع)، وكان فيها الإخبار بنبوة محمد (ص). وكان بنو إسرائيل قبل نزولها كلمة واحدة في كفرهم وضلالهم، وبعد أن جاءتهم التوراة اختلفوا فيما بينهم على عهد موسى وبعده، فقد تمرد عليه أكثرهم، وعبدوا العجل، وقالوا له: أرنا الله جهرة.. وأذهب أنت وربك، إلى غير ذلك مما سجله عليهم القرآن (أن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) حيث لا كذب في ذلك اليوم، ولا رياء، ولا شيء إلا الحق يظهر للجميع جلياً واضحاً.

[المجلد الرابع صفحة: ١٨٩، ١٩٠]

سورة هود

* وما هي من الظالمين ببعيد، ٨٣ *

كل ظالم في شرق الأرض وغربها معرّض لنزول العذاب به من السماء، أو من المعذبين في الأرض.. فإن كل ثورة تحررية حدثت أو تحدث لا مصدر لها إلا النقمة على الظلم وأهله، والفساد وأنصاره.

* قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، ٩١ *

دعوة شعيب بنظرهم ما هي إلا وسيلة للشغب والتخريب وهذا هو بالذات منطق القراصنة في كل زمان ومكان، يسلبون ويقتلون، فإذا اعترض عليهم معترض قالوا له: أنت مخرب هدّام ـ إرهابي ـ تثير المشاكل والحروب، وتعمل ضد الأمن والسلم، لأن السلم في مفهومهم أن تركع الناس لطغيانهم، وتسجد لآثامهم.

* ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون، ١١٣* ولا يختص الذين ظلموا بالمعتدين على الناس وحرياتهم، فقد جاء في الأخبار وفي نهج البلاغة:

«الظلم ثلاثة: ظلم لا يُغفر، وظلم يُترك، وظلم مغفور لا يطلب، فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات ـ أي صغار الذنوب ـ وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم لبعض».

ومعنى الركون إلى الشيء الاعتماد عليه، ولكن المراد بالركون إلى

الظالمين في الآية ما يعم السكوت عنهم لوجوب النهي عن المنكر، وفي الحديث: « إذا رأى الناس المنكر بينهم، فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه». وقال الإمام جعفر الصادق (ع): «نصرة المؤمن على المؤمن فريضة واجبة». وفي كتاب الوسائل باب «الجهاد عن المعصوم»: إن المسلم يقاتل عن بيضة الإسلام، أو عند الخوف على ديار المسلمين. واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها قسم الفقهاء الجهاد إلى نوعين:

الأول: جهاد الغزو في سبيل الله، وانتشار الإسلام. الثاني: الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين، والدفاع النفس والمال والعرض، بل الدفاع عن الحق اطلاقاً، سواء أكان له، أم لغيره، قال صاحب الجواهر: «إذا داهم عدو من الكفار يخشى منه على بيضة الإسلام، أو يريد الكافر الاستيلاء على بلاد المسلمين، وأسرهم وسبيهم وأخذ أموالهم ـ إذا كان كذلك وجب الدفاع على الحر والعبد الذكر والأنثى، والسليم والمريض، والأعمى والأعرج، وغيرهم أن احتيج إليهم. ولا يتوقف الوجوب على حضور الإمام ولا أذنه، ولا يختص بالمعتدى عليهم والمقصودين بالخصوص، بل يجب النهوض على كل من علم بالحال، وأن لم يكن الاعتداء موجهاً إليه، هذا إذا لم يعلم بأن من يراد الاعتداء عليهم قادرين على صد العدو ومقاومته، ويتأكد الوجوب على الأقرب من مكان الهجوم فالأقرب».

ثم قال صاحب الجواهر: «ودفاع الإنسان عن نفسه واجب، وأن لم يظن سلامتها، لأنه معرض للخطر على كل حال، أما دفاعه عن عرضه وماله فواجب أن غلب على ظنه السلامة بنفسه مخافة أن تذهب النفس مع العرض والمال. وكذا يجب على الإنسان أن يدافع عن حياة الغير وماله وعرضه بشرط أن يغلب على ظنه السلامة بنفسه».

[المجلد الرابع صفحة: ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٥]

سورة يوسف

* ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم، ٢٥* قالت زوجة العزيز هذا بكل هدوء، ودون أن يظهر عليها أي أثر للمفاجأة، قالت لزوجها: ما جزاء من أراد بي السوء ـ وهي نفسها السوء ـ ومع هذا تتهم الطهر والقداسة بالسوء، وتطلب معاقبته عليه.

ويذكرنا هذا الموقف بالحكام الاميركيين بالذين يثيرون الآن الحروب في فيتنام والشرق الأوسط والكونغو وغيرها، ويسلحون الجلادين للفتك بالمستضعفين في أنغولا وجنوب افريقيا وروديسيا، وأمريكا اللاتينية وغيرها، ويقيمون ضد من يخرج عن طاعتهم أكثر من ألف قاعدة عسكرية في شرق الأرض وغربها مجهزة بأنواع المبيدات البشرية، ومع هذا يدعون إنهم قتلوا الفيتناميين، وسلحوا إسرائيل، ودفعوها إلى العدوان والتقتيل والتخريب والتشريد للمحافظة على السلم، وأمن الشعوب، وصيانة حقوق الضعفاء.

❀ ❀ ❀

المحقق: يقصد المؤلف أن أميركا كاذبة ساقطة مثل زوجة عزيز مصر.

❀ ❀ ❀

* ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ٤٠* . ذلك إشارة إلى حصر الشتريع والعبادة بالله، والمعنى أن الدين المستقيم الذي لا

عوج فيه هو الذي يخص الله وحده بالتشريع والعبادة، وليس لأي إنسان أن يستعبد الناس، أو يشرع لهم الأحكام والحلال والحرام، فالكل حتى الأنبياء عبيد لله يعملون بأمره ونهيه، ومعنى هذا أن كل الناس خُلقوا أخوه متساوين، وقد منحهم خالقهم حقوقاً إنسانية أبدية لا تقبل التبديل أو التعديل، وأظهر هذه الحقوق الحياة والحرية والسعي إلى السعادة، ومن وقف في طريق حق منها فهو أعدى أعداء الله ودينه وشريعته.

* إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، ٩١ * والمراد بالمحسنين هنا الذين عملوا وثابروا وصبروا على الصعوبات، وقد يهزمهم المسيئون الأشرار مرة أو مرات، ولكن العاقبة للمتقين، والشواهد على ذلك لا تقع تحت حصر من عهد النمرود إلى عهد هلتر. . . وقد ابتُليت الإنسانية اليوم بالصهيونية المتجسمة بإسرائيل، وبالاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة أعتى عتاة الشر والفساد في هذا العصر. . ولسنا نشك اطلاقاً في أن مصير الاثنتين هو مصير كل طاغ وباغ سابق ولاحق. . ولا نقول هذا لمجرد التعبير عما نحب ونرغب. . كلا، فإنه منطق طبيعي لتطور الحياة والتاريخ. . أن للحق أهلاً يطالبون به، ويضحون من أجله، وأن للخير قوى تناصرة وتؤازره، وستتحد في يوم من الأيام ضد الظلم والطغيان، وتدور الدائرة على أهله وانصاره.

أن الصراع بين الحق والباطل قائم ودائم في هذه الحياة لا صلح بينهما ولا هوادة. . والنتيجة الطبيعية لذلك أن من يسلك طريق الباطل يقاومه المحقون، ولكن بالعدل والصدق، لا بالكذب والغش والخديعة، لأنهم يرفضون أي سلاح لا يقره الحق والعدل. . . ومن يسلك طريق الحق يحاربه المبطلون، ولكن بالافتراء والدس وأنواع الكيد والمكر، لأن من يصر على الباطل لا يملك إلا التزييف والتزوير، ومن هنا كان الحق غالي الثمن، كثير التكاليف على من يتبعه ويستمسك به.

[المجلد الرابع صفحة: ٣٠٤، ٣١٦، ٣٥٣، ٣٦١، ٣٦٢]

سورة الرعد

* ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً، ٣١* . مر نظير هذه الآية في سورة الأنعام، وتكلمنا حولها مفصلاً بعنوان طراز من الناس في ج٣ ص ٢٤٨. وأيضاً يأتي مثلها في الآية ٩٠ وما بعدها من سورة الاسراء، ونعطف على ما قدمناه أن هذه الآية تصور الطريقة التي يفكر بها الطغاة الذين تقوم حياتهم على استغلال الضغفاء واستعبادهم.. فلا الفطرة والعقل، ولا الحس والمشاهدة، ولا الخوارق والمعجزات، ولا شيء يغير من عتو الطغاة المستغلين وضراوتهم.. والدافع الأول والأخير هو اخلاصهم لوجودهم وكيانهم الذي يقوم على السلب والنهب.. ومع هذا يريدهم محمد (ص) أن يعترفوا به وبالقرآن.. ولما يعترفون؟. ألان الجبال تسير ـ بكتابٍ من السماء ـ بلا عجلات، وتكلمهم الأموات؟. ثم ماذا؟. وأية جدوى لهم في ذلك، بل وفي رؤية الله وجهاً لوجه؟. هل تزادد أرباحهم، وتكثر أموالهم؟.

هذا هو تفكيرهم، وهذه هي اللغة التي يفهمونها ويصغون إليها، ولا يستمعون إلى غيرها.. لغة الكسب والربح الجنيه والدولار، أما الحق والعدل. أما المنطق والعقل فحديث خرافة يصدقه الأطفال، ويؤمن به الجهال.. وهل بعد هذا يسأل سائل: كيف لم يؤمن الطغاة بمحمد، ودعوته دعوة العدل والاحسان؟ . وأي ذنب أعظم من هذه الدعوة التي تستأصل الظلم والفساد من الجذور؟. وأي عاقل يوقع بيده الحكم بإعدامه؟.

بهذه الطريقة وحدها يفكر الذين تقوم حياتهم على السلب والنهب في كل زمان ومكان.. فكر بها أو جهل وأبو سفيان في عهد محمد (ص)، وفكر بهاء في عصرنا هلتر وموسوليني، وتفكر بها اليوم وفي عصر الفضاء الدول الاستعمارية بقيادة أمريكا، وكفى دليلاً على ذلك إنها تضغط بكل قواها على أعضاء الأمم المتحدة كي يتجاهلوا أية قضية تمت إلى العدالة بسبب، فإذا فشلت في هذا الميدان وقفت موقفاً صريحاً ومعادياً لكل شعب يطلب العدل والانصاف من المعتدين عليه، وناصرت الظلم والطغيان أينما كان ويكون، وسواء أجاء من إسرائيل أم البرتغال أم الحكومة العنصرية في روديسيا وجنوب أفريقيا، أو غيرها.. والسر هو اخلاص الولايات المتحدة لطبيعتها أو لنظامها كقائد للاستعمار الحديث في هذا العصر، ومصير هذه القيادة تماماً كمصير النازية الهتلرية وغيرها، وقد ظهرت الدلائل في فيتنام، أما الاستياء من سياسة المستعمرين فقد عم الشرق والغرب ولن يمر هذا الاستياء دون أن يترك أثره الفعال.

وكنت من قبل أعجب من بعض الناس كيف يستهينون بالطيبين المخلصين، ولا يقدرونهم حق قدرهم، وكيف يرونهم كغيرهم من الأناس العاديين، حتى ولو أتوا بالعجب العجاب، وضحوا بأرواحهم بأعز ما يملكون من أجل احقاق الحق، عجبت من ذلك حتى وصلت بالتفسير إلى هذه الآية فأدركت أن هذا التفكير ليس مقصوراً على من أفسد وطغى بالفعل، فإن كثيراً من الناس قد أسقطوا من حسابهم جميع الفضائل والقيم، ولم يقيموا وزناً إلا للكسب والربح تماماً كغيرهم من الذين حاربوا محمداً، ووقفوا في هيئة الأمم ومجلس الأمن في جانب إسرائيل وعدوانها سوى أن هؤلاء تمهد لهم السبيل إلى الفساد والطغيان فسلكوه، ولما عجز عنه الذين يستهينون بالخير وأهله وقفوا موقف الحياد.

[المجلد الرابع صفحة: ٤٠٥، ٤٠٦]

سورة ابراهيم

* وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا، ١٣* دعا الأنبياء دعوة الحق والعدل بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يُكرهوا أحداً على دينهم وعقيدتهم لأن دعوتهم تقوم على أساس عدم الاكراه في الدين، وأن كانت في طبيعتها ثورة على المعتدين والمستغلين، ومن هنا أعلن هؤلاء الثورة المضادة على الأنبياء، وخيّروهم بين النفي وارتداد إلى الكفر. . وسبق نظير ذلك في الآية ٨٨ من سورة الأعراف ج٣ ص ٣٦٣

(فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي ـ أي وجودي ـ وسطوتي وخاف وعيد). بعد أن بلغ الأمر بالمشركين إلى تهديد الأنبياء بالنفي إذا لم يشركوا مثلهم جاءت ارادته تعالى لتضرب الطواغيت الضربة القاضية، وتورث المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم: «واورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ـ ٢٧ الأحزاب».

أنصاف الحلول

وتجدر الاشارة بهذه المناسبة إلى أمرين:

الأول: إنه جل وعلا بعد أن ذكر تطاول أهل البغي والفساد، وتماديهم في الضلال قال: أن مصيرهم الهلاك والدمار نتيجة لبغيهم وضلالهم، وأن عاقبة المتقين النصر والتمكين في الأرض، وهذا هو منهج القرآن في ذكر المسببات مع أسبابها، والنتائج مع مقدماتها، ولهذه الطريقة

فوائدها، منها الترغيب في الحق وعمل الخير، والترهيب من الشر والباطل، ومنها أن يتفاءل الانسان بحسن العاقبة وانتصار الحق، حتى ولو أخذ الباطل مأخذه وأن لا يستسلم لأهله وأن تطاولوا وصالوا وجالوا لأن الكرة ستكون عليهم في النهاية وأن طال الأمد. وقد جرى على هذه الطريقة الكثير من الخطباء وأصحاب الأقلام، فإنهم يذكرون اساءة من أساء، ثم يعقبون عليها واثقين بأن الشر لا يُجزى به إلا فاعله.

الأمر الثاني: إن الله سبحانه يتدخل بإرادته لنصرة المحقين على شريطة أن لا يرتدوا عن الحق، ولا يشكّوا فيه، ولا يساوموا عليه، ولا يرضوا بأنصاف الحلول، ويلتمسوا القليل من حقهم بالكثر من باطل أعداء الله وأعدائهم، وقد دلت التجارب على ان أنصاف الحول لا يستفيد منها إلا من اعتدى وأفسد في الأرض، وإنها أبداً ودائماً تأتي في صالح المبطلين، لأن أي تنازل عن الحق فهو ربح للغاصب المبطل، وخسران للحق وأهله.. وهنا يكمن السر في صلابة الإمام علي بن أبي طالب في الحق، ورفضه إنصاف الحلول بشتى صورها وأشكالها.

الطالم والمظلوم

* فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء، ٢١* كل عاقل مسؤول عن عمله قوياً كان أو ضعيفاً، رئيساً أو مرؤوساً: «فوربك لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون ـ ٩٣ الحجر»، بل وما يقولون أيضاً: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ـ ١٨ ق». فالتابع يسأل: هل اتبع الهدى أو الضلال؟. وهل عاضد وساند المصلحين أو المفسدين؟ وأيضاً المتبوع يسأل، ومسؤوليته أكبر وأعظم، لأنه مسؤول عن نفسه وعن غيره من الاتباع والهمج الرعاع، فهل يحمل أوزاره وأوزارهم.

ولست أعرف أحداً أعظم وزراً من هذا الطاغية المتبوع إلا مَن تابعه وأعانه على ظلمه، وهو يعرفه على حقيقته. أن ظلم الظالم ليس بأسوأ

عند الله من صبر المظلوم على الظلم.. أن قتل المظلوم في سبيل حقه شهادة، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.. وهل جرّأ الظالم أن بين جوانح المظلوم نفساً «حسينية» لتحاماه.

ومهما يكن، فان المراد بالضعفاء في الآية ضعفاء النفوس الذين يتبعون الظالم الضال، وهم على علم بظلمه وضلاله، طمعاً في جاهه أو ماله، أو جبناً وايثاراً للسلامة والراحة، وفي حكمهم في المسؤولية والجريمة من يتبع الضال على العمى، وتقليداً للجموع أو للاصدقاء والأقارب.

وقد صور سبحانه موقف التابعين لأهل الغي والضلال عن علم أو جهل أعمى، صور موقفهم يوم الحساب مع الطغاة بهذا الحوار: قال ضعفاء النفوس والهمم لرؤساء الدنيا والدجالين من رؤساء الدين: كنا نأتمر بأمركم، وننتهي بنهيكم.. وها نحن الآن كما ترون بين يدي الله لا حول لنا ولا طول، يحاسبنا ويعاقبنا على طاعتنا لكم في تكذيب الرسل، وفي معصية الله، فهل تدفعون عنا ولو يسيراً من عذاب الله ونقمته؟

* ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، ٤٢* الظلم أنواع: فالكفر والشرك بالله ظلم، والاعتداء على حق من حقوق الناس ظلم، سواء أكان الحق مادياً أم أدبياً، أياً كان المعتدى عليه بخاصة إذ كان ضعيفاً، لأن ظلم الضعيف أفحش الظلم، ومن أعان ظالماً أو رضي بفعله أو سكت عنه، مع القدرة عليه أو على التشهير به فهو شريك له، ومن أجل هذا لا يغفل سبحانه عما يعمل الظالمون.

وتكلمنا عن الظلم عند تفسير الآية ١٤٨ من سورة النساء ج٢ ص ٤٧٩، ونعطف على ما قلناه هناك: أن الله سبحانه ما أرسل الرسل، ولا أنزل الكتب إلا لمحاربة الظلم والظالمين.. وقد وصف الله نفسه في كتابه العزيز بأنه ذو انتقام ولولا الظلم لما كان لهذا الوصف عين ولا أثر، ومهما امتد أمد الظالم فإن الله سينتقم منه بأشد وأعظم، قال الإمام (ع):

«سينتقم الله ممن ظلم مأكلاً بمأكل ومشرباً بمشرب» فمن ظلم إنساناً بكلمة واحدة كان جزاؤه مقامع من حديد، فكيف بمن حول الأرض إلى جحيم، وأقام في كل جزء منها قاعدة للموت، ومخزناً لأسلحة الفناء والدمار؟.

[المجلد الرابع صفحة: ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٥٥]

سورة النحل

* كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين، ٣٥*

هذا هو مبدأ الطغاة في كل زمان ومكان ينكرون الحق ويحاربون المحقين، ثم يحيلون ذلك إلى مشية الله (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) هذه هي مهمة الرسل تبليغ الأوامر والنواهي عن الله تعالى، أما العمل بها فليس من وظيفتهم في كثير أو قليل. وسبق هذا المعنى في كثير من الآيات.

* أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، ٩٠* أمرت هذه الآية بثلاث خصال حميدة، ونهت عن ثلاث خصال قبيحة.

والخصلة الثالثة البغي، وهو الاعتداء على الناس بالفعل أو القول، وحكمه عند الله غداً حكم الشرك بالله، بل أشد، لأن الشرك اعتداء على حق الله فله اسقاطه، أما البغي فهو اعتداء على حق الله وحق الناس. ويُطلق المنكر على الفحشاء، والفحشاء على المنكر، وهما معاً على البغي.

[المجلد الرابع صفحة: ٥١٢، ٥٤٤، ٥٤٥]

سورة الإسراء

بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى

المسجد الأقصى يشبه المسجد الحرام من وجوه:

١ ـ إنهما في الشرق

٢ ـ يرجع تاريخ كل منهما إلى عهد قديم إلا أن المسجد الحرام أقدم وأعظم، لأنه أول بيت وضع للناس بمكة، وقد أوجب الله حجه على من استطاع إليه سبيلاً: «أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ـ ٩٧ آل عمران».

٣ ـ ان كلاً من الكعبة ومدينة القدس التي فيها المسجد الأقصى قد أسسها وأنشأها العرب أو شاركوا في بنائها أو تأسيسها، أما الكعبة فقد بناها ابراهيم وولده اسماعيل (ع): «وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ـ إلى قوله ـ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ـ ١٢٧ البقرة». والمعروف أن إسماعيل أول نبي تكلم باللغة العربية خلاف لغة أبيه، وإليه تنتسب قريش وغيرها من العرب، وبلغتها نزل القرآن الكريم، أما القدس فقد نزح إلى أرضها قبيلة اليبوسيين، وهي من القبائل الكنعانيه العربية، وقد حطت رحالها على الجبل المعروف باسم صهيون سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد بزعامة شيخها العربي سالم اليبوسي، وهذه القبيلة العربية هي التي وضعت أول لبنة لمدينة القدس

التي أصبحت فيما بعد قبلة العالم. . وبعد أن فتح المسلمون القدس بنوا مسجد عمر، ومسجد قبة الصخرة داخل الحرم القدسي، والأول أسسه عمر ابن الخطاب، والمسجد الثاني بناه عبد الملك بن مروان، وكان المسلمون لا يبيحون لغير المسلم أن يطأ أرضهما.

٤ ـ أن المسلمين يقدسون كلاً من المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى في القدس، حيث توجهوا إليه في صلاتهم ثلاثة عشر عاماً بمكة وبضعة أشهر بالمدينة، وإذا أضفنا إلى ذلك اسراء النبي (ص) إليه لم يكن عجباً أن يتخذه المسلمون مكاناً مقدساً لهم وأن يكون عندهم بالمنزلة الثانية من الحرم المكّي والمدني من حيث القداسة والصيانة والرعاية.

وقد جاء في كثير من الروايات أن رسول الله قيّد البراق بالصخرة المقدسة حين بلغ به الإسراء إلى بيت المقدس وحتى الآن يسمى الجدارُ الغربي للحرم القدسي بجدار البراق، وجاء في الروايات أيضاً أن النبي (ص) صلى على أطلال هيكل سليمان اماماً لابراهيم وموسى وعيسى، وإنه عرج إلى السماء بعد ذلك متخذاً من صخرة يعقوب مركزاً لمعراجه إلى السماء. . ومن أجل هذا وغيره كانت مأساة القدس سنة ١٩٦٧م. على أيدي الصهيونية والاستعمار الأمريكي والإنكليزي هي مأساة المسلمين والمسيحيين أيضاً. . فلقد لوثت تلك الأيدي القذرة الأماكن المقدسة عند الديانة الإسلامية والمسيحية، واستهانت بها، فأحيت فيها الليالي الحمراء مع الفاجرات، وأقامت حفلات الرقص والخلاعة.

وغريبة الغرائب أن يدعي الأمريكان والإنكليز إنهم حماة الأديان وأعداء الالحاد. . وفي نفس الوقت يناصرون الصهاينة الذين لا يؤمنون بالقيم، ولا يحترمون الأخلاق، ولا يقيمون وزناً لدين من الأديان، ولا يعترفون بحق من حقوق الإنسان. لقد ناصر الأمريكان والإنكليز إسرائيل وأمدوها بالمال والسلاح، وآزروها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وشجعوها على انتهاك المقدسات الدينية عند المسلمين والمسيحيين، وتحدوا بموقفهم هذا العالم بأسره. . ولسنا نشك في أن دائرة السوء ستدور

على المستعمرين وحلفائهم الصهاينة بأيدي الثائرين الأحرار، تماماً كما دارت الآن على رؤوس الأمريكان بيد الفيتناميين، ودارت من قبل على اليهود بيد بختنصر والرومان والنبي (ص) والخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهذه الصحف والاذاعات في الشرق والغرب لا تخلو يوماً من أخبار المقاومة الفلسطينية وعملياتها الفدائية التي جعلت كل إسرائيلي يعيش في كابوس من الخوف والرعب.

[التفسير الكاشف المجلد الخامس صفحة ١٠، ١١]

❀ ❀ ❀

المعادلة الإسرائيلية

المحقق: للصراع العربي الإسرائيلي بُعد ديني ايديولوجي سياسي لا يمكن تجاهله أو نكرانه. فربّ الإسرائيليين غير ربّ المسلمين والمسحيين، الاول رب خاص باليهود فقط، فلا يعترف اليهود بالإسلام ولا بالمسحيية، لأن البشر الآخرين في اليهودية هم (غوييم) أي بهائم باشكال بشر. ورب المسلمين والمسحيين هو رب العالمين والناس اجمعين، هو رب الرحمة والمحبة والعدالة كما نزل في القرآن والإنجيل. بينما رب اليهود قبلي يتشاور مع (الحاخامات) رجال الدين الإسرائيليين ويشيرون عليه بماذا يفعل لأنه يُخطيء بعض الأحيان. وكان ـ أي رب اليهود ـ قد تصارع مع يعقوب طوال الليل الذي تغلّب على الله، فنصّبه تعالى سيداً للجنس البشري، وأن يكون الناس باكملهم عبيداً لبني إسرائيل. والذي لا يصدق هذا الكلام فليراجع التوارة سفر التثنيه.

التعصب العنصري والديني إذاً، عامل مهم وخطير في سبب الصراع العربي الإسلامي المسيحي من جهة واليهود الإسرائيليين من جهة اخرى. ولا شك أن العامل الأقتصادي السياسي لا يقل خطورة عن العامل العنصري القومي والديني. هذه العوامل مجتمعة، تحكّمت بمسلكية وتصرفات اليهود عبر التاريخ، فسبّبت لهم المشاكل والبلايا مع دول وشعوب العالم.

والمعروف، عن الصهاينة إنهم العلمانيون القوميون، لكنهم يتوافقون مع الدينيين المتطرفين على إقامة دولة إسرائيل الدينية القومية. والعلمانية الصهيونية لا تقل عنصرية عن الغلاة اليهود المتدينين.

لقد تنبه العالم الكبير اينشتاين إلى خطورة الفكر التعصّبي لدي اليهود، فنصحهم أن يعيشوا مواطنيين صالحين في البلدان المتواجدين فيها، وأن يكون ولائهم للوطن الذي يقيمون فيه. فاليهودي اينما كان في دول العالم يقول إنه إسرائيلي، ولا يقول مثلاً: أنا أميركي، أنا فرنسي، أنا إسباني، ولا ينكر إنه يحمل جنسية البلد الذي يعيش فيه لكن ولائة الحقيقي لإسرائيل.

لقد رفض اينشتاين أن يكون أول رئيس جمهورية لدولة إسرائيل فهو حقيقةً ليس بصهيوني ولا توراتي وغير متعصب وعنصري مع إنه يهودي. ولقد ارسل اينشتاين للرئيس عبد الناصر في مطلع الثورة بمصر يسأله فيها: ماذا ستفعل باليهود؟ ولم يأته الجواب كما ذكر محمد حسين هيكل من كتابه «خريف الغضب»، لان المحيطين بعبد الناصر اعتبروا اينشتاين معلم حساب في المدرسة لا يستاهل الرد.

اكتشف اينشتاين الذّرة لكنه لم يشارك في صنع القنبلة الذّريه، ورفض فكرة القاء هذه القنبلة على اليابان، وبعد أن اذابت السلطة الأميركية نوويّاً اليابانيين العُزَّل في هيروشيما وناكازاكي في ثواني معدودات، احرق اينشتاين كل اكتشافته العلمية المكتوبة ولم يعلن عن محتواها وامضي بقية حياته من صمت وحزن.

والجدير بالذكر، أن لينين قائد ثورة أوكتوبر في روسيا نصح اليهود أيضاً في كتابه «المسألة اليهودية» أن يعيشوا مواطنيين صالحين في البلدان التي يقيمون فيها بدل خلق دولة خاصة بهم.

❀ ❀ ❀

*** وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل إلا تتخذوا من دوني وكيلاً، ٢ *. المراد بالكتاب التوراة، وبإسرائيل يعقوب بن إسحق**

بن إبراهيم (ع)، والمعنى أن الله أنزل التوراة على موسى ليهتدي بها بنو إسرائيل إلى الحق والصواب، وليتكلوا على الله وحده، ولا يتخذوا من دونه ولياً ولا نصيراً. ولكنهم حرّفوا كلام الله، وعبدوا العجل، وقتلوا الأنبياء، وملأوا الدنيا شراً وفساداً، وسخروا لهذه الغاية جميع ما يملكون من طاقات.

بنو إسرائيل والظلم والفساد الآية ٤ ـ ٨ الإسراء

* لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلُن علواً كبيراً *

المعنى الجملي لهذه الآيات أن الله أخبر بني إسرائيل إنهم يفسدون في الأرض أولاً، فيسلط عليهم من يذلهم بالقتل والأسر والسلب والنهب، ثم يستردون قوتهم، ولكن يعودون إلى الافساد ثانية، فيسلط عليهم أيضاً من يضربهم الضربة الثانية.

وفي كافة الأحوال فإن القرآن الكريم ينص صراحة على أن بني إسرائيل إذا حكموا وسيطروا طغوا وبغوا وافسدوا في الأرض وعلوا علواً كبيراً.. إذن، فلا بدع أن تبقر الدولة الصيهونية الاستعمارية بطون الحبالى في فلسطين، وتدفن الشباب أحياء، وتطلق النار على المساجين، وتلقي قنابل النابالم على الآمنين، وتهدم البيوت على أهلها، وتكم الأفواه بالاموال والضغط العنيف... ثم تتباكى وتتظلم من الاعتداء عليها... نقول هذا مع العلم بأن القرآن لا يشير اطلاقاً إلى هذه العصابة المرتزقة التي باعت نفسها لكل من قاد ويقود قوى الشر والاستعمار.. ولكن جاءت الاشارة إليها لأن هذه العصابة تحمل اسم إسرائيل الاسم الثاني يعقوب، وتدعي الانتماء إلى بنيه مسخة القرود والخنازير.

غزا أهل بابل ملك الفرس، وكان بختنضر البابلي قد قتل من بني إسرائيل أربعين ألفاً، وأبقى منهم بقية عنده ببابل في الذل، فلما غزاهم ذلك الملك، وغلب على بابل تزوج امرأة من بني إسرائيل، فطلبت منه أن يرد قومهم إلى بيت المقدس، ففعل.

ولما عاد بنو إسرائيل إلى فلسطين أمدهم الله بالمال والبنين، وجعلهم

أكثر عدداً مما كانوا، ولكن ما ان استردوا قوتهم حتى عادوا إلى أسوأ مما كانوا عليه من الافساد والانحراف عن الدين، وقتلوا زكريا ويحيى، وهمّوا بقتل السيد المسيح (ع).

قضاء الله ودولة إسرائيل

في كانون الثاني «يناير» من هذا العام ١٩٦٩ دار نقاش هادىء على صفحات جريدة الأخبار المصرية حول قضائه تعالى: «إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين إلخ». واشترك في هذا النقاش عدد كبير من أهل العلم والرأي الغيورين على الحق، واستمر الحوار والجدال أمداً غير قصير، ونشرته الجريدة في أربعة أعداد، وهي أعداد أيام الجمعة من الشهر المذكور، وقد انقسم المشتركون في هذا الحوار إلى فريقين:

الفريق الأول يقول: أن أولى الضربتين على بني إسرائيل وقعت بيد المسلمين أيام عمر بن الخطاب لأنه فتح القدس، وجاس هو والمسلمون خلال الديار الفلسطينية، وفسر هذا الفريق المفسدة الثانية من بني إسرائيل بما فعلته عصابة الصهاينة في حزيران سنة ١٩٦٧ وما تفعله الآن، وفسر الضربة التالية بأن الله سيمكّن في المستقبل العرب والمسلمين من رقاب الصهاينة، فيسترجعون منهم الأرض السليبة التي وثبوا عليها في حمى الاستعمار.. وقال هذا الفريق: أن هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى: «وليدخلوا المسجد كما دخلوا أول مرة» أي ان العرب والمسلمين يحررون المسجد الأقصى في المستقبل من إسرائيل الحالية كما حرره المسلمون من قبل.

ولا مصدر لهذا التفسير إلا العاطفة والتنبؤات التي يجب تنزيه القرآن عنها، لأنه كتاب علم ونور من الله يكشف عن السنن والقوانين الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل، وتطرد في جميع الكائنات من الذرة الصغيرة إلى المجرات الكبيرة.. وفي الوقت نفسه يحمّل القرآن كل فرد مسؤولية العمل والجهاد والحساب عليه أمام الله والضمير والناس أجمعين.

أما الفريق الثاني فيقول: إن الافسادتين من بني إسرائيل قد مضتا،

ومضت معهما الضربتان قبل الإسلام، وأن الضربة الأولى سبقت ظهور الإسلام بنحو ألف عام وإنها كانت بيد ملك بابل بختنصر أو أبيه سنحاريب الذي دمّر القدس، وأحرق الهيكل، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة، وساق من بقي منهم رجالاً ونساء وأطفالاً سبياً ذليلاً إلى بابل.

أما الضربة الثانية فيقول هذا الفريق: إنها وقعت على بني إسرائيل سنة ٧٠ للميلاد بيد تيطس الروماني الذي حاصر مدينتهم، ودك أسوارها، ثم دخلها فخرب منازلها، ودمر هيكلها، وقتل مليون نسمة على ما قرره يوسيفوس الذي شهد الموقعة بنفسه، عدا من باعه رقيقاً في الأسواق، وهام الباقون على وجوههم مذعورين إلى شتى أنحاء الأرض.

وأيضاً قال هذا الفريق: أن النص القرآني لا يشير من قريب أو بعيد إلى العصابة الموجودة الآن على أرض فلسطين، والتي تحمل اسم إسرائيل، لأنها ليست طائفة دينية، ولا هيئة سياسية، ولا دولة حقيقية، وإنما هي في واقعها عدو جديد للعرب والمسلمين، وهو الاستعمار الصهيوني، أو الصهيونية الاستعمارية التي تلبس أثواب داود، عليها الخريطة المشتهاة، والمسجلة في التوراة الموضوعة المحرفة «من النيل إلى الفرات». والغرض الأول والأخير هو أن يقضي الاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة على الكيان العربي والإسلامي، ويستنزف موارد الشعوب تحت ستار اليهود.

ونخلص من هذا أن القرآن الكريم لم يشر إطلاقاً إلى إسرائيل الحالية، وأن الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل إنما عنت الاثني عشر سبطاً من نسل يعقوب ابن إسحق بن إبراهيم الذين كانوا في عهد موسى وهارون... وهؤلاء الذين اقتحموا أرضنا بأسلحة الاستعمار، وأموال الصهيونية ليسوا من نسل إسرائيل بن إسحق، ولا علي دينه ودين موسى، وإنما هم مخلوق جديد.. عجيب غريب.. لم يسبق له مثيل، لأنه مكون من أشتات لا يربط بينها رابط، ولا يجمعها جامع من وطن أو لغة، أو أي مبدأ إلا مبدأ العمالة لقوى الشر والاستعمار.

هذا، إلى أن تفسير قوله تعالى: «وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة» تفسيره بأن الله قضى وقدر بطرد الصهاينة من فلسطين يؤدي بنا من حيث نريد أو لا نريد إلى التواكل وطرح أسباب النصر الطبيعية التي بيّنها الله في كتابه، وعلى لسان نبيه، وحثنا عليها بكلمة الجهاد تارة، والتعاون تارة، وإعداد العدة أخرى، وعدم اليأس حيناً، والصبر والمثابرة أحياناً، وبذل المال واسترخاص كل غال في سبيل الذود عن الدين، والوطن، تماماً كما فعل محمد وصحابة محمد (ص) والذين اتبعوهم باحسان، وكما يفعل الفدائيون الآن.

وبعد، فإن الله لا ولن يتولى عنا حرب إسرائيل، ولا حرب الاستعمار والصهيونية، وأن صلينا له ورجوناه، لأن أفضل أنواع العبادة عنده هي التضحية بكل القدرات والطاقات ضد الظلم والطغيان، والفساد والعدوان... ونحن نملك القدرة الكافية الوافية على طرد العدو من أرضنا السليبة، نملك هذه القدرة بعددنا وديننا وتراثنا ومواردنا، وما علينا إلا أن نستعملها.. ولا بد أن نستعملها في يوم من الأيام إن عاجلاً أو آجلاً، لأن تنازع البقاء يحتم ذلك.. فلقد وضعنا الاستعمار والصهيونية أمام لا ثالث لهما: إما الموت، وإما الحياة.. ولا أحد يفضل الموت على الحياة، والاستعباد على الحرية، والهوان على الكرامة.

[المجلد الخامس صفحة: ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١]

أنبياء إسرائيل والشعب اليهودي

المحقق: يقع البعض في الشبهة ما بين الشعب الإسرائيلي اليهودي وبين انبياء بني إسرائيل وكلمة إسرائيل هو الاسم الثاني ليعقوب. علينا أن نعلم أن النبي إبراهيم ولوط ونوح ويعقوب وإسحاق ويوسف وغيرهم، مما أتى ذكرهم في القرآن كانوا موحّدين بالله له الدين متحنثين على دين ابراهيم (ع)، اسلموا لله وكانوا جميعاً مسلمين كما جاء في القرآن. والدين اليهودي نزل على موسى (ع) وحسب، ولهذا الدين شريعة وكتاب.

والشعب اليهودي غير الاسرة النبوّية ويطلق عليهم أيضاً اسم بني إسرائيل، لكن انبياء بني إسرائيل اي بني يعقوب اخلاقهم حميدة وتعاليمهم نبيلة، يقدسهم المسلمون والمسيحيون. والشعب اليهودي يعتبرون اتباعاً ومحسوبين على انبيائهم، لكنه شعب مرذول وهو الشعب اللعين في القرآن. فقوم لوط شاذين يغتصبون الرجال في سادوم وعامورة، وابنا يعقوب العاقين ألقوا باخيكم الأصغر يوسف في البئر. وما أن غاب عنهم نبيهم موسى حتى عبدوا العجل.

والإسلام والمسلمون مقتنعين كل الاقتناع بأن اليهود حرّفوا التوراة حسب أهواتهم ورغباتهم الشيطانية، ولقد ذكرهم تعالى في كتابه «والذين يحرّفون الكلام عن مواضعه» فاليهود شعب مغضوب عليه في القرآن.

ولكي يفهم البعض الفرق بين انبياء اليهود من بني إسرائيل وبين عامة اليهود من بني إسرائيل. أقول لهم، أن الفرق، كَمثلِ اب جيد طيب لكن ابنائه، وابنا عشيرته سيئين «زعران» يخالفون تعاليم وتوجيهات أبيهم ورئيس عشيرتهم. فهل فهمتم يا من استعصى عليهم فهم هذا الفرق عن قصد أو غير قصد، وكفوا عن قول الخطأ الفاقع بأن الإسلام بمجد اليهود في القرآن، مع ان أنبياء اليهود (ع) أنفسهم يلعنون شعبهم اليهودي.

والدليل على أن الشاهد على الحق دائماً موجود «والدنيا ما بتخلى» كما يقولون، ففي مدينة الخليل في فلسطين يوجد جماعة من اليهود يبلغ تعدادها من الثماني مئه إلى الألف لا تعترف بدولة إسرائيل، ويعترفون بالمسيح ابن مريم وعودته لينقذ العالم من الانحطاط والانهيار ومن تحريف يهودية هؤلاء الإسرائليين. وهم على أفضل العلاقات مع العرب المسيحين والمسلمين ولهم معبد في الخليل، ويُدعَون «السمارتين» كما تسميّهم الصحف الغربية «SAMARITANS».

ولا اشد، أن الصهاينة والشارونيين والغلاة المتدينين هم أيضاً دليل شاهد على الشعب الملعون في القرآن لأنهم على شاكلتهم.

قوة الحق وقوة الباطل

* إن الباطل كان زهوماً، ٨١*

وتسأل: أن ما نراه ونشاهده في أحيان كثيرة أن أهل الباطل هم الغالبون، وأهل الحق مغلوبون، ويتنافى هذا مع ظاهر قوله تعالى: «ان الباطل كان زهوقاً»؟.

الجواب: أن للحق قوة ذاتية لا تنفك عنه بحال، وهي تفعل فعلها، وتؤثر أثرها في القلوب النقية الزاكية... وكثيراً ما يبلغ هذا الأثر من النفوس الطيبة حداً لا تقوى على مقاومته سيوف الجلادين، ومشانق الطغاة الجائرين.. وقد حدثنا التاريخ عن شهداء العقيدة: كيف اقدموا على الاستشهاد بوجوه باسمة، ونفوس راضية، بل حصل ذلك في عصرنا بفيتنام وكوريا وفلسطين وغيرها، أجل أن هؤلاء قليلون شأن كل كريم وثمين، ولو كانوا الأكثر عدداً أو كثيرين ـ نسبياً ـ لامتلأت الأرض قسطاً وعدلاً، وما كان للظلم والجور فيها عين ولا أثر، ولسنا نشك أن الإنسانية تسير في هذا الطريق وأن طال، مادام الصراع قائماً بين المحقين والمعتدين.

أما الباطل فلا حول له ولا طول، وإنما يستمد قوته وبقاءه من المال و الرشاوات وشراء الذمم، ومن قوه السلاح الرهيب ومن القمع والظلم والطغيان بالتقتيل والتشريد، ومن المؤامرات والدسائس، وهذه تزول مع الأيام، وتتبدل مع الظروف، أما قوة الحق فهي باقية في شتى الأحوال ولن تهزم لأنها تستمد قوتها من ذات الحق، من طبيعته وهويته.. ومن أجل هذا نقول مرة ثانية: انّا نؤمن إيماناً لا يشوبه ريب بأن العقبي والكلمة العليا للحق وحده.

[المجلد الخامس صفحة، ٧٦، ٧٧]

سورة الكهف

* فما استطاعوا ان يظهروه واستطاعوا له نقباً، ٩٩*

(فما استطاعوا) الضمير ليأجوج ومأجوج (ان يظهروه) أن يصعدوا من فوقه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقباً) لصلابته وكثافته (قال هذا رحمة من ربي). هذا إشارة إلى السد ـ الذي بناه الإسكندر ليوقف يأجوج هم التتر ومأجوج المغول ـ، وفي قال ضمير يعود إلى ذي القرنين، وقد حمد الله سبحانه على هذه الرحمة والنعمة التي أتمها على يده.. وهكذا المؤمن المخلص يتواضع لله، ويشكره كلما تتابعت نعم الله عليه.

وبناء هذا السد أصدق مثال على إنه قد كان في تاريخ الإنسانية تعاون وتعاطف بين الدول الغنية الكبرى، والدول الضعيفة «النامية»، بين الشعب الذي يملك أسباب التطور، والشعب الذي لا يملكها.

وقوة الولايات المتحدة تشبه إلى حد بعيد قوة ذي القرنين من حيث أن كلاً منهما لا تضارعها قوة في عصرها، ولكن الفرق بعيد جداً من حيث النتائج، فإن ذا القرنين كان بكل ما يملك من قوة ملكاً لخير البشرية واسعادها، أما قوة الولايات المتحدة فهي لحماية الشر والصهيونية، وللسيطرة على المقدرات والأسواق والأفكار لمصلحة الاستعمار والرجعية بشتى صورها وأشكالها، والشواهد على ذلك لا يبلغها الاحصاء، فمن مناصرة الصهاينة ضد العرب إلى تغذية العنصرية في بلادها وفي جنوب افريقيا ومن الانقلابات العسكرية في افريقيا وغيرها إلى ضرب القوى التحررية في الكونغو وفي كل مكان، أما فيتنام فقد حشدت لتدميرها الجيوش، وعبأت كل ما لديها، ولكن صمود الشعب الفيتنامي لقّن

الولايات المتحدة درساً في الهوان والذل لا تنساه مدى الحياة. . وكل ما حققته الولايات المتحدة من النجاح فهو جزئي مؤقت يذهب مع نضال الشعوب الذي يزداد يوماً بعد يوم.

[المجلد الخامس صفحة: ١٦٠، ١٦١]

سورة مريم

* وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن اثاثاً ورئياً، ٧٤*

وأنكرت قريش نبوة محمد (ص)، واحتجت بقولها: «لولا أنزل عليه كنز ـ ١٢ هود». وكما قال فرعون: أليس لي ملك مصر؟ وقالت قريش: نحن أكثر مالاً، وأعز نفراً. . . ولا تختص هذه الفلسفة بفرعون ومشركي قريش، ولا بالمترفين وأهل الثراء فكل من احترم شخصاً وقدره لماله فهو من الذين آمنوا بفلسفة المعدة وحشوها، ودانوا بأن الخير كل الخير فيها وفي امتلائها. ولقد قرأت فيما قرأت كلمة لعميل مأجور قال فيها: أن الذين يلومون الولايات المتحدة على قواعدها الحربية، وعلى ضربها قوى التحرر في كل مكان، وعلى سلبها مقدرات الشعوب المستضعفة، أن هؤلاء اللائمين ينسون أو يتناسون أن الولايات المتحدة أقوى علماً، وأكثر مالاً من كل الشعوب وأعظم قوةً، ومن كان الأعلى علماً ومالاً وسلاحاً يجب أن يطغى ويستبد. . . وكنت أحسب أن فلسفة المعدة قد ولت مع عصر الظلمات حتى قرأت كلمة هذا الدخيل فأدركت أن لهذه الفلسفة جذوراً عميقة في نفوس الأدعياء والعملاء.

[المجلد الخامس صفحة: ١٩٥، ١٩٦]

❀ ❀ ❀

المحقق: راجع موضوعة القوة الأميركية في المقدمة. . . تحت عنوان «الهيمنه الأميركية تتحدث عن نفسها».

والمعدة التي يشير إليها الفقيه مغنيه يقصد بها (القوة).

❀ ❀ ❀

سورة طه

غرائب إسرائيل

* وقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري، ٩٠*

من المفيد أن نختم تفسير هذه الآيات بما جاء في تفسير الرازي:

«قال أبو القاسم الأنصاري: كان السحرة مشركين، ولما رأوا آية واحدة هي انقلاب العصا ثعباناً آمنوا بالله وبموسى، وتحملوا من أجل إيمانهم العذاب الشديد في الدنيا، ولم يرجعوا عن الإيمان، أما بنو إسرائيل فقد رأوا ما رآه السحرة، وأيضاً رأوا اعتراف السحرة وإيمانهم بموسى، ثم رأوا الآيات التسع مدة مديدة، ثم رأوا انفلاق البحر اثني عشر طريقاً سلكوها بأنفسهم، ورأوا هلاك وعدوهم بأعينهم، ومع هذا كله لما خرجوا من البحر ورأوا قوماً يعبدون البقر قالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وما إن سمعوا صوتاً من عجل حتى عكفوا على عبادته».

وكم تمنيت، وأنا أفسر الآيات التي نزلت في بني إسرائيل، وحكت شذوذهم وغرائبهم، كم تمنيت أن تتألف لجنة من العلماء بالإنسان وغرائزه لدراسة الإسرائيليين وطبيعتهم في ضوء سيرتهم وتاريخهم القديم والحديث لنعلم هل هم من البشر ظاهراً وواقعاً، أو إنهم لا يشبهون الناس في شيء، ولا أحد من الناس يشبههم في شيء إلا في الشكل والصورة؟ كما يومىء إلى ذلك الكثير من آي القرآن الكريم. أنظر ج١ ص ١٢٢ وج٢ ص ٣٣٧ وص ٣٨٩.

[المجلد الخامس صفحة: ٢٤٠، ٢٤١]

سورة الأنبياء

*** ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، ١٠٦* .**

إذا كانت القوة الآن بأيدي الوحوش الضارية المتسلطة على الأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيره فإنه لا شيء يمنع أن تتحول القوة في يوم من الأيام من أيدي أهل البغي والضلال إلى أيدي أهل الحق والعدالة، بل أن غريزة حب البقاء والتحرر من الظلم، والمبدأ القائل: كل ما على الأرض يتحرك تماماً كالأرض، وأن دوام الحال من المحال، كل ذلك وما إليه يحتم أن القوة في النهاية تكون للأصلاح الأكفأ.

[المجلد الخامس صفحة: ٣٠٢، ٣٠٣]

❀ ❀ ❀

المحقق: مستحيل أن يبقى الحال على ما هو، فهذا عكس قانون التاريخ وقانون البشرية، وعكس سنة الله في خلقه. وأميركا وإسرائيل ستلاقي نفس مصير الانتهاء وإذا بقيتا إلى الأبد فمعنى ذلك أن الكون انقلب رأس على عقب وبدأ تاريخ جديد، وإنسان جديد، ودين جديد وإله جديد. فهل كل هذا الجديد هما أميركا وإسرائيل؟ ومن يعش يرى.

❀ ❀ ❀

سورة الحج

لا يخلو المُحق من ناصر

* ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوّان كفور، ٣٨ *

تدل هذه الآية أن الله سبحانه يمنع في هذه الحياة الكفرة والطغاة عن المؤمنين بالله واليوم الآخر، وأوضح منها في الدلالة قوله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ـ ٥١ غافر». مع أن الله سبحانه قد نص في العديد من آياته إن اليهود كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، منها الآية ٢١ و١١٢ و١٨١ من سورة آل عمران، والآية ١٥٤ من سورة النساء، بالإضافة إلى أن تاريخ البشرية القديم والحديث مفعم بالمظالم والاعتداءات على المتقين والمخلصين.. فما هو وجه الجمع بين الآيات الدالة على أن الله ينصر أهل الحق والآيات التي أخبرت عن قتل الأنبياء؟

الجواب أولاً: أن آيات النصر تدل بسياقها على إنها خاصة ببعض الأنبياء دون بعض، كنوح وهود وصالح ولوط ومحمد، ويومىء إلى ذلك قوله تعالى: * والله يؤيد بنصره من يشاء، ١٣ آل عمران * . والآيات التي نحن بصددها تدل على أن محمداً (ص) والصحابة هم المقصودون بقوله تعالى: * ان الله يدافع عن الذين آمنوا* لأنهم هم الذين أُخرجوا من ديارهم لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، وقد جاء في كتب الصحاح أن هذه الآيات نزلت حين هاجر النبي من مكة إلى المدينة.

ثانياً: أن المحق المخلص لا يخلو من ناصر ينصره بيده أو ماله أو

لسانه، ولا نعرف مجتمعاً اتفق جميع أفراده ضد من نطق بكلمة الحق والعدل. . أجل، أن كثيراً من المحقين قُتلوا وأسروا وشُردوا، ولكن الله عز وجل قد أتاح لهم أنصاراً يعلنون ظلامتهم، ويشيدون بعظمتهم، ويدينون أعداءهم بحجج دامغة، وأدلة قاطعة، وهذا مظهر من مظاهر النصر، وقوله تعالى: * أن الله لا يحب كل خوان كفور* تعليل لقوله: * ان الله يدافع عن الذين آمنوا* ويشعر هذا التعليل بأن على من آمن بالله أن يناصر المؤمن بما يملك من أسباب النصر، وأدناها أن يدافع عنه إذا ذكر أمامه بسوء، وإلا فهو خوان كفور. . وفي الحديث الصحيح: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ثالثاً: لو كان مجرد الإيمان بالله يدفع العدوان والنكبات عن المؤمن ـ أن صح التعبير ـ لآمن كل الناس إيماناً تجارياً تماماً كمن يبيع دينه وضميره لكل من يدفع الثمن.

رابعاً: أن الإيمان الحق أن نطيع الله في جميع أحكامه وأوامره، وقد أمر سبحانه إذا أردنا أمراً أن نتبع الأسباب الطبيعية التي جعلها مؤدية إلى ما نريد، وقد حدد سبب النصر بوحدة الكلمة، واعداد القوة، قال تعالى: * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ٤٦ الأنفال * وقال: * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ـ ٦٠ الأنفال * . وفي الفتوحات المكية عبّر محيي الدين ابن عربي عن هذه الأسباب بأيدي الله، وقد أخذ هذا التعبير من قوله تعالى: * أو لم يروا انّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاماً فهم لهم مالكون، ٧١ يسّ * . انظر ما كتبناه بعنوان: «الدين لا ينبت قمحاً» ج٣ ص٤٤٩.

* اذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير، ٣٩* . كان المسلمون في مكة مستضعفين يلاقون أنواع الأذى والعنف من المشركين، ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فكانوا يأتون النبي (ص) ويتظلمون إليه، وهو لا يملك لهم إلا الوصية بالصبر، وكان يقول لهم فيما يقول: «إني لم أؤمر بقتال» بل نهى (ص) عن قتال المشركين في أكثر من سبعين آية. وهو بمكة، لأن القتال آنذاك كان أشبه بعملية انتحارية. انظر

تفسير الآية ٧٧ من سورة النساء ج٢ ص ٣٨١. وبعد أن هاجر النبي إلى المدينة، وأصبح للمسلمين شوكة وقوة نزلت هذه الآية، وهي أول آية أُذن فيها للمسلمين بالقتال ـ على ما قيل ـ وقد بيَّن سبحانه سبب هذا الاذن بأن المشركين اعتدوا على المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ظلماً وعدواناً، ووعد المسلمين بالنصر والظفر بأعدائهم، حيث قال: «وأن الله على نصرهم لقدير».

* الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ٤٠ *

ظاهر الآية يدل على أن الذنب الوحيد للنبي (ص) والصحابة عند المشركين هو قولهم: لا إله إلا الله. وبهذا الظاهر أخذ جميع المفسرين، بل قال أحد المفسرين الجدد ما نصه بالحرف: «لا صراع على عرض من أعراض هذه الحياة التي تشتجر فيها الأطماع، وتتعارض فيها المصالح، وتختلف فيها الاتجاهات، وتتضارب فيها المطامع». وقد أشرنا فيما تقدم أكثر من مرة إلى أن طغاة الشرك حاربوا رسالة محمد (ص) وكلمة التوحيد لأنها تقضي على أطماعهم ومنافعهم ومصالحهم، وتساوي بين الناس. انظر ما كتبناه بعنوان: «المصلحة هي السبب» في ج١ ص ١٥٥ و ١٧٩.

* ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ٤٠* بعد أن اذن سبحانه للمؤمنين المعتدى عليهم بقتال أهل الشرك المعتدين بيّن في هذه الآية السبب الموجب لهذا الاذن، ويتلخص بأنه لولا القوة الرادعة لسادت الفوضى وعم الفساد في الأرض بالسلب والنهب واراقة الدماء، وبالخصوص بين الطوائف وأهل الأديان. وعبّر سبحانه عن الفتن بين الطوائف بهدم معابدها لأنها المظهر الديني لكل طائفة، ولها علامات فارقة تميز أهل الأديان بعضهم عن بعض.. والصوامع للنصارى والبيع لليهود ـ أنظر فقرة اللغة ـ والصلوات على حذف مضاف أي مكان الصلوات، والمراد بها معابد الطوائف الأخرى... وتمتاز مساجد المسلمين عن معابد سائر الأديان بأن الصلاة تقام فيها خمس مرات في

اليوم والليلة، ولذا قال سبحانه: (يذكر فيها اسم الله كثيراً).

وقال جماعة من المفسرين: المراد من الآية أن الله يمنع المشركين بالمؤمنين، ولولاهم لهدم أهل الشرك معابد أهل الأديان... وإذا صح هذا التفسير في وقت من الأوقات فإنه لا يصح ولا يطرف دي كل عصر ومصر، والصحيح في معنى الآية ما قلناه من إنه لا غنى عن القوة الرادعة لحفظ الأمن والنظام، سواء أكانت هذه القوة بيد المؤمن، أم بيد الكافر بالله. قال الإمام علي (ع): «لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح به، ويستراح من فاجر». وتجدر الإشارة إلى أن الإمام قال هذا رداً على قول الخوارج: لا حكم إلا لله. أنظر ما كتبناه بهذا العنوان في ج٤ ص ٣١٥.

* ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوي عزيز، ٤٠* . هذا ترغيب في الجهاد لنصرة الحق وأهله (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر). المراد بالتمكين في الأرض الحكم والسلطان، وقد أقسم سبحانه مؤكداً إنه ينصر الحاكمين شريطة أن يجمعوا بين أمرين: الأول أن يؤدوا حق العباد لله كاملاً في أنفسهم كالصوم والصلاة، وفي أموالهم كالحج والزكاة، وعبّر سبحانه عن العبادة البدنية بالصلاة، والعبادة المالية بالزكاة الأمر الثاني: أن يعدلوا بين الناس، ويحقوا الحق، ويبطلوا الباطل، وهذا هو المراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أخل الحكام بواحد من هذين فان الله يهملهم ويكلهم إلى أنفسهم.

* والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وأن الله لهو خير الرازقين، ٥٨* للهجرة في سبيل الله مظاهر، منها أن يخرج الإنسان من وطنه مجاهداً أهل البغي والضلال، ومنها أن يفر بدينه ممن يصده عن القيام بواجبه، وفي حكمه من هاجر لطلب العلم

بالدين من لأجل الدين، أو لطلب الرزق الحلال، أو لأداء فريضة الحج، فأي واحد من هؤلاء ومن إليه إذا قتل أو مات في هجرته فإن له عند الله ما للشهداء من الأجر العظيم والرزق الكريم. وتكلمنا عن الهجرة مفصلاً عن تفسير الآية ١٩٥ من سورة آل عمران ج٢ ص ٢٣٣، والآية ٩٧ من سورة النساء في المجلد المذكور ص ٤١٧ وما بعدها.

* وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا، ٧٢* ضمير عليهم يعود إلى الذين يعبدون من دون الله.. وكانوا إذا سمعوا من النبي أو المؤمنين آيات القرآن وغيرها من الحجج على التوحيد ونبوة محمد (ص) ـ انعكست على وجوهم علامات الغيظ والحقد، وهموا أن يبطشوا بمن سمعوا منه الدلائل والبينات (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير). أمر سبحانه نبيه الكريم أن يقول لهؤلاء الحانقين: إذا صعب عليكم الاستماع إلى الحق فإن نار جهنم عليكم أشد وأعظم.

لا شيء أثقل على المبطل من كلمة الحق، وانتصار أهله على الباطل، وبالخصوص إذا عجز المبطل عن المقاومة والدفاع.. إنه يسكت مرغماً، وهو يذوب كمداً ويحاول أن يتماسك ويتمالك ويظهر بمظهر اللامبالاة، ولكن تفضحه الدلائل التي تنعكس على صفحات وجهه، ونظرات عينيه.. والإنسان قد يكذب ويخادع الناس في أقواله وأفعاله، لأنه يتحكم بلسانه ويحركه كيف يشاء، وأيضاً يتحكم بيديه ورجليه ويحركها كما يريد، وأن كانت حركة اللسان أخف عليه وأيسر.. شيء واحد لا يمكن التحكم فيه والاملاء عليه، وهو القلب سليماً كان أو سقيماً، فإن أحب أو كره ظهرت الآثار على الوجه والعين جلية واضحة لا يخفيها الابتسام المصطنع ولا الكلام المعسول، ومن أجل هذا كانت المقياس الصحيح لما في داخل الإنسان دون الأقوال وكثير من الأفعال.

[المجلد الخامس صفحة: ٢٣١، ٢٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٤٩].

المحقق: لفت نظري قول علي (ع): «أمير براً وفاجراً» ولكنه عادل لأن الكافر «يستمتع» حسب قول الإمام بحكم الأمير العادل. نعم، إنه العدل والعدل لا غير هو أساس الحكم في الإسلام. أما الإيمان فحسابه عند الله لا عند الإنسان.

❀ ❀ ❀

سورة المؤمنون

الدفاع بالأحسن

*** ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون، ٩٤* . وما هو الدفاع بالأحسن؟ هل هو الصبر على الأذى والسكوت عن المؤذي كما قال كثير من المفسرين؟.**

أن الدفاع يختلف باختلاف الموارد، فقد يكون استعمال القوة والعنف لردع المعتدي دفاعاً بالأحسن وذلك إذا كان المعتدى عليه يملك القوة الرادعة، وكان السكوت عن المسيء يغيره بالاساءة والعدوان، قال الإمام علي (ع): الوفاء لأهل الغدر غدر، والغدر بأهل الغدر وفاء.. وقد يكون السكوت عن المعتدي والصبر على أذاه دفعاً بالأحسن إذا أدى الاغضاء عنه إلى ندمه وتوبته من اساءته، أو كان المعتدى عليه عاجزاً عن الردع.. فإن المقاومة ـ وهذه هي الحال ـ تحدث ما لا تحمد عقباه من تمادي المعتدي في غيه وغير ذلك من ردود الفعل.

ومن أجل هذا صبر رسول الله (ص) على الأذى، وهو في مكة لعجزه عن الردع، وأدب المعتدين بعد هجرته إلى المدينة لأنه كان يملك القوة الرادعة.

[المجلد الخامس صفحة: ٣٨٧]

سورة الفرقان

* وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضلّ سبيلا، ٤٢*

علينا نحن المسلمين أن نعلم من الدرس النبوي الثبات والصمود على الحق والتضحية في سبيله بكل عزيز، وأن لا نيأس من انتصار الحق على الباطل، وإن كثر أنصاره، فإن منهم من خدعته الكواذب التي تتكشف وتتبخر مع الأيام، ومنهم من غلبت عليه شقوته في ساعة ذهل فيها عن ربه وضميره، ثم يعود إليه، ويتوب من ذنبه.. وأيضاً لا ينبغي أن نثق ونطمع في كل من طلب الحق وأقبل عليه، فما أكثر الناكثين والمارقين، ومن يتاجرون بالقيم والدين.

* أرأيت من أتخذ إلهه هواه، ٤٣* . كل من تغلب هواه على دينه فقد إتخذ إلهه هواه، أراد ذلك أم لم يرد، ومن كان كذلك فلا أمل في هدايته، لأن كل آية لا تعكس رغبته وهواه فهي عنده سخف وهراء (أفأنت تكون عليه وكيلاً) تحفظه من الضلال والفساد؟ دعه فلا خير فيه، وقد انذرت وأعذرت، وعلينا حسابه وعقابه.

[المجلد الخامس صفحة: ٤٧٠، ٤٧١]

سورة الشعراء

* قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين، ٢٩* . . . السجن والتنكيل والتعذيب هو السلاح الوحيد لكل متألة طاغ وباغ منذ القديم حتى اليوم ضد الحق والعدل والحرية. . ولكن وجهاد المحقين الأحرار وصمودهم يجعل سلاح الطغاة يرتد إلى نحورهم وصدورهم، تماماً كما ارتد سلاح فرعون إلى نحره وصدره، وقديماً قيل: من سل سيف البغي قُتل به.

* وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون، ٣٠ * . بطش الجبار أن يظلم، ويقسو في ظلمه، ويتعاظم لأنه قادر على ظلم الضعيف، والثابت في دين الله أن الظلم من أكبر الكبائر، بل هو تماماً كالكفر بالله، وأثبتنا ذلك فيما سبق بنص القرآن. . وأفحش أنواع الظلم ظلم الضعيف. . وقد نزلت هذه الآية حيث لا أسلحة جهنمية، ولا ملايين يخصصها تجار الحروب لقتل الناس بالجملة. . . نزلت يوم كان البطش باليد، وأقصاه بالسيف أو الرمح أو السهم، وإذا وصف سبحانه بأقبح الصفات وأفحشها من اعتدى على الضعفاء بصفعة كف، وهدده بأشد العقوبات فبأي شيء يجازي الذين يمطرون الشعوب المستضعفة كاميركا وإسرائيل بالصواريخ وقنابل النابالم، وبالأسلحة الكيمائية وغيرها من أسباب الفناء والهلاك، ويملأون الأرض بالقواعد العسكرية، والسماء بالسفن العدوانية لا لشيء إلا ليتحكموا بأرواح العباد، ومقدرات البلاد حسب أهوائهم ومصالحهم؟.

* والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وإنهم يقولون ما لا يفعلون، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦* .

محمد والشعراء فرقاً كبيراً من وجوه:

أولاً: أن الذين اتبعوا محمداً (ص) إنما اتبعوه ثقة به وبعظمته، وإيماناً بالله ونبوة نبيه يرجون تجارة لن تبور في مودته، ولذا فدوه بالأرواح وقاتلوا من أجله الآباء والأبناء، أما الشعراء، وبالخصوص القدامى منهم فإنهم كانوا يعيشون في الأحلام والأوهام.. وقديماً قيل: «أحلام شاعر». وقيل: أعذبه أكذبه أي الشعر، ولا يتبع هؤلاء الشعراء إلا من كان على شاكلتهم.

ثانياً: إن أكثر الشعراء كانوا في القديم يناصرون الطغاة، ويدعمون ظلمهم وطغيانهم كما يفعل البعض اليوم، فكان الشاعر يعصر عبقريته ومواهبه لينظم قصيدة أو أبياتاً يتغنى فيها بعظمة الجبابرة والقياصرة، وأين هذا من رسالة محمد (ص) التي هي ثورة على الظلم والفساد؟.

ثالثاً: أن الشعراء يقولون كثيراً، ويفعلون قليلاً، ولا يستخفهم شيء إلا الأهواء والأغراض، يندفعون وراءها إنّي توجهت، أما محمد (ص) فإنه ما ينطق عن الهوى، ولا يتبع إلا ما يوحى إليه من ربه، فكيف يقال: هو شاعر؟..: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو إلا ذكر وقرآن مبين - ٦٩ يس».

وتسأل: ألا يدل ذم القرآن للشعراء على أن الإسلام يحارب الشعر والفن؟.

الجواب: كلا.. لأن القرآن ما ذم الشعر من حيث هو، ولا الشعراء من حيث هم، وإنما ذم الشعر الذي هو زور وباطل، وذم الشعراء الذين يعرضن عن الحق ويسلكون الطرق الملتوية، أما الشعراء الذين يعبّرون عن أماني المستضعفين ويقفون مع المظلومين، ويناصرون العدالة وحرية الإنسان، ويثورون على الطغاة والعتاة، وعلى الجهل والتخلف، أما هؤلاء فإنهم في طليعة المجاهدين في سبيل الله. قيل لرسول الله (ص): ما تقول

في الشعر؟ فقال: «إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل». وهذا النوع من الشعر الذي هو نبل في قلوب الظالمين هو مما عناه الرسول الأعظم (ص) بقوله: أن من الشعر لحكمة. وقال تعالى: * خلق الإنسان علمه البيان ـ ٤ الرحمن * . وليس من شك أن الشعر من أعلى فنون البيان وأبلغها، كما أنه ثروة اللغة وكنزها الثمين.

ولذا استثنى سبحانه الشعراء الطيبين المجاهدين، استثناهم بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثراً وانتصروا من بعد ما ظلموا). أي انتصر الشعراء للحق وأهله ممن اعتدى عليه وعليهم، ونافحوا عن الإنسان وحريته وكرامته.. وهذا نص صريح من الله سبحانه على أن شعر الثورة ضد الظلم والطغيان هو من صميم الدين والإيمان وصالح الأعمال، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: * لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ـ ١٤٧ النساء* (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). هذا تهديد ووعيد بسوء العاقبة لكل من طغى وبغى. والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

[المجلد الخامس صفحة: ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٢٥]

سورة النمل

* وورث سليمان داود، ١٦* داود من نسل يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وقد كرمه الله بالنبوة.

وكان ذلك من حوالى ثلاثة آلاف سنة، وبعد موت سليمان انقسم اليهود إلى دويلتين أو كانتونين متحاربتين: دولة إسرائيل، ودولة يهوذا، ولما جاء بختنصر البابلي قضى عليهما، ولم تقم لليهود بعدئذ قائمة حتى تعاون الاستعمار الانكلو أمريكي على إنشاء قاعدة عسكرية تحفظ مصالحه في الشرق الأوسط، فأنشأوها باسم دولة إسرائيل على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨.

ويقول اليهود عن ملكهم داود: إنه كان يخطف النساء، ويقتل أزواجهن، وأن ابنه سليمان كان من الجبابرة الطغاة ، والمسرفين المبذرين، والإسلام يجلهم وينزههم.

شعار إسرائيل سمعنا وعصينا

* إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، ٧٦*

تحدث القرآن عن غرائب بني إسرائيل، وكرر الحديث عنها وعنهم، تحدث عن خصائصهم وشعارهم، وعما اختلفوا فيه على عهد موسى وبعده، ويتلخص شعارهم الذي يدينون به ولا يحيدون عنه، ويتلخص بقولهم: «سمعنا وعصينا»، كما جاء في الآية ٩٤ من سورة البقرة والآية ٤٥ من سورة النساء. أي سمعنا من الله وأبيائه وعصينا الله والأنبياء، وقد

التزموا هذا الشعار في عهد موسى نفسه حتى شكاهم إلى ربه، ووصفهم بالفاسقين، وهو يقول بحسرة ولوعة: «رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ـ ٢٥ المائدة»، وفي آية ثانية وصفهم بالسفهاء منا ـ ١٥٥ الأعراف». وما زالوا على هذا الشعار والمبدأ إلى يومنا هذا، ففي سنة ١٩٦٧ قررت هيئة الأمم المتحدة التي تمثل شعوب الأرض شرقها وغربها، قررت انسحاب إسرائيل من القدس، فما كان جواب مندوب إسرائيل إلا أن قال: «الأمم المتحدة تنكة زبالة» كما نشرت الصحف.

من أغرب ما قرأت ما نقل عن كتاب التلمود، وهو كتاب منزل كالتوراة عند اليهود أو الكثير منهم: «ان الله إذا نزل به مسألة معضلة استشار الحاخامات في حلها، وإنه في ذات يوم رأى رأياً خاطئاً، فنبهه إلى خطئه أحد الحاخامات، فاعترف وأذعن».

[التفسير الكاشف المجلد السادس صفحة: ١١، ٣٨، ٣٩]

سورة القصص

متى يمن الله على المستضعفين؟

* ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، ٥* . المستضعفون في الأرض هم الذين يضطهدهم الأقوياء، ويتسلطون على أقواتهم ومقدراتهم ظلماً وعدواناً، والله سبحانه يمن عليهم بالحرية والخلاص من الاضطهاد إذا جاهدوا وثابروا واستماتوا من أجل حياتهم وكرامتهم تماماً كما يمن سبحانه على المريض بالشفاء إذا استعمل العلاج الصحيح، وعلى الفلاح بالثمر إذا عمل واتقن. . إن لله سنة في خلقه، وهي أن تجري الأمور على أسبابها، والغايات على وسائلها، ولن تجد لسنة الله تبديلاً. . أبداً. كل من سار على الدرب وصل مؤمنا كان أو كافراً. . أما جزاء الكفر والإيمان ففي يوم القيامة وحب، وليس في هذه الحياة، فمن ركع للظالم خذله الله، وأوكله إلى من ظلمه حتى ولو صلى وصام وحج إلى بيت الله الحرام، لأنه خذل الحق، ونصر الباطل، وما له في الآخرة من خلاق.

ومن ثار على الظلم وأهله، واستمات من أجل كرامته نصره الله سبحانه على الظالمين الطغاة، وأن كان كافراً، لأنه التقى مع ارادة الله وأمره بهذا الجهاد والنضال. . ولا نرجع إلى التاريخ القديم لنستمد منه الشواهد على هذه الحقيقة، فإن صمود الشعب الفيتنامي الأعزل أمام أعتى قوى الشر والفساد لدليل قاطع على أن الله مع المظلوم المجاهد الصابر كائناً من كان.

والخلاصة أن الله لا يقاتل من أجل المستضعفين، ولكنه يقف معهم ويمدهم بعونه إذا قاتلوا وناضلوا مستهدفين الحق والعدل، والتحرر من البغي والاستغلال، أن الله مع هؤلاء لأنه مع كل مجاهد وعامل من أجل الحياة. وتكلمنا عن ذلك مفصلاً عند تفسير قوله تعالى: * أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ ١١ الرعد* ج٣ ص ٣٨٦.

* قال رب إني قتلت منهم نفسا٦ فأخاف أن يقتلون، ٣٣* تقدم في الآية ١٤ من سورة الشعراء (وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فارسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) . ردءاً معيناً لي علي بث الدعوة، وفيه إيماء إلى إنه لا بد لكل دعوة من أنصار، وأن العلم وحده لا يكفي لاثبات الدفاع عن الحق ما لم تقترن الحجة بطلاقة اللسان وفصاحة البيان، وأيضاً تدل الآية على أن القرآن يبارك وسائل الدعاية كالصحف والاذاعات وغيرها على شريطة أن تتجه إلى احقاق الحق والانتصار لأهله، وإبطال الباطل والتشهير بأعوانه، تماماً كما استعمل هرون علمه وفصاحته ضد الطاغية فرعون.

* وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، ٤٢*

عليهم في الدنيا لعنة الله ولعنة اللاعنين، ولهم في الآخرة عذاب الجحيم (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون). أنزل سبحانه التوراة على موسى بعد أن أهلك قوم نوح وعاد وثمود، والغرض من أنزالها أن يتعظ الناس بها، ويعملوا بأحكامها لأنها كانت قبل التحريف نوراً وهدى ورحمة، أما توراة اليوم فإنها تقول لبني إسرائيل: «اقتلوا الرجال والأطفال والنساء إلا الأبكار منهن، أبقوهن للذاتكم وشهواتكم.. وانهبوا البهائم والمواشي والأملاك.. واحرقوا المدن والمساكن والحصون» كما في الإصحاح ٣٢ من سفر العدد. فهل بعد هذا يقال: لماذا أحرقت إسرائيل المسجد الأقصى؟. إن عقيدة اليهود عقيدة شريرة تعادي جميع الأديان والشرائع والقيم الإنسانية.

* اولئك يوتون أجرهم مرتين بما صبروا، ٥٣* لاقى المسلمون

الأولون الكثير من الأذى والتنكيل حتى محمد (ص) كان إذا مر في الطريق يصيح به السفهاء: «مجنون.. كذاب.. ساحر» فصبروا وتحملوا في غير شكاة، وقد عبّر سبحانه عن صبرهم بالحسنة، وعن اساءة المشركين واذايتهم بالسيئة، وفي هذا التعبير ايماء إلى أن السلاح الوحيد للضعيف هو الصبر، وأن الجزع وانهيار الأعصاب ضرب من الجنون، فصبر الضعيف عقل وحكمة، وشجاعة وبطولة، على شريطة أن يسعى اثناء الصبر ويعمل جاهداً لازالة الضعف وأسبابه، ونم تقاعس وتكاسل فقد هانت عليه نفسه، ورضي لها الذل والهوان.. وبكلمة: أن الضعيف كالمريض، عليه أن يسعى للشفاء، ولا يصبر على الدواء إلا بعد العجز واليأس.

* ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، ٧٨* أي أن الله يعذبهم بغير حساب. وتسأل كيف تجمع بين هذه الآية، وبين الآية ٩٣ من سورة الحجر: «فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون» وفي معناها كثير من الآيات؟

الجواب: المراد بالمجرمين هنا الذين يعتدون على حقوق الناس وحرياتهم، ويثيرون الفتن والحروب من أجل مصالحهم ومنافعهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بغير سؤال أو حساب حتى ولو هللوا وكبروا، وعليه يكون قوله تعالى: ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون، مخصِّصاً لقوله لنسألنهم أجمعين أي لو جمعنا بين القولين لكان المعنى لنسألنهم أجمعين إلا من اعتدى على حقوق الناس فإنه يدخل النار من غير سؤال وحساب.

* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كانوا من المنتصرين، ٨١* . ولا ينجو ظالم من الخسف في الدنيا قبل الآخرة، وليس من الضروري أن يكون الخسف بالأرض فقط، فيكون أيضاً بالخزي واللعن على ألسنة الخلائق، وبأيدي المظلومين والمحقين.. وقد دلتنا التجارب أن الظالم إذا نزل به القصاص والعقاب تخلى عنه وتبرأ منه كل الناس حتى أعوانه وأرحامه، وحسبه هذا خسفاً ونكالاً.

* فلا تكونن ظهيراً للكافرين، ٨٦* لقد اختارك الله يا محمد لتكون

حرباً على الكافرين الظالمين، لا عوناً لهم، ولتبلغ رسالته إلى عباده، ولا يأخذك في تبليغها لومة لائم، ولتخلص لله وحده في جميع أقوالك وأعمالك.

وفيما نقدم قلنا، ونحن نفسر هذا النوع من الآيات التي تخاطب المعصوم بالنهي عن المعصية، قلنا: أن للأعلى أن ينهى من هو دونه بأي شكل أراد، وعن أي شيء يختار، بالإضافة إلى أن النهي عن الشيء لا يتوقف على إمكان وقوعه من المخاطب به، أما الآن، ونحن نفسر هذه الآية، فقد استوحينا منها معنى آخر، وهو أن كل ما جاء في هذا الباب من الآيات فهو إخبار بالغيب وتعريض بما عليه اليوم وقبل اليوم بعض أرباب العمائم والقلانس الذين يتظاهرون بالدين والصلاح، وهم جنود وأعوان للكفرة الفجرة.. وخصصنا البعض منهم بالذات مع أن العملاء والخونة يكونون منهم ومن كل نوع وصنف لأن الآيات تخاطب من يدعو إلى الله وشريعته.

* كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، ٨٨* . هذا تهديد ووعيد لكل خائن وعميل يتآمر على دينه ووطنه مع أعداء الله والإنسانية، وإنه بحكم المشرك الذي قامت عليه الحجة، ومع ذلك يجحد ويعاند إذ لا فرق أبداً عند الله بين من يدعو مع الله إلهاً آخر، ومن يوالي الظَلَمة الطغاة، ويدافع عنهم ويبرر أعمالهم، ويدعو إلى موالاتهم ومؤازرتهم.

[المجلد السادس صفحة: ٤٨، ٤٩، ٦٤، ٦٨، ٧٤، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١]

سورة العنكبوت

* وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ٤٠* . ولماذ يظلم الله الناس؟ ألأنه في حاجة إلى الظلم وهو غني عن العالمين؟ وكيف يظلم عباده وهو القائل: * أن لعنة على الظالمين، ٤٤ الأعراف * .

أوهن من بيت العنكبوت

* مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، ٤١* . علينا أولاً أن نحدد من هم الذين اتخذوا من دون الله أولياء؟ هل هم عبدة الأحجار والأوثان فقط أو إنهم أعم وأشمل؟ وقبل أن نجيب عن هذا السؤال نذكر قوله تعالى: * من كان يريد العزة فلله جميعاً، ٤٠ فاطر* . وقوله: * أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً، ٣٩ نساء * . ومعنى هذا إنه لا عزة ولا قوة لمال أو علم أو سلطان أو لأي شيء إلا إذا قام على أساسٍ من تقوى الله ومرضاته، وكان مظهراً لطاعته وارادته.. فالعلم قوة وخير وإيمان بالله والإنسانية إذا كان دعامة للحق والعدل، ووسيلة لنمو الحياة وازدهارها، والعلم ضعف وشر وكفر بالله وبالإنسانية إذا كان وسيلة للبغي والعدوان، وللخراب والدمار، وكذا المال والسلطان وغيرهما.

إذا تمهد هذا عرفنا أن الذين اتخذوا من دون الله أولياء هم عبدة الأوثان، ومن أعرض عن الله مغتراً بمال أو علم وفهم أو سلطان، ومن بغى وسعى في الأرض فساداً وظلماً وقد شبه سبحانه قوة هؤلاء ببيت

العنكبوت الذي يبقى إذا سكنت الرياح، ولم يعترضه أي عارض، وإذا هبت الريح أو اعترضه أدنى شيء يصبح هباء إلا عين له ولا أثر.. وبكلام آخر أن كل من أعرض عن الله سبحانه معتمداً على وثن أو علم أو مال أو سلطان فهو من الذين اتخذوا من دون الله أولياء، ومن يتخذ من دون الله ولياً فهو من الخاسرين.

[المجلد السادس صفحة: ١٠٨، ١٠٩، ١١٠]

سورة الروم

* ينصر من يشاء، ٤* . إذا تقاتل اثنان ينتصر من يملك أسباب النصر على الذي لا يملكها محقاً كان أو مبطلاً، وأسند سبحانه النصر إليه لأن جميع الأسباب الكونية تنتهي إليه تعالى بالنظر إلى إنه خالق الكون وأسبابه وما فيه (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من الظالم، ويرحم المظلوم.

* فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، ٤٧*

وهذا النصر واجب على الله، وهو الذي أوجبه وكتبه على نفسه تماماً كما كتب عليها الرحمة.. ومحال أن تضيع عند الله ظلامة مظلوم وإلا كان الظالم أحسن حالاً من المظلوم عند الله.

* ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا أن أنتم إلا مبطلون، ٥٨* . يقولون عن الأنبياء والمصلحين وعن الأحرار والمجاهدين: إنهم مبطلون.. وعن الخونة المنافقين والعملاء المأجورين: إنهم محقون.. ولا بدع فإن الطغاة المجرمين يقيسون الحق والباطل بمنافعهم وأهوائهم، فما وافقها فهو حق وأن كان شراً وفساداً، وما خالفها فهو باطل وأن كان خيراً وصلاحاً.

[المجلد السادس صفحة: ١٣٠، ١٥٠، ١٥٤]

سورة لقمان

الاتجار بالدين والضمير

* ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً، ٤*

وعن الإمام جعفر الصادق (ع) إنه الطعن بالحق والاستهزاء به».

وهذا التفسير أقرب إلى الواقع، وأليق بالسياق، فإن الله سبحانه بعد أن ذكر المؤمنين المفلحين ذكر المجرمين الذين يشترون الذمم من الذين يتاجرون بالدين والضمير ليضللوا الناس عن الحق، ويصرفوهم عنه بالأوهام والأباطيل.. وأوضح مثال على ذلك ما تلجأ إليه قوى الشر والاستغلال في هذا العصر لتدعيم مكانتها وبث دعايتها، حيث تنفق الملايين على الصحف المأجورة لتنشر الأكاذيب والافتراءات، وتروّج للخونة والعملاء، وتشكك المخلصين الأحرار، وفوق هذا أن تلك الأجهزة الشريرة ألبست عملاءها ثياب أهل الدين ليلصقوا به البدع ويفسروه بما شاء لها البغي والاستغلال، ويبثوا الفتن والشقاق بين الطوائف وأهل الأديان.. وبعد حرب الشرق الأوسط سنة ١٩٦٧ شاهدنا ألواناً من الاشاعات الكاذبة والحرب النفسية المتواصلة في الصحف المأجورة، أما نشاط الدخلاء فقد بلغ الغاية من الجرأة على الله ورسوله.. ولكن الأيام كشفت الحقائق، وفضحت الدخلاء والعملاء، وأوان التصفية آتٍ لا محالة (أولئك لهم عذاب مهين) لأنهم باعوا دينهم للشيطان، وتآمروا معه على الحق وأهله.

* وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم، ٥* المؤمن المخلص يستمع للحق، ويتصامم عن الباطل، والخبيث المجرم صاحب الغيات والأهداف يصغي للباطل، ويتصامم عن الحق.. ولا جزاء له إلا عذاب أليم، قال الرازي: «العاقل يطلب الحق بأي ثمن، وهم ما كانوا يطلبونها، وإذا جاءتهم مجاناً ما كانوا يسمعونها».

[المجلد السادس صفحة: ١٥٧]

سورة الاحزاب

* وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ١٣* حين باشر النبي والصحابة بحفر الخندق قال جماعة من المنافقين: وما جدوى الخندق؟ إنه لا يغني عن الحرب شيئاً، قالوا هذا قبل أن تأتي الأحزاب، ولما جاءت قالوا للمقاتلين: لا طاقة لكم بهذا الجيش الجرار، ولا نجاة منه إلا بالفرار والاستسلام.. تذكرت وأنا أفسره هذه الآية عملاء الصهيونية والاستعمار الذين ينشرون في هذه الأيام الهلع والفزع من قوة إسرائيل، تذكرتهم حيث علمت أن لهم أشباهاً ونظائر في الزمان القديم، وأن للحرب النفسية جذوراً عميقة في التاريخ، وما هي من بدع الصهيونية والاستعمار، بل شيء بالٍ وعتيق لا ينخدع به إلا ساذج العقل وقاصر النظر.

* قل لن ينفعكم الفرار أن فررتم من الموت أو القتل، ١٦* . فروا من الجهاد خوفاً من الموت، وما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبه (وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً). وأن سلمتم من القتل في ساحة الوغى فستلاقون حتفكم بعد قليل، ثم إلى عذاب السعير، أما الشهداء فإلى جنات النعيم. قال الإمام علي (ع): «والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة.

* قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً، ١٧*

الله سبحانه يعلم المنافقين، وإنهم يثبطون الناس، ويقول بعضهم

لبعض: تعالو إلى الراحة والدعة، مالنا وللقتال؟ وإن ينكشف أمرهم وتظهر دخيلتهم يمشوا إلى القتال كالذي يساق إلى الموت، ويقاتلوا لماماً، وهم مضطربون متثاقلون.. ولهؤلاء أشباه ونظائر في كل زمان ومكان.

* فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً، ٢٦*

ملخص قصة بني قريظة

بني قُريظة، وهم قبيلة من اليهود، كانوا يساكنون النبي (ص) بالمدينة أو بضواحيها، وإنه كان بينه وبينهم عهد أن لا يعينوا عليه عدواً، ولما حاصرت الأحزاب المدينة نقضوا العهد وأعلنوا الحرب، كما هو شأن اليهود قديماً وحديثاً.. وهاتان الآيتان اللتان نحن بصددهما تشيران إلى ما حدث لبني قريظة بعد نقضهم العهد وهزيمة الأحزاب، وخلاصته:

طلبوا ـ بني قريضه ـ من النبي (ص) باختيارهم وملء إرادتهم أن ينزلوا على حكم سعد ابن معاذ، وهو رئيس الأوس، وكان بنو قريظة حلفاء لهم، فاستجاب النبي لطلبهم، واستدعى سعداً، وقال له: أن هؤلاء قد نزلوا على حكمك مختارين، فاحكم بما شئت. قال سعد: وحكمي نافذ عليهم؟ قال النبي (ص): نعم. فحكم سعد أن تُقتل رجالهم المقاتلون، وأن تكون ديارهم للمهاجرين دون الانصار، لأن للأنصار ديارا، ولا ديار للمهاجرين.

وتسأل: كيف أقر النبي (ص) حكم سعد، وفيه ما فيه من العنف والقسوة حتى اتخذ منه أعداء الإسلام وسيلة للطعن والتشهير؟

والجواب: أن محمداً لم يظلم بني قريظة، وإنما أنفسهم كانوا يظلمون لأنهم اختاروا لها هذا المصير بملء ارادتهم، ويشهد لذلك:

أولاً: إنهم عاهدوا النبي ونكثوا العهد في أحرج الأوقات، كما هو دأب اليهود منذ القديم قال تعالى: «أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ـ أي الرؤساء، ١٠٠ البقرة».

ثانياً: أن النبي (ص) عرض عليهم أن يدعهم وشأنهم شريطة أن يقولوا:

ثانياً: أن بني قريظة أبوا النزول على حكم رسول الله (ص)، وقبلوا حكم سعد من تلقاء أنفسهم.

ثالثاً: أن سعداً حكم بشريعتهم التي يدينون بها، ويحكمون على الناس بموجبها. قال العقاد: «إنما دانهم سعد بنص التوراة الذي يؤمنون به كما جاء في التثنية: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وأن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمة تغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك إلهك.. اصحاح ١٠ إلى ١٥ تثنية». (كتاب العبقريات الإسلامية ص ٢١٩ طبعة دار الفتوح بالقاهرة).

وهذا النص موجود في التوراة اصحاح ٢٠ من التثنية، لا اصحاح ١٠ إلى ١٥ كما جاء في العبقريات الإسلامية، وهو يدل بوضوح على أكثر مما حكم به سعد ابن معاذ على بني قريظة، لأنه يقول صراحة: أن استجابت المدينة إلى الصلح فجميع أهلها عبيد مسخرون، وأن أبت وجب ذبح جميع الذكور بحد السيف المقاتلين منهم وغير المقاتلين، ونهب الأموال وسبي النساء والأطفال.

وهناك نص آخر في التوراة لم يذكره العقاد، وهو أعظم جوراً من النص الذي ذكره، لأنه يأمر بقتل جميع السكان، ولا يستثني النساء والأطفال، ثم احراق المدينة بجميع ما فيها بحيث لا يمكن بناؤها وتجديدها إلى الأبد.. فقد جاء في الاصحاح الثالث عشر من التثنية ما نصه بالحرف الواحد: «فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، وتجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار بالمدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد».

فهل بعد هذا يقال: أن محمداً (ص) ظلم يهود بني قريظة، وان سعداً جار في حكمه عليهم؟.. فمن القضاء العدل أن تلزم كل إنسان بما ألزم به نفسه، وتحكم عليه بما يدين ويعتقد، واليهود يعتقدون ديناً، ويطبقون عملاً ذبح الذكور، ونهب الأموال، وسبي النساء والأطفال، وهدم البيوت وإحراق القرى والمدن من كل شعب من الشعوب دون أن يعلن عليهم حرباً أو ينكث لهم عهداً أو يسيء إليهم بحرف تماماً كما تفعل الآن إسرائيل مع شعب فلسطين.. فهل يُعد ظالماً من يحكم عليهم بتوراتهم، ويعاملهم بما عاملوا به الناس؟ مع العلم بأن النبي (ص) قتل المقاتلين منهم بعد أن نكثوا عهده وأعلنوا عليه الحرب، وهم يقتلون ويحرقون لا لشيء إلا لأن القتل والحرق والفساد دين لهم وطبيعة.. ولو حُكم عليهم بالقتل والنهب والسبي دون أن ينكثوا العهد ويعلنوا الحرب لكان الحكم حقاً وعدلاً، لأنه حكم بما يدينون ويفعلون.. واتفقت جميع الشرائع السماوية والوضعية على أن من دان بدينٍ لزمته أحكامه، وهنا يكمن السر في قول الرسول الأعظم (ص) لسعد: «حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة». جمع رقيع وهو اسم السماء.

* والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة، ٦٠*

المنافقون هم الذين أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، والمرجفون قوم من المنافقين كانوا ينشرون الدعايات المضلة ضد النبي (ص) والصحابة، ويشككون ضعاف الإيمان الذي عبّر عنهم سبحانه بقوله: «والذين في قلوبهم مرض». والآية تهديد ووعيد بالقتل والنفي لأهل النفاق والإرجاف ومن يستمع إليهم إذا لم يكفوا عما هم عليه من الإضلال والافساد.

وفي عصرنا يسمى الارجاف بالحرب النفسية، وقد تفننت فيها قوى الشر، وبلغت الغاية من بث الأكاذيب والأباطيل بكل وسيلة، بالصحف والاذاعة والتلفزيون وأفلام السينما والخطب والمنشورات والمدارس والجامعات والكتب والقصص وغيرها، وكررت هذه الأجهزة الأكذوبة الواحدة على مسامع الناس في كل يوم مرات ومرات حتى لا تجد الحقيقة

مكاناً لها عند الطيبين والمخلصين إلا إذا كانوا على وعي تام وعلم مسبق بدعايات الاستعمار والصهيونية وأساليبهما المضللة.

قرأت في جريدة «أخبار اليوم» المصرية عدد ١٣ ـ ٢٣ ـ ٦٩: «ان للدعاية الإسرائيلية ٨٩٠ صحيفة في العالم لنشر الأخبار الكاذبة، بالإضافة إلى سيطرة الصهيونية على كثير من أجهزة الاعلام بطريقة غير مباشرة كالتلفزيون والراديو والاعلانات.. إلخ».

ومهما يكن فقد بدأت إسرائيل ـ ولله الحمد ـ تحس بعنف الضربات القاسية من الأيدي العربية التي بدأت تقاوم إسرائيل وإنها لكفيلة بالقضاء على الدعايات التي تلفقها أمريكا وربيبتها إسرائيل، ويذيعها العملاء بعد أن يقبضوا الثمن.

* ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتِّلوا تقتيلاً، ٦١* . ملعونون على كل لسان لأن دينهم الدولار والدينار، وعملهم الغش والكذب والخداع.. ولا دواء لهم إلا الاستئصال.

* وقالوا ربنا أنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً، ٦٨* المراد بالسادة والكبراء زعماء الدين والدنيا، وباللعن الخزي.. وقد أحال الضعفاء الذنب على القادة من الطرفين، وطلبوا من الله أن يضاعف لهم العذاب.. ومن دقق التاريخ رأى ان الأمة الجاهلة يقودها الطغاة والعتاة، أما أهل الوعي والمعرفة فإنهم لا يأتمنون على مصالحهم إلا الأمناء الشرفاء. وتقدم مثله في الآية ٣٨، من سورة الأعراف ج ٣ ص ٣٢٦.

[المجلد السادس صفحة: ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢]

سورة فاطر

*** من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، ١٠* . العزة لله ولدين الله بالذات، وبهما يكون الإنسان عزيزاً، ومن اعتز بغير الله ذل، قال ابن عربي في الفتوحات: «عزة الحق لذاته إذ لا إله إلا هو، وعزة رسوله بالله، وعزة المؤمنين بالله وبرسوله.. فعزة هؤلاء بإعزاز الله، فثبت للفرع ما ثبت للأصل». وما ذل المسلمون في هذا العصر إلا لأنهم اعتزوا بغير الإسلام الحق، الحر العادل الذي نزل لحذمة الانسان، وقد كانوا من قبل أقل من اليوم عدداً، ولكن كانوا كثيرين بالإسلام عزيزين بالاجتماع ووحدة الكلمة ضد عدو الله وعدوهم. واليوم كثيرين لكنهم منقسمين اذلاء.**

[التفسير الكاشف، المجلد السادس صفحة: ٢٨١]

❀ ❀ ❀

المحقق: لكن كثير من الناس يعتزون بأميركا وإسرائيل، لأنهم يتلذذون بالعبودية. وهذا النوع من الأفراد والجماعات موجودين في كل زمان ومكان. لأن البنية العقلية والنفسية لديهم تستعذب الظلم والهوان. وليس هذا مجرد أوهام، بل هو علم درسته في كتاب علم النفس PSYCHOLOGY 101 بالولايات المتحدة.

❀ ❀ ❀

سورة الزُمر

عذر اقبح من ذنب

* فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أُوتيته على علم، ٤٩ * المراد بالإنسان هنا كل من ينطبق عليه هذا الوصف، يستغيث بالله عند الشدة، وينساه عند الرخاء، ويقول في جهل وغرور: أن نعمتي من صنع تدبيري وفطنتي. تذكرت وأنا أكتب هذه الكلمات سياسة الولايات المتحدة التي أعلنها «رأسك» حين كان وزيراً للخارجية، أعلنها بقوله: «لا بد للولايات المتحدة أن تظهر اهتمامها بالكرة الأرضية كلها بجيمع أراضيها ومياهها وجوّها وفضائها الخارجي المحيط بها». أي أن الولايات المتحدة أن تسيطر على الأرض بمن فيها وما فيها، وكان هذا الاعلان سنة ١٩٦٦، أي قبل أن ترسل الولايات المتحدة روادها ليطأوا أرض القمر، أما اليوم فينبغي أن تعطف القمر وغيره من الكواكب على الأرض.

وبعد أن نشرب الصحف العالمية هذه السياسة الاستعمارية التي أعلنها وزير خارجية الولايات المتحدة كتب مأجور في إحدى الصحف العميلة مقالاً يبرر فيه هذه السياسة ويدافع عنها بقوله: أن الولايات المتحدة أقوى دولة علماً وثراء، وقد حققت انتصارات ضخمة في ميدان العلم والصناعة، فلها ـ اذن ـ كل الحق أن تتدخل في شؤون العالم بمختلف الصور، وأن تستولي على كل ما تريد الاستيلاء عليه، وأن تغير

ما شاءت من قوانين الدول والشعوب، وتوجه اقتصادها، وتضع هي ميزانتها، وتحدد ما تصدره وتستورده.. وأيضاً للولايات المتحدة كل الحق أن تستعمل سياسة العصا الغليظة مع كل بلد يدافع عن حريته واستقلاله، فتقتل وتدمر بكل أسلوب، بالانقلابات العسكرية، وتدعيم الحركات الانفصالية والقضاء على اقتضى الأمر.. لها الحق في ذلك وأكثر من ذلك لأن هذا الحق في واقعه للعلم أولاً، وثانياً للولايات المتحدة التي خرج العلم من مصانعها العسكرية، وتمثَّل في أسلحتها الجهنمية.. وكل من ملك هذا السلاح كان له الحق في السيطرة على الكرة الأرضية بمن فيها وما فيها. وكل ما جاء على لسان كاتب المقال هو بيان للسياسة الأمريكية كما هي في واقعها.. ومن أراد التثبت من هذه الحقيقة فليدرس سياسة أمريكا في فيتنام وآسيا وافريقيا وأمريكا الاتينية، وموقفها العدائي من الشعب العربي، وانتصارها غير المحدود لعدوان إسرائيل ومعارضتها الحل السلمي البنّاء لمشكلة فلسطين ولكل مشكلة قائمة في الشرق والغرب.

وتسأل ذاك الأفاك الأثيم الذي تطوع للدفاع عن أمريكا وبارك سياستها، وقال أن لها كل الحق في أن تشبع شهوتها العدوانية إلى أقصى ما تصل إليه الشهوات والنزوات.. بارك وبرر لا لشيء إلا لأن أمريكا تمتلك مصانع الخراب والدمار والاسلحة الجهنمية، نسأل هذا التافه الأفاك: إذا كان العلم يبرر التقتيل والتدمير والسلب والنهب فمعنى هذا أن العلم للشر لا للخير، وللفساد لا للصلاح، وأن للعالم أن يستخدم علمه للقرصنة واللصوصية والكذب والتزوير، وأن المجرم الحاذق مشكور ومأجور.. وإنه كلما تفوق في الإجرام وكثر منه الضلال والفساد استحق الاحترام والتقدير.. وأيضاً إذا كان العلم والمال يبرر العدوان فلماذا ترفع الولايات المتحدة شعارات العدل والإنسانية، والحرية اذن؟ وتحاول جاهدة أن تُقنع الناس بأنها العابدة الزاهدة وتحارب حركة التحرر الوطني باسم الإيمان بالله واليوم الآخر؟ لماذا تختبيء أميركا خلف شعار الحرية والعدالة ولا تقول ما تقوله أنت أيها الأفاك...؟

ويعد، فقد ذهل ذاك الكاتب الأثيم إنه يكشف عن ضلاله وخيانته، وهو يدافع بمنطقه المفضوح عن شهوة هيمنة الولايات المتحدة وشقوتها، ويعتذر عنها بما هو أقبح من ذنبها.

[المجلد السادس صفحة: ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤]

سورة غافر

* كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار، ٣٥* . كلٌ من التكبر والتجبر هو بالذات سبب من أسباب الختم على القلب، وإنما أسند ذلك إليه تعالى لأنه هو الذي جعل التكبر سبباً لعمى القلب تماماً كما جعل الجهل سبباً للحيرة والبعد عن الحق، وجعل الدرس والبحث سبباً للعلم والوعي.

ولمناسبة قوله تعالى: «وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى» نشير إلى أنه في المجلد الأول قلنا: أن معنى إسرائيل عبد الله، لأن كلمة «اسرا» معناها في العبرية عبد، و «ايل» الله، قلنا هذا تبعاً لكثير من المفسرين، منهم الطبري والرازي وصاحب مجمع البيان، وبعد أن باشرنا بالمجلد السادس تبين لنا أن هذا القول يفتقر إلى الاثبات، وكان علينا أن لا نثق بأقوال المفسرين، أو ننسب هذا القول إلى قائله ـ على الأقل ـ كما يقتضيه منطق العلم والموضوعية، ولكن الثقة بالمخبرين وبخاصة القدامى كانت وما زالت آفة المؤلفين والمحدثين.

منذ أمد بحثت في مكتبات بيروت التجارية عن كتاب «التلمود» فلم أجده ووجدت الكنز الموصود في قواعد التلمود وقاموس الكتاب المقدس. فاشتريتهما، وقد ساهم في وضع القاموس ٢٧ مثقفاً مسيحياً، منهم ١٧ قساً، والباقون بين دكتور وشماس وأستاذ واشمندريت، وجاء فيه بالنص: «إسرائيل: معنى هذا الاسم العبري «يجاهد الله» أو «يصارع الله» وهو اسم يعقوب إذ أطلقه عليه الله بشكل الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر وانتصر عليه. التوراة سفر التكوين الاصحاح ٣٢ الآية ٢٨».

فمعنى إسرائيل ـ إذن ـ يصارع الله ويجاهده بنص التوراة، والفرق كبير جداً بين العبد والمصارع، لأن المصارع والمبارز نظير ومثيل، أما العبد فرقيق وضعيف، وبهذا يتبين معنا أن التوراة الحالية غير الكتاب الذي أشار إليه سبحانه بقوله: «أورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى» لأن هذا الكتاب كما وصفه سبحانه هدى وذكرى، أما التوراة الموجودة فهوى وعمى لأنها تقول: يعقوب صارع الرب حتى مطلع الفجر، ولوط ضاجع ابنتيه وحملتا منه، وداود اغتصب الزوجات وقتل أزواجهن، وقد أجمع الباحثون أن التوراة الحالية كتبت بعد موسى بأمد غير قصير (انظر قاموس الكتاب المقد ص ٧٦٣ و١١٢٠ المطبعة الانجيلية ببيروت سنة ١٩٦٤، وكتاب «الأسفار المقدسة» لعبد الواحد وافي ص ١٦ وما بعدها، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤.

وأيضاً يتبين معنا أن بني إسرائيل الأوائل الذين أورثهم الله الكتاب المنزّل هم أبعد الناس نسباً وشبهاً بدولة إسرائيل قاعدة الاستعمار الجديد في الشرق الأوسط وبتوراتهم المحرفة كما جاء في القرآن.

ونشرت مجلة «المجلة» المصرية في عدد كانون الثاني سنة ١٩٧٠ بحثاً استغرق حوالي ٢٠ صفحة بعنوان «توراة اليهود» لحسين ذي الفقار صبري نقل فيه عن الصهيوني «نيهر» أن إله إسرائيل كما يراه الفكر اليهودي مرتبط ارتباطاً عضوياً بالواقع المتسلسل لتاريخ بني إسرائيل، فإذا تلاشى الوجود الإسرائيلي فكأن الدلائل الدالة على وجود الإله قد زالت، فهو اذن عدم، وأن على كل يهودي أن يصارع الذات المجهولة ـ أي الله ـ حتى مطلع الفجر تماماً كما صارعها يعقوب، سواء أكانت هذه المصارعة مميتة أم ظافرة. وأيضاً نقل الكاتب عن «بوبر» الصهيوني أن المعنى الذي تتجه إليه تلقائياً أذهان جمهرة اليهود هو أن يعقوب كان قوياً ضد الله.

ثم خرج الكاتب من بحثه الطويل العميق إلى نتيجة استنتجها من التوراة وغيرها من الكتب اليهودية الدينية ومن أقوال المفكرين الصهاينة، خرج بهذه النتيجة، وهي أن لب العقيدة الصهيونية أن تفرض إسرائيل

وجودها بالتصدي لما يهدد كيانها، حتى ولو كان الرب مصدر هذا التهديد، وأن التوراة الحالية ليست إلا تحليلاً دقيقاً لنفسية اليهود، وتناقضاً لعلاقتهم مع الله، فهم معه وعليه في آن واحد، لأنه صاحب شخصية مزدوجة في توراتهم فهو الرجيم، وأيضاً هو الرحيم.

هذه هي الصهيونية، إنها في عقيدة أصحابها أقوى وأعظم من الله، وأن وجوده مرتبط بوجود إسرائيل، فإذا ما تلاشت فقد زال الله من الوجود، ومن هنا التقت الصهيونية مع الاستعمار الأميركي العالمي، وتحالفا معاً ضد الشعوب والأديان والإنسانية، وكان من نتيجة هذا التحالف وجود إسرائيل في أرض فلسطين، ولكن روح النقمة والعداء للاستعمار والصهيونية قد انتشرت في كل بلد عربي، ولله الحمد، ولا شيء أدل على ذلك من المقاومة الفلسطينية، وإجماع العرب كلمة واحدة على دعمها وتأييدها، وسنجني ثمارها بحول الله أن عاجلاً أو آجلاً.

[المجلد السادس صفحة: ٤٥١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١]

❀ ❀ ❀

المحقق: كان الوالد رحمه الله متفائلاً بإجماع العرب والمسلمين على كلمة واحدة. وإن شاء الله يزول هذا التشرذم والانقسام. والله أكرم الشيخ مغنيه بأن رفعه إليه بإذنه تعالى، حتى لا يرى ما حلَّ بنا...

❀ ❀ ❀

سورة الشورى

*** وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم، ٣١* . هذه الآية تدل بصراحة لا تقبل التأويل على أن الظلم والفقر من صنع الناس لا من صنع الله، ومن فساد الأنظمة والأوضاع لا من حكم الله وشريعته حتى القحط وحبس الغيث سببه البغي والفساد كما في الحديث. . وفي كتاب الله: «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ـ ٦٦ المائدة» ج٣ ص ٩٤ فقرة «الرزق وفساد الأوضاع» (ويعفو عن كثير) من الذنوب ما عدا الشرك والظلم لأنه هو القائل: «لا يغفر أن يشرك به» والقائل: «يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سواء الدار ـ ٥٢ غافر».**

[المجلد السادس صفحة: ٥٢٦]

❀ ❀ ❀

المحقق: بعض المذاهب الإسلامية، السلفية بالضبط، تؤمن بأن الفقر والظلم من الله وليس من الإنسان، أي أن الله يريد ذلك، هذا القول يتنافى مع رحمة الله وعدله. وإن وُصف (جلّ) بالقهار والجبار فإن المعنى، كما يقول المستنيرون غير السلفيين: أن القهر والجبر هو لمن تمرد وعصى واستكبر وتفرعن، وليس للإنسان المستقيم.

❀ ❀ ❀

سورة الدخان

* ولقد اخترناهم على علم العالمين، ٣٢* وصف سبحانه بني إسرائيل في كتابه بأقبح الأوصاف، وسجل عليهم أعظم الجرائم كالغدر والاحتيال والتمرد على الحق وأكل المال بالباطل، ووصفهم بالكفر والظلم، ولعنهم في العديد من الآيات، وهددهم بأشد العقوبات.. ومن هنا أجمع المفسرون دون استثناء على أن المراد بالعالمين في أن الله فضلهم على أهل ذلك الزمان الوثنيين من جهة واحدة فقط.

أن المراد بالعالمين فيها فرعون ومن أقر له بالربوبية فقط، وعبدة الاصنام، أما السر في تفضيل بني إسرائيل على فرعون ومن استجاب له فواضح، وهو أن الإسرائيليين لم يعبدوا فرعون كقدماء المصريين. (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين). المراد بالآيات هنا المعجزات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وتفجير الماء من الحجر، والمراد بالبلاء المبين النعمة الظاهرة قال تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة ٣٥ الأنبياء».

[المجلد السابع صفحة: ١١، ١٢]

سورة الجاثية

* فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ١٧* . لقد علموا علم اليقين ما أنزل الله على موسى، ولكنهم تجاهلوه وحرفوه تبعاً لأهوائهم ومصالحهم: «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ـ ٤٦ النساء». وقوله تعالى: «اختلفوا» يشير إلى القليل النادر الذي ثبت على الحق (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فما كانوا فيه يختلفون). قد يتغلب المبطل على المحق في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فإن الكلمة العليا للحق وحده، وإلا كان المحق أسوأ حالاً من المبطل. وتقدم مثله في الآية ٩٣ من سورة يونس ج٤ ص ١٩٠.

ضُربت الذلة على إسرائيل بحكم التوراة

جاء في القرآن الكريم عن بني إسرائيل قوله تعالى: «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ـ ١١٢ آل عمران». وتكلمنا مطولاً حول هذه الآية في ج٢ ص ١٣٣، وقلنا: أن إسرائيل قاعدة من قواعد الاستعمار، وإنها زائلة لا محالة عاجلاً أو آجلاً.

والآن ننقل من نصوص الأسفار ـ أي الكتاب المقدس عند اليهود ـ ما يدل بصراحة ووضوح على أن الله كتب على إسرائيل الذلة والمسكنة حتى يومها الأخير. فقد جاء في سفر الملوك الثاني الصحاح ١٧ الآية ١٩

و٢٠: «فغضب الرب جداً على إسرائيل... فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم». وفي سفر ارميا اصحاح ٩ الآية ١٥ و١٦: «ها أنا ذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا واسقيهم العلقم وأبددهم في أمم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلق وراءهم السيف حتى افنيهم». وأيضاً في سفر التثنية اصحاح ٢٨ الآية ٦٢ و ٦٣: «فتبقون نفراً قليلاً... فتستأصلون من الأرض». الخطاب لبني إسرائيل، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على بغي اليهود وفسادهم وذلهم وهوانهم.

ونسأل الصهاينة: إذا كنتم شعب الله المختار كما تزعمون فلماذا حكم الرب عليكم وعلى نسلكم بالذلة والرذالة والتشريد كما حصل لكم في أوروبة، إلى أن تستأصلوا من الأرض؟ وكيف قطع الرب عهداً على نفسه أن يجعل أورشليم رجماً ومأوى لبنات آوى كما جاء في سفر ارميا اصحاح ٩ الآية ١١: «واجعل أورشليم رُجماً ومأوى بنات آوى، ومدن يهوذا اجعلها خراباً بلا ساكن»؟. وما هو الكتاب المقدس لدولتكم الدينية العنصرية كما قال بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا. هل هو التوراة التي وصفتكم ووصفت عاصمتكم بقولها: «هكذا قال الرب: أيتها المدينة ـ أي أورشليم ـ السفاكة الدم.. يا نجسة الاسم يا كثيرة الشغب، هوذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدماء ـ سفر حزقيال اصحاح ٢٢ الآية ٣ و ٦».

لقد وصف القرآن الكريم بني إسرائيل بأبشع النعوت وأقبحها، ولكنه لم يزد شيئاً عما جاء في التوراة والكتاب المقدس عند اليهود.. وقد جاء ذم أورشليم في إنجيل لوقا اصحاح ١٣: «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين» ويقول الإنجيل: أن اليهود في كل زمان ومكان يشاركون في الجريمة أجدادهم الذين صلبوا السيد المسيح لأنهم راضون بأفعالهم مؤمنون بأقوالهم: إنه ابن زنا ودجال.. وما جاء في الإنجيل يتفق تماماً مع المبدأ الإسلامي القائل: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء».

ومن أجل هذا عارضت الكنيسة القبطية المصرية بابا روما حين أصدر هو وأعوانه وثيقة تبرئة يهود الجيل من دم المسيح. . وتجدر الاشارة إلى أن هذه الوثيقة أصدرها بابا روما قبيل عدوان إسرائيل على البلاد العربية بقليل.

[المجلد السابع صفحة: ٢٤، ٢٥]

❀ ❀ ❀

المحقق: وفي إنجيل متّى يصرخ المسيح من وجه اليهود ويقول لهم «يا أبناء الأفاعي».

❀ ❀ ❀

سورة محمد (ص)

* فإذا لقيم الذين كفروا فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منّاً بعد وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها، ٣* هذه الآية من أمهات الآيات ومحكماتها، وموضوعها هام، وهو القتال، لذا نبدأ بتفسير مفرداتها، ثم نبين المعنى المحصل منها.. والمراد باللقاء هنا مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين في جبهة الحرب والقتال. وضرب الرقاب كناية عن القتل سواء أكان بضرب الرقبة أم بغيره، وإنما خص سبحانه الرقاب بالذكر لأنها من الأعضاء الرئيسية. وأثختموهم أكثرتم فيهم القتلى حتى ظفرتم بهم وتمكنتم منهم. فشدوا الوثاق أحكموا وثاق الأسير منهم بقيد أو حبل أو سجن كيلا يفر ويعيد الكرة عليكم. فإما مناً أي أن تمنوا بالصفح على الأسير من غير عوض. وأما فداءً أن تطلقوا سراحه بعوض. وحتى تضع الحرب أوزارها أي حتى يستسلم العدو ويلقي السلاح لأن أوزار الحرب سلاحها.

ومعنى الآية بمجموعها أن أعداء دين الله إذا أصروا على الكفر والظلم، والتقيتم بهم أيها المسلمون في ساحة القتال فاقتلوهم، ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله، واصمدوا لهم، وامضوا في قتلهم وقتالهم حتى تتمكنوا منهم، وعندئذ أحكموا أسر من بقي منهم كيلا يفلت، ويعيد الكرة عليكم، ومتى تم ذلك كان الخيار للنبي أو نائبه في اطلاق الأسير بفداء أو من غير فداء حسبما تقتضيه المصلحة.. وتجدر الاشارة إلى أن

معنى هذه الآية والآية ٦٧ من سورة الأنفال: «ما كان لبني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» ج٣ ص ٥٠٧ أن معنى الآيتين واحد، وهو لا أسر إلا بعد الإثخان.

(ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض). ذلك اشارة إلى ما بيّنه سبحانه من قتل أعداء الله وأسرهم في ساحة الحرب، والمعنى إنه جل وعز لو أراد أن ينتقم من أعدائه في الدنيا من غير قتال لأهلكهم بما لديه من جنود السموات والأرض، ولكنه تعالى أمر المؤمنين بالجهاد وابتلاهم بالكافرين لتظهر الأفعال التي يُستحق بها الثواب والعقاب.

* والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، ٣* . أن الله يقاتل من عصاه بمن أطاعه، وإذا قُتل المطيع فلن يذهب دمه سدى.. كيف؟ وقد استشهد في سبيل الله ومن أجل الله.. ومن أوفى من الله لمن أخلص له وعمل من أجله؟ وقد بيّن سبحانه أجر العاملين من أجله، بينه بقوله: (فلن يضل أعمالهم) بل تعود عليهم بالخير، وذلك بأنه تعالى (سيهديهم) إلى منازلهم في الجنة تماماً كما كانوا يهتدون إلى منازلهم في الدنيا (ويصلح بالهم) أي شأنهم في يوم يفر المرء من أخيه وأمه وبنيه (ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) أي بينها لهم بأنهارها وأثمارها، وقصورها وحورها، وما إلى ذلك ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

* يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، ٧* . وتثبت الأقدام كناية عن الصلابة والثبات. والآية واضحة الدلالة على أن الله سبحانه مع أهل الحق والعدل ينصرهم ويأخذ بأيديهم، وفي معناها كثير من الآيات، كالآية ١٢٨ من سورة النحل «أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» والآية ٣٨ من سورة الحج «أن الله يدافع عن الذين آمنوا» والآية ٤٠ منها «ولينصرن الله من ينصره أن الله لقويّ عزيز» والآية ٥٧ من سورة المائدة «فإن حزب الله هم الغالبون».

والنصر من الله سبحانه على أنواع، منها النصر على الأعداء بالقتال وقوة السلاح، كانتصار الرسول الأعظم (ص) على عتاة الكفر والظلم من قريش وغيرهم، ومنها النصر بعذاب من السماء كالخسف والطوفان والريح العاتية، ومنها النصر بقوة الحجة والبرهان عند نقاش الخصم وجداله، ومنها النصر بعلو الشأن وخلود الذكر في الدنيا، ومنها النصر في الآخرة يوم تسودّ وجوه وتبيضّ وجوه «وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد ـ ٤٩ ابراهيم».

وإذا تبين معنا أن النصر من الله على أنواع، وأن قوله تعالى: «أن تنصروا الله ينصركم» مطلق غير مقيد بنوع من أنواع النصر، ولا مقرون بصفة من صفاته، إذا تبين هذا علمنا أن المراد من النصر في الآية أي نصر كان.. وليس من شك إنه كائن لا محالة، ولو في اليوم الآخر الذي لا ريب فيه، وعليه فلا وجه للاعتراض أو السؤال: كيف وعد اللهسبحانه المحقين بنصره مع أن تاريخ البشرية متخم بأخطر المظالم والاعتداءات على الطيبين والمخلصين؟. وسبق الكلام عن هذا الموضوع مفصلاً عند تفسير الآية ٣٨ من سورة الحج ج٥ ص ٣٣١ فقرة «لا يخلو المؤمن المحق من ناصر».

الدولة الإسلامية

ونشير بهذه المناسبة إلى أن بعض الفئات تدعو الآن إلى قيام دولة إسلامية، وأي مسلم يخلص لله فيما يدين يأبى أن يكون للإسلام سلطان ينفذ أحكام القرآن، وللمسلمين ما يوحد كلمتهم ويجمع قوتهم، وينقذها من التفتيت والتشتيت؟.

ولكن نسأل: هل توجد هذه الدولة بمجرد رفع الشعارات وإذاعة البيانات، أو بتكثير العمائم على رؤوس الجهلاء والدخلاء؟ وهل من الممكن أن تنبثق عن ٧٠٠ مليون مسلم في آواخر الستينات منتشرين في شرق الأرض وغربها، ولهم قوميات متعددة، ومذاهب سياسية مختلفة، وفرق متباينة، وبعضهم يخضع لدول اشتراكية، وبعضهم لدول رأسمالية،

وآخرون لهم كيان مستقل أو شبه مستقل. وإذا تكونت هذه الدولة من المسلمين العرب أو غير العرب فهل تستطيع أن تواجه مسؤولياتها، وتنجح فيحل مشاكل المسلمين في الأقطار الأخرى؟ ثم هل تكون هذه الدولة سنية أو شيعية أو منهما معاً ونترك الجواب عن هذه التساؤلات للمخلصين.

المتخصصين الشرفاء

لقد عانى المسلمون الكثير من الهزائم والاذلال، وكفى بهزيمة ٥ حزيران وهنا واذلالاً، والسبب الأول والأخير هو التمزق والتفرق، والعلاج معروف عند الجميع وهو الوقوف صفاً واحداً ضد العدو المشترك الذي حددته حرب حزيران، وأبرزته واضحاً للعيان، فمن أخلص لله وأراد النصح للإسلام والمسلمين حقاً وصدقاً فعليه أن يحصر جهوده كلها في العمل من أجل تعاون المسلمين على الخلاص والتحرر من القوى الفاسدة الداخلية والخارجية، ومتى تمت التصفية وتحققت الحرية الكاملة فكرّ المخلصون في دولة إسلامية أو غيرها مما فيه لله رضا، وللمسلمين صلاح.

وخير ما نؤيد به إشارتنا هذه قول الإمام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة: «أن المبتدعات المشتبهات هن المهلكات . . وأن في سلطان الله عصمة لأمركم، فأعطوه طاعتكم. . أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام». وإذا انتقل سلطان الإسلام عن السلف لتفرق أهوائهم وشتات كلمتهم فهل يعود إلينا ونحن أكثر تفرقاً وشتاتاً؟.

الإسلام علماني عقلاني

وتسأل: أصحيح ما يقال: أن المصدر لفكرة الدولة الإسلامية هو الصهيونية لتبرر بها دولتها الدينية العنصرية، وتقول لمن عاب عليها ذلك: أن المسلمين يطالبون أيضاً بدولة دينية؟.

الجواب: أن دين اليهود عدو الحياة والإنسانية، لأن الله في عقيدتهم إله قَبَلي لا يعنيه من العالم أحد سوى إسرائيل وحدها، وأن جميع الناس

خلقهم الله عبيداً لهم كما جاء في كتاب «الكنز المرصود» للدكتور يوسف حنا نصر الله، وكتاب «البقاء اليهودي» للصهيونية روز مارين.

أما الإسلام فهو دين الحياة والرحمة والانسانية جمعاء، ولا شيء أدل على ذلك من الآيات والأحاديث التي أعلنت بأن الإسلام يهدي للتي هي أقوم، وإنه يرتكز على العقل والفطرة، وأن دعوة الله والرسول إنما تجب تلبيتها لأنها تدعو إلى حياة أفضل، ومعنى هذا أن الإسلام علماني عقلاني أي يهتم بالإنسان بما هو إنسانا حراً كريماً وأياً كان دينه واعتقاده وقناعاته، شريطة أن لا يعتدي على أخيه الإنسان.. وأين هذا من دين اليهود الذين أسموا أنفسهم شعب الله الخاص؟.

(والذين كفروا فتعساً لهم) لا يرون غبر الخزي والهلاك (وأضل أعمالهم) فلا تعود عليهم بخير(ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم). كرهوا الرسول (ص) والقرآن الذي نزل عليه لا لشيء إلا لأنه أرادهم للحق وهم له كارهون، فكانوا من الأخسرين أعمالاً. والإضلال والإحباط بمعنى واحد، وهو الضياع وعدم الجدوى من العمل، وكرر سبحانه ليشير إلى أن ضياع العمل لا ينفك عن الكفر بالقرآن وكراهيته.

القرآن وسياسة الحرب

* فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، ٣٤* . لقد أثبتت الحوادث أن من وهن أمام عدوه وتهيب سطوته، وخاف مجابهته فقد زوده بالسلاح الذي يقتله به ويخضعه لأمره، قال الإمام علي (ع): قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان. أنظر ج٦ ص ٢٤٠ فقرة «الحرب النفسية». والسياسة الحكيمة في الحرب عند قادتها وأهل الاختصاص أن لا ينهار الإنسان أمام عدوه، وأيضاً أن لا يستهين بقوته، بل يعد له العدة ويجابهه بثبات مستهيناً بكل ما يصيبه من مشاق وآلام، وقد رسم القرآن الكريم هذه السياسة بقوله: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم» أي لا تنهاروا أمام أعدائكم وتستسلموا لقوتهم وظغيانهم، وبقوله: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ـ

٦٠ الأنفال» أي لا تستهينوا بقوتهم واحشدوا لحربهم كل ما تملكون من طاقات بشرية واقتصادية.

(وأنتم الأعلون) إذا كنتم صفاً واحداً، ويداً واحدة على عدو الله وعدوكم وإلا فشلتم وذهبت ريحكم كما نصت الآية ٤٦ من سورة الأنفال (والله معكم) إذا لبيتم دعوته إلى الجهاد بالنفس والنفيس لتكون كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، أما من يؤثر الدعة والراحة، ويستسلم للهوان وقوى الضلال والفساد فإن الله يتخلى عنه، ويكله لمن استسلم له (ولن يتركم أعمالكم). من أصيب بنفسه أو أهله ماله من أجل الدين أو الوطن أو أي حق كان ـ فإن تضحيته هذه لن تذهب سدى، بل هي عز للدين وللوطن في الحياة الدنيا، وذخر له في الآخرة عند الله.

وتسأل: أن قوله تعالى: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون» يدل بصراحة على أن للقوي أن يبطش بعدوه الضعيف، ولا يكترث بسلم ولا رحمة. وليس من شك أن هذا يناقض الإنسانية والعدالة، ولا يتفق مع قوله تعالى * يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ٢٠٨ البقرة * .

الجواب: أن قوله تعالى: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم» معناه إذا بليتم بعدوٍ متوحش شرس لا يقيم وزناً للحق والعدالة، ولا يلتزم بقانون ولا بميثاق، ولا يفهم إلا بلغة العنف والقوة، إذا بليتم بهذا العدو فاصمدوا له ولا تهابوه وابطشوا به، ولا تأخذكم في الحق رأفة ولا هوادة، فإن القضاء عليه قضاء على الشر، وخير للإنسانية جمعاء.

ومن غريب الصدف أن أكتب هذه الكلما في ٨/ ٤/ ١٩٧٠ الذي أغارت فيه إسرائيل بطائرات الفانتوم الأمريكية وقذائفها ـ على مدرسة بحر البقر الابتدائية بالجمهورية العربية المتحدة، وقتلت ٤٧ طفلاً تتراوح سنهم بين السادسة والثانية عشرة، ما عدا الجرحى.

والولايات المتحدة الأمريكية هي المسؤولة عن قتل وجرح أولئك الصغار، وعن الغارة المماثلة على معمل أبي زعبل الأهلي التي راح ضحيتها ٣٣ عاملاً بين قتيل وجريح، هي المسؤولة عن جرائم إسرائيل

حيث أمدتها بالسلاح والمال، وأمرتها أن تفعل في البلاد العربية ما تفعله هي في فيتنام. . فقد نقلت الصحف والاذاعات أن جنود الولايات المتحدة قتلوا أهل قرية بأكملهم في فيتنام، ولم ينجُ منهم طفل ولا امرأة، وما كان لهذه القرية ولا لمدرسة الأطفال أي شأن في الحرب. . فهل يجدي السلم شيئاً مع هؤلاء السفاكين؟ اللهم إلا إذا كان معنى السلم الاستسلام للجور والطغيان.

[المجلد السابع صفحة: ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠]

سورة الفتح

*** ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج، ١٧* . لا إثم على هؤلاء الأصناف. الثلاثة إذا تخلفوا عن الجهاد من أجل الدعوة إلى الإسلام، أما الجهاد لدفاع العدو وردعه عن الاعتداء فهو حتم على الجميع رجالاً ونساءً وصغاراً مميزين وكباراً أصحاء وغير أصحاء.. من كلٍ حسب طاقته.**

[التفسير الكاف المجلد السابع، صفحة: ٩٣]

❀ ❀ ❀

المحقق: يشغل كبار السن الاصحاء وغير الاصحاء دوراً مهما في حروب المقاومة. كانوا ـ أي كبار السن ـ يعبئون الرصاص بالبارود من أجل أمداد المقاتلين بالذخيرة في الحرب الفيتنامية الاميركية. وكانوا يتولوا عملية كتابة البيانات الحربية الصادرة عن المقاومة. وإلا هم من ذلك إنهم كانوا يخبئون الآت الطباعة. اما الكبار الاصحاء الذين في تمام وعيهم كانوا يصنعون الالغام التي تنفجر بالجنود الاميركين. وهذا ما عناه الفعيه يقوله: «من كلٍ حسب طاقته».

❀ ❀ ❀

سورة الحجرات

* ولا تجسسوا ، ١٢*

لو اقتصر تجسس الأمريكيين على بعضهم البعض لقلنا مع الموالين لهم: أن لكل بلد تمام الحرية في أن يختار لنفسه ما يشاء.. ولكن الأمريكيين تجاوزوا ذلك إلى التجسس على دول الأرض وشعوبها بالطائرات والأقمار الصناعية.. ولا تعجب أيها القارىء فإن الولايات المتحدة بلد الحضارة والديمقراطية، وسيدة العالم الحر، وقائدة الاستعمار الجديد، وفوق ذلك تؤمن بالله والمثل العليا.. ولا شيء أدل على إيمانها بالله واليوم الآخر من مذبحة «سنونج ماي» بفيتنام الجنوبية وهي قرية مسالمة تضم ٥٠٠ نسمة معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال ، ذبح الجنود الأمريكيون جميع من فيها، على بكرة أبيها بأبشع صورة، ولم يبقوا منها باقية.. حدثت هذه الجريمة المذهلة في الشهر الثالث من سنة ١٩٦٨.

* يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير، ١٣* . كل الناس يعلمون أن الأب آدم والأم حواء.. ولكن الغرض من قوله تعالى: «خلقناكم من ذكر وأنثى» أن يعلم الناس، كل الناس، إنهم أخوة والأخوة سواسية في الحقوق والواجبات، قوله: «لتعارفوا» فمعناه ليس القصد من اختلافكم في البلدان والأنساب والألوان أن تتفرقوا شيعاً، وتتناحروا وتتفاخروا بشعوبكم وآبائكم وأجناسكم.. كلا، وإنما القصد أن تتعاطفوا وتتعاونوا على ما فيه خير كم وصلاحكم.. وأفضل الناس عنده تعالى

أخوفهم منه، وأنفعهم لعباده.

وهذه الآية دعوة من القرآن الكريم إلى أمة إنسانية وعالم واحد يجمعه العدل والمحبة، وهذا العالم أمل الصفوة من المفكرين وحلم المصلحين، وفي يقيننا أن الاعتراف بحقوق الإنسان سيظل حبراً على ورق ومجرد نظرية إذا لم تتحقق الوحدة الإنسانية الشاملة التي دعا إليها القرآن منذ أكثر من ألف وثلاثمئة سنة.. فلقد وقّعت الولايات المتحدة ومعها إسرائيل وثيقة حقوق الإنسان، ومع ذلك تقترف الأولى جريمة إبادة الجنس البشري في شعب فيتنام والثانية في شعب فلسطين.

أكتب هذه الكلمات يوم ٢٣ نيسان سنة ١٩٧٠ واللجنة الدولية التابعة للأمم المتحدة تحقق في انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان، وقد سجلت اللجنة في محاضرها أن إسرائيل هدمت في الأراضي المحتلة على المدنيين بيوتهم رجالاً ونساء وأطفالاً وتركت الجثث تحت الأنقاض ورفضت السلطات الإسرائيلية دفنها، وإنها تعتدي على الأماكن المقدسة والمستشفيات، وتعذب المواطنين العرب بالنار والكهرباء وتستأصل الأعضاء الحساسة من أجساد الكبار، وتقطع أيدي الصغار وتبقر بطونهم بمرأى من الآباء والأمهات.. إلى غير ذلك من الجرائم الوحشية والابادة الجماعية.

[المجلد السابع صفحة: ١٢١، ١٢٣، ١٢٤]،

صراع الاطماع

المحقق: وصف الراحل المفكر الكبير الدكتور ادوار سعيد «صراع الحضارات» الذي أطلقها الدكتور هانتنغتون أحد أبواق السلطة الأميركية بـ «صراع الجهلات» فاصاب. لأن المفروض في الحضارات والثقافات أن تتعاون في سبيل خدمة الإنسان لا أن تتصارع، وهذا ما حدث في تاريخ البشرية. فالحضارة والثقافة الهندية والصينية، واليونانيه والفارسية، والعربية

والاوروبية، أثرت على الحضارات الأخرى وامتزجت واكملت بعضها البعض، فكان نتاجها النهضة والعلم والفلسفة، والفن والثقافة وتقدم الانسان. لهذا عبّر القرآن الكريم عن هذا التكامل المبدع بين القبائل والشعوب بكلمة «لتعارفوا» ولم يقل القرآن لتتقاتلوا. أما هانتنغتون فهو يريد للحضارات أن تتصارع، أي أن تتصارع الأديان والثقافات وتتقاتل فيما بينها. وهو يهدف إلى أن الحضارة الأميركية هي لوحدها الأمثل والافضل وعليها أن تصرع الحضارات الأخرى وتفرض عليها حضارتها. إنه تبرير للاستعمار، ولنظرية بأن القوي له حق أن يأكل الضعيف.

والصراع الذي تحدث عنه هنتعنتون والذي حصل في التاريخ هو صراع الاطماع، والغزو والبطش والاحتلال وليس صراع حضاري. والتاريخ يتمحور حول العدوان وصدّ العدوان. هذا التفاعل والتعامل انتهى إلى انتصار الحضارة والثقافة الإنسانية، فالرومان الذين ألقوا بالمسيحيين إلى السباع أصبحوا هم مسيحيين أنفسهم. وتسابقت الشعوب القديمة ترحب بالفاتحين العرب للدخول في إسلام العدل والمساواة لا ترحيباً بالغزو والاستعمار. حتى التتار والمغول اسلموا بغد غزوهم للمسلمين. ومن يتضايق عن هذه الحقائق الدينية الثقافية فليدرس التاريخ بتجرد، وليطلع على أعمال المؤرخين والمستشرقين المنصفين. وكفى ما قاله المؤرخ عالم الاجتماع غوستاف لوبون : «ما عرف العالم فاتحين ارحم من العرب».

تريد أمريكا ان تفرض حضارتها الاستهلاكية الماديه التافهة على العالم. فالثقافة والفن والحكم والسياسة في الولايات المتحدة في الحضيض. هذا.. ما يتكلم به العلماء الكبار الأميركيين انفسهم. لكن أميركا تريدان تحتوي بحضارتها وثقافتها بالقوة أو بالحسنى البشريه باكملها وبواسطة نظامها العالمي الجديد، ولا نكران بأن تقدم العلم والمواصلات والاتصلات والأعلام هي الجانب الإيجابي لهذا النظام. ولكنها ـ أي اميركا ـ تمتلك القوة والمال لتنفيذ ما تريده وتحقق نجاحات عسكرية وثقافية ضخمة في شتى انحا الارض. وفي النهاية ستنتصر الشعوب وتنمّي حضارتها وثقافتها الإنسانية السامية المتنوعة الغنيّة. ويالت الاميركيين

يسألون الاوروبيين عن ضرورة العيش بسلام ووئام مع الاخرين، وخصوصاً فرنسا والمانيا لأنهم مروا في التجربة الاستعمارية والعسكريه وخرجوا من الحرب إلى السلم. فلعل الأميركيين يستفيدوا من العبرة وإلاّ سيعلمهم التاريخ بمقاومة الشعوب لطغيانهم.

❀ ❀ ❀

سورة المجادلة

* يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون، ٩* . أن كثيراً من الناس يؤمنون بالله، ويصومون له ويصلون حقاً وصدقاً لا كذباً ورياء، ولكنهم يذهلون عن هذا الإيمان في كثير من الأحيان، ويتناجون بالإثم تماماً كما يفعل المنافقون والكافرون. والخطاب في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم» لهؤلاء الذاهلين عن إيمانهم، وقد أمرهم الله سبحانه أن يتناجوا بالخير، فإنه أليق بالمؤمنين، ولا يتناجوا بالشر كما هو شأن المنافقين والكافرين الظالمين.

وكأن هذه الآية قد نزلت الآن في بعض الدول ومن إليها من الذين يتظاهرون بالإسلام، وهم يناصرون إسرائيل في الخفاء ويوالون من يختفي وراءها، ومن يغدق عليها أنواع الأسلحة لتقتل بها النساء والأطفال، وتدمر بيوت الآمنين وتشردهم من ديارهم وأوطانهم.. وأي نفاق أعظم من أن يدعي مدعٍ إنه مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو يوالي أعداء الله والإنسانية، ويبارك الظلم والاستغلال؟. وقد نهى سبحانه المؤمنين عن مناصرة الطغاة ولو بكلمة تقال بالسر، وأمر بجهادهم بالقول والفعل سراً وجهراً.

[المجلد السابع صفحة: ٢٦٩]

سورة الحشر

* بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى،١٤* . إنهم أقوياء في عدتهم وعددهم، ولكن المصالح والأهواء فرقت بينهم، فهم منحلون متخاذلون، وأن تظاهروا بالألفة والمحبة.. ولو إنهم توادوا وتآزروا إليكم وقابلوكم في ميدان القتال أيها المسلمون، ولم يقاتلوكم في محصنة أو من وراء جدار.

وهذا عامّ في اليهود وغيرهم ، فإن الاتفاق قوة وأن قلَّ العدد وضعفت العدة، والتخاذل وهن وذل لا يجدي معه عدد ولا عدة.. وقد شاهدنا انتصار أهل الباطل وهم أقلاء على المحقين وهم كثيرون، والسر تفرُّق هؤلاء عن حقهم، واجتماع أولئك على باطلهم (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) بأن الوحدة سبب الفوز والنجاح، والتفرقة سبب الفشل والخذلان (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم). أن حال اليهود الذين نصبوا العداء لرسول الله (ص) تماماً كحال كفار قريش وغيرهم من الذين حاربوا الرسول حيث انتهوا إلى الخزي في الدنيا، وفي الآخرة إلى عذاب الحريق.

[المجلد السابع صفحة: ٢٩١، ٢٩٢]

التشرذم

المحقق: ينطبق تفسير آية «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتي» على العرب والمسلمين الممزقين المنهزمين في هذا العصر. وهذا الأمر ليس صدفة، فانظمة القمع وتغيب الديمقراطية والعدالة والتنمية اوصل العرب والمسلمين إلى هذه الحال. إنها خطة مرسومة مدروسة استمرت عشرات السنيين وما زالت، شارك فيها العدو من الداخل والخارج فغُلبنا حتى النخاع.

ولولا ومضة المقاومة التي لم ولن تنطفىء، ولولا اطفالنا القادمين ابداً كامواج البحر، ليقاتلوا في يعتدي علينا، ولولا تمسك شعبنا بوطنه وارضه، ولولا قيمنا وتقافتنا وديننا وعروبتنا لسحقنا العدوان واغرقنا في بحر ظلمه، وأصبحنا في خبر كان.

سورة الممتحنة

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الآية ٨ ـ ٩:

* لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون *

الدول الصديقة والمعادية

دعا القرآن الكريم إلى السلم، ونهى عن القتال إلا للدفاع عن النفس، أو لنصفة المظلوم من ظالمه، وإلى السبب الأول تشير الآية ١٩٠ من سورة البقرة: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا أن الله يحب المعتدين». أما السبب الثاني فقد أشارت إلى الآية ١٠ من سورة الحجرات: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله». وأنكر القرآن حروب التخريب والاستيلاء على الاقوات ومصادر الثروات: «ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ـ ٨٥ هود». وقال أيضاً: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ـ ٨٣ القصص». وهذه الآية من الآيات التي تربط الآخرة بالدنيا، والنشأة الأولى. انظر تفسير الآية ١٤٢ من سورة آل عمران ج٢ ص ١٦٥ فقرة «ثمن الجنة».

أما السلم فقد حث عليه القرآن في العديد من الآيات، منها: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ـ ٢٠٨ البقرة». ومنها: «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ـ ١٢٥ النحل». وتُقرر هذه الآية مبدأ المفاوضات لحل المشاكل الدولية وغيرها بالطرق السلمية، بل دعا القرآن الكريم إلى أُخوة عالمية تقوم على أساس التعارف والحب والبر والعدل، قال تعالى: * وجعلناكم شعوباً وقبال لتعارفوا، ١٣ الحجرات * . فالتعارف والتآلف هو الهدف من تعدد الشعوب والقبائل، أما البر والعدل فهما موضوع الآيتين اللتين نحن بصددهما، ونترك الكلام عنهما للاستاذ الشيخ خالد محمد خالد، قال:

«أن المبدأ الذي يرسم علاقتنا السديدة الرشيدة بمعركة اليوم يتمثل في قول الله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

«والآن فلنسأل أنفسنا وسكان الأرض جميعاً: مَن مِن الدول يقاتلنا في ديننا، ويخرجنا من ديارنا، ويظاهرنا على إخراجنا؟.. من الذين شردوا عرب فلسطين، وانتهبوا منهم أموالهم وأرضهم وعرضهم وديارهم؟.. من الذين مكنوا إسرائيل وزودوها بالمال والعتاد، وقالوا لها كوني شوكة الجنب للعرب؟.. من الذين قتلوا ولا يزالون يقتلون الكهول والولدان والنساء؟.. من الذين حبسوا عنا السلاح وسرقوا أقواتنا؟.. من الذين يقفون في المحافل الدولية ضد حقوقنا، ويناصرون علينا أعداءنا»؟..

«هؤلاء أيها السادة هم الذين ينهانا الله في كتابه أن نبرّهم، ونتخذ منهم أولياء وحلفاء.. وهناك آية أخرى تكشف عن وجه آخر لعلاقتنا مع هؤلاء، وهي: «قاتِلوا الذين يقاتلونكم». أن الله لا يرضى أن نكون سلبيين مع هؤلاء الذين تحالفوا على مصيرنا بل يحرضنا على قتالهم لأنهم البادئون والظالمون.. أي سند من دين؟. أي سند من خُلق يعتمد عليه أولئك

المجرمون الذين يدعوننا لصداقة الغرب والتحالف معه؟. ولا أعرف صورة من صور الإلحاد في الدين والنكوص عن الشرف والحق والواجب أبشع من هذه الصورة والدعوة التي تحيي قاتلها وتموت في سبيل جلادها.. أنقاتل الذين يسالموننا، ونسالم الذين يقاتلوننا، ويذبحوننا ذبح النعاج؟.. كيف وقد زفوا إلينا في ليلة سوداء عروس الشرق الأوسط إسرائيل، وازداودا بها جثوماً على بلادنا وتقتيلاً لأنفسنا وأحرارنا، وتشتيتاً لكياننا وحدتنا؟.. فمن كان صاحب وعي فلينتفع بالتجربة، ومن كان صاحب دين فليقرأ قول ذي الجلال: «قاتلوا الذين يقاتلونكم».

وبعد، فقد اقتطفنا هذه الكلمات من كتاب (الدين في خدمة الشعب)، المطبوع سنة ١٩٦٣، ولو أن الاستاذ خالداً كتب اليوم في هذا الموضوع لما زاد حرفاً واحداً عما كتبه منذ سبع سنوات لأنه على علم اليقين من أن ما حدث في حزيران ١٩٦٧ وما يحدث الآن هو جزء من مخطط وضعه سلفاً المستعمرون والصهاينة، وأعانهم على تنفيذه الذين يستميتون «في سبيل جلاّد أمتهم». وأيضاً يستميت هذا الجلاد في سبيل «حكامه» من العرب والمسلمين حرصاً على مصالحه وأغراضه.

واتفق فقهاء المذاهب على أن الصدقة غير الواجبة تجوز من المسلم على الذمي من أهل الكتاب، بل قال أبو حنيفة: تجوز عليه زكاة الفطر والكفارات . وأيضاً اتفقوا على جواز الوصية له بالمال، والوقف عليه، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين إلخ.

[المجلد السابع صفحة: ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥]

سورة المنافقين

*** يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، ٩* من تدبر هذه الآية والتي قبلها يرى أن المراد بذكر الله هنا الجهاد، لأن الله سبحانه ذكر أولاً أن العزة له ولرسوله وللمؤمنين، ثم نهى المؤمنين وحذرهم من الغفلة والتشاغل عن ذكر الله بالدنيا وحطامها، وجعل نتيجة هذا التشاغل الخسران أي الخزي والمذلة دنياً وآخرة، وليس من شك أن الخزي والمذلة نتيجة حتمية لحب الحياة والخوف من الجهاد والاستشهاد. . ولا شيء أصدق وأدل على هذه الحقيقة من حياة المسلمين والعرب في هذا العصر.**

[المجلد السابع: ٣٣٤]

❀ ❀ ❀

المحقق: حب الناس للدنيا امر طبيعي. ولكن ما لعمل حين يتسلط المعتدى على أخيه الانسان. المسالمة محرجة جداً، فاذ ثار الانسان على الظالمين قد تكلفه حياته وإذا أذعن واستكان سيكون ذلك على حسابه وكرامته. لكن مذهب تنارع البقاء قانون تاريخي طبيعي، ويتمثل بالصراع بين المخلوقات الحيوانية، والانسان نوع من الحيوان. وغير صحيح إنه عاقل لأنه اثبت إنه افظع من الحيوان في مسألة الابادة. وقانون الحياة يظهر أن لابد للانسان أن يقاوم ويصارع من أجل بقائه سيد نفسه.

ونشير إلى أن كثير من الناس مستثنون من التصدى للعدوان. ويقبلوا بالاستعباد لان العبوديه في تركيبة شخصيتهم، وقد أشرت إلى ذلك قبل صفحات من هذا الكتاب.

سورة التحريم

*** والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم علينا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، ٨* تقدم مثله في الآية ١٢ من سورة الحديد (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير). أبداً .. لا رأفة ولا هوادة مع الطغاة اللئام.. ولا شيء لهم عند الحق والعدل إلا السيف، وأي شرع وقانون يرحم ويتساهل مع الذين يستهينون بحياة الناس، وينشرون الرعب والذعر في القلوب، ويقولون: من لم يكن معنا وعبداً لنا فهو علينا وعدو لنا... وما له عندنا إلا السلاح الجهنمي؟. وبالتالي، فإن الرحمة والرأفة هي القضاء على العدوان وأهله.. والله سبحانه رحيم في ناره تماماً كما هو رحيم في جنته.**

[المجلد السابع صفحة: ٣٦٦]

❀ ❀ ❀

هيمنة الاعلى

المحقق: من لم يكن معنا وعبداً لنا فهو علينا وعدوّ لنا.. وماله عندنا الآ السلاح الجهمني ، اليس هذا ما قاله تقريباً بالحرف الرئيس جورج بوش الابن؟ هذا مبداء تاريخي، فبالأمس كان هتلر يقول: المانيا فوق الجميع،

وقال موسوليني: وطني دائماً على حق، ويقول بوش اليوم: من ليس معنا فهو ضدنا وليس المقصود المقارنه بين بوش وهتلر أو موسوليني وإنما نزعة انا الأعلى فاخضعوا لي متخم بها تاريخ البشرية.

سورة نوح

* فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمدد كم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً، ١٢* إذا آمنوا بالله وحده وأخلصوا له بالقول والفعل فإن نوحاً يضمن لهم على الله سبحانه أن يكفِّر عنهم ما سلف من سيئاتهم، وأن يغنيهم من فضله بالأموال والأولاد، فتفيض السماء عليهم بخيراتها، والأرض بثمراتها، ويجمع لهم بين الصحة والأمان والرخاء والهناء مع تكثير النسل.

الإيمان والرخاء

وتسأل: أن هذه الآيات ربطت بين الإيمان والتقوى من جهة، وبين الرخاء والهناء من جهة مع أن العيان يثبت العكس... وأوضح مثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، فإنها أطغى دولة في الكرة الأرضية، وأكثرها فساداً واعتداءً حتى اتخذت لنفسها مبدأ لا تحيد عنه، وهو من لم يكن معها ـ أي عبداً لها ـ فهو عدوها اللدود ... وكلنا يعلم ما كان لهذه السياسة من ويلات، فما من دم يسفك أو فساد يظهر في شرق الأرض وغربها إلا وللولايات المتحدة يد فيه بشكل أو بآخر .. وما من خائن لأمته ووطنه إلا ويجد في أحضانها مقاماً كريماً، وعريناً أميناً.. ومع هذا فهي أقوى وأغنى دول العالم على الاطلاق، وكفى شاهداً على ذلك أن دخلها يبلغ ٤٣٪ من مجموع الانتاج العالمي مع العلم بأن نسبة سكانها عدداً إلى نسبة سكان العالم هي ٦٪ فما هو وجه الجمع بين هذا وبين

ظاهر الآيات التي ربطت الرخاء بالإيمان؟

الجواب أولاً: أن هذه الآيات نزلت في قوم نوح خاصة، ولا دلالة لها على العموم والشمول كي يتعدى بها إلى غيرهم.. هذا، إلى ان لله شأنا خاصاً في معاملة الأمم التي ينذرها بلسان أنبيائه مباشرة.

ثانياً: أن ثراء الولايات المتحدة من الشيطان لا من الرحمن لأن معظمه من السلب والنهب من اسبا وافريقيا واميركا اللاتنيه.

ثالثاً: أن هذه الآيات ربطت بين سعادة الدنيا والآخرة معاً وبين الإيمان لا بينه وبين سعادة الدنيا وحدها: «ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين ـ ١٧٨ آل عمران».

رابعاً: وما يدريك أن الولايات المتحدة وغيرها من الدول الباغية هي في أمن وأمان؟ وأي عاقل يأمن الغوائل؟. وهل دامت الامبراطورية الرومانية بل والبريطانية وغيرها وغيرها حتى تدوم غطرسه الولايات المتحدة ومفاسدها؟ وهذه بشائر الانهيار يتبع بعضها بعضاً، فمن موجات التحرر في العالم كله إلى ثورة الثلاثين مليون زنجي في قلب الولايات المتحدة، إلى التضخم المالي الذي تداويه بالحروب المحدودة، ومن سيطرة الصناعة العسكرية إلى التضخم المالي الذي تداويه بالحروب المحدودة، ومن سيطرة الصناعة العسكرية إلى تلاعب الصهاينة بالحكام والشيوخ والنواب، ومن امبراطورية المخابرات إلى القتل والخطف واشعال الحريق إلى الحشيش والمخدرات، ومن الصراع والعداء مع أكثر أهل القارات الخمس إلى رئيس يحمي ويحامي عن اللصوص وسفاكي الدماء.. إلى ما نهاية.. ومستحيل أن يدوم أمنٌ ورخاء لهذا النسيج الغريب العجيب سواء أكان من صنع الولايات المتحدة أم صنع غيرها.

ومن غريب الصدف إني في اليوم الذي كنت أكتب فيه هذه الكلمات قرأت في جريدة الجمهورية المصرية تاريخ ١٠ ـ ٧ ـ ١٩٧٠ نقلاً عن صحف نيويورك: أن خمسة آلاف من الرجال والشبان المصابين بداء الأَبَنَة

ـ اللواط ـ قد تظاهروا عبر شوراع نيويورك يحملون اللافتات مطالبين الحكومة بإصدار قانون يبيح لهم ممارسة الشذوذ الجنسي اسوة بما يباح للنساء من الزواج وبيع أجسامهن بالسوق العمومية.. وفي مجلة النيوزويك تاريخ ١٢ ـ ١٠ ـ ١٩٧٠ ان القس «توري باري» الشهير باللواط يدعو إلى انتشار اللواط والمساحقة لأنهما لون من الحب الإلهي، وقد انتشرت دعوته هذه، وأصبح لها اتباع كثيرون في إنحاء الولايات المتحدة. وليس من شك أن هؤلاء المأبونين سيخرج منهم شواذ يتولون القيادة وسياسة السلم والحرب، وأمور العلم والعمل في المجتمع الأمريكي.. وعندئذ يصبح كيان الولايات المتحدة أوهى من بيت العنكبوت.

[المجلد السابع صفحة: ٤٢٦، ٤٢٧]

سورة العلق

* كلا أن الإنسان لطغى أن رآه استغنى، ٦* . كلا للردع، والطغيان تجاوز الحد، والحكم على الإنسان باعتبار الأغلب من أفراده.. وأكثر الناس ـ وكنت منهم ـ يستشهدون بهذه الآية على أن الإنسان يستعلي ويظلم حين يملك من المال والثروة أكثر من غيره.. وعلى هذا جمهور المفسرين. قال الرازي: «أول السورة يدل على مدح العلم، وآخرها على مذمة المال». وقال صاحب مجمع البيان: «أي إن رأى نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته وأمواله وقوته». وقال الشيخ محمد عبده: «أي متى أحس من نفسه وبقطع النظر عما قبلها، وهو قوله تعالى: «علم الانسان ما لم يعلم». أما إذا نظرنا إلى مجموع الآيتين، وإنهما وردتا في كلام واحد بلا فاصل بينهما، ولا بد من هذا النظر، إذا فعلنا ذلك كان المعنى أن الإنسان يتجاوز الحدود المشروعة حين يرى نفسه غنياً بالعلم وأدواته كالمختبرات والمصانع، ويظلم من هو دونه بقسوة وضراوة، ويؤيد هذا التفسير بالاضافة إلى ظاهر السياق ـ إنه الواقع الذي تعيش فيه الإنسانية الآن، فإن الذين يملكون العلم ـ النووي ـ يحاولون أن يُخضعوا العالم كله لسيطرتهم واستغلالهم، بعد أن اتجهوا بالعلم به على الكرة الأرضية بما فيها في بضع ساعات.. هذا هو التفسير الصحيح لقوله تعالى: «أن رآه استغنى» نقول هذا، ونحن من المؤمنين بالحقيقة الشائعة «الانسان أن استغنى بطر وفتن، وأن افتقر قنط ووهن» ولكن الحقيقة في ذاتها شيء، ودلالة اللفظ والسياق شيء آخر.

* إن إلى ربك الرجعى، ٧* لا تغتر بالدنيا وزينتها أيها الطاغية، ولا بالعلم وقنابله والمال وخداعه فإن قوة الحق أمضى من القنابل النووية. . . فهذه ثورة الانسان ضد الاستغلال والاستعباد في الهند وغيرها قد لقنت أرباب المعامل والصناعة العسكرية في أمريكا أبلغ الدروس، ثم يردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون.

[المجلد السابع صفحة: ٥٨٨، ٥٨٩]

سورة العصر

* أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ٢، ٣*
هذا جواب القسم، والمراد بالانسان من كان موضوعاً للتكليف ومسؤولاً عن أقواله وأفعاله، وهذا الانسان خائب خاسر يحكم القرآن وإن كان ثرياً يملك الملايين، وعالماً يكشف أسرار الطبيعة ويسخرها لمصلحته، وقوياً يُخضع الناس لسيطرته، وبليغاً يحسن صناعة الكلام والوعظ.. إنه خائب خاسر إلا إذا آمن بالله وحلاله وحرامه وناره وجنته، وانعكس هذا الإيمان على أقواله وأفعاله، وإلا فإن الإيمان بلا عمل مجرد فكرة ونظرية.. ولقد قرأت أن الطيارين الأمريكان الثلاثة الذين ألقوا القنبلة الذرية على هيروشيما في اليابان، ومات وتشوّه بسببها مئات الألوف، كان كل واحد منهم يحمل معه نسخة من «الكتاب المقدس» إلى جانب قنبلة الفناء والدمار!!

وتسأل: أليس قوله تعالى: «أن الإنسان لفي خسر» يدل بظاهره أن الإنسان خاسر بطبعه، وأن جميع أفراده في الخسر سواء، وإذ كان الأمر كذلك فلا يصح تقسيم الإنسان إلى صالح وطالح وخاسر ورابح لأن ما بالذات لا يتغير؟ وبالتالي فما هو المبرر لقوله تعالى: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»؟.

الجواب أن الله سبحانه لم يحكم على طبيعة الإنسان بالخسر من حيث هو وباعتبار جميع أفراده.. كلا، وإنما حكم عليه باعتبار الأعم الاغلب من أفراده، ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى: «أن الإنسان لظلوم

كفار» وقوله: «وكان الإنسان قتوراً». فالإنسان بطبعه لا يعد خاسراً ولا رابحاً لأنه من هذه الحيثية يملك الأهلية والاستعداد لهما معاً، فالحكم عليه بأحدهما ترجيح بلا مرجح، وإنما يحكم عليه بأحد الوصفين بالنظر إلى عقيدته وأعماله، لا بالنظر إلى ذاته وطبعه، فقد أشرنا فيما سبق أكثر من مرة أن الله سبحانه وهب الإنسان العقل والقدرة على الشر والخير وأمره بهذا ونهاه عن ذلك، وخلى بينه وبين ما يختار ولم يفرض الدين والعمل عليه فرضاً ويخلقهما فيه كما يخلق الكائنات، ولو فعل لسلخ الإنسانية عن الإنسان إذ لا إنسانية بلا حرية وإرادة، وعليه فلا يكون الإنسان خاسراً ولا رابحاً إلا باعتبار عقيدته وأعماله، فقوله تعالى: «أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» معناه أن الذين لم يؤمنوا أو آمنوا ولم يعملوا هم الخائبون الخاسرون، أما الذين آمنوا وعملوا فهم الفائزون الرابحون.

[المجلد السابع: ٦٠٦، ٦٠٧]

الفهرس

لا للإرهاب.. لا للقتل الأبرياء.. ..... ٥
كلمة المحقق ٩
من هو محمد جواد مغنيه.. .. ١١
هذا الكتاب ١٧
السطو على مؤلفات محمد جواد مغنيه في إيران ٢١
اللاإسلاميين ٢٥
استراتيجية التحرير ٢٧
فلسطين كربلاء المسلمين ٣١
الكذب يحكم هذا العالم ٣٧
الدسّ والتدليس ٤١
المقاومة الإسلامية والاعلام المضاد ٥١
الهيمنة الأميركية تتحدث عن نفسها.. ..... ٥٥
التفسير القرآني سورة البقرة ... ٦٣
سورة آل عمران ٨٠
سورة النساء ٩٥
سورة المائدة ١٠٥
سورة الأنعام ١٢١
سورة الأعراف ١٢٧
سورة الانفال ١٣٠
سورة التوبة ١٤١
سورة يونس ١٤٧
سورة هود ١٤٩
سورة يوسف ١٥١
سورة الرعد ١٥٣
سورة ابراهيم ١٥٥
سورة النحل ١٥٨
سورة الإسراء ١٥٩
سورة الكهف ١٦٩
سورة مريم ١٧٠
سورة طه ١٧١
سورة الأنبياء ١٧٢
سورة الحج ١٧٣
سورة المؤمنون ١٧٨
سورة الفرقان ١٧٩

سورة الشعراء ١٨٠
سورة النمل ١٨٣
سورة القصص ١٨٥
سورة العنكبوت ١٨٩
سورة الروم ١٩١
سورة لقمان ١٩٢
سورة الاحزاب ١٩٤
سورة فاطر ١٩٩
سورة الزُمر ٢٠٠
سورة غافر ٢٠٣
سورة الشورى ٢٠٦
سورة الدخان ٢٠٧
سورة الجاثية ٢٠٨
سورة محمد (ص) ٢١١
سورة الفتح ٢١٨
سورة الحجرات ٢١٩
سورة المجادلة ٢٢٢
سورة الحشر ٢٢٣
سورة الممتحنة ٢٢٥
سورة المنافقين ٢٢٨
سورة التحريم ٢٣٠
سورة نوح ٢٣٢
سورة العلق ٢٣٥
سورة العصر ٢٣٧